

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

التعلق بين لغة القرآن الكريم والمفهوم الاصطلاحي العلمي
في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة
دراسة دلالية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

تخصص الدراسات اللغوية النظرية

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد العيد رتيمة

إعداد الطالبة:

فتيحة مولاي

السنة الجامعية 1440هـ - 1441هـ / 2019-2020م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

التعلق بين لغة القرآن الكريم والمفهوم الاصطلاحي العلمي
في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة
دراسة دلالية

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تخصص الدراسات اللغوية النظرية

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد العيد رتيمة

إعداد الطالبة:

فتيحة مولاي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد العيد رتيمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا
أحمد حساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا ومقررا
علي منصوري	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة	عضوا مناقشا
نبيلة عباس	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة	عضوا مناقشا
طبية ميدني	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
أحمد سعدون	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا

نوقشت يوم: 2020/01/28

السنة الجامعية 1440-1441هـ / 2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى روح سلمى

سلمى التي علّمتنا الإيمان والشجاعة

سلمى التي أمدّتنا أنهارا من صبر أيوب

سلمى التي كانت بين أظفار الموت وأنياه

تعلّمتنا كيف نعيش الحياه...

كيف ننتشي ونحن نتألم...

حمد وشكر

بقلب متدفق بالإجلال... أتوجه إلى الله بكل إخلاص و خشوع حمدا وشكرا

على نعمة العلم والإسلام

يا ربّ لا تحرمني أجر هذا العمل واجعله لي وأستاذي محمد العيد رتيمة ذخرا يوم يفترّ

المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه

كما أتوجه بالشكر لأستاذي المشرف "محمد العيد رتيمة" الذي شرفني بثقته

والذي علّمني للمرة الألف التواضع ورحابة الصدر

وهدوء الطبع والجدية في العلم

فجزاه الله عني ألف خير.

رموز واختصارات واردة في متن البحث وإحالاته

مرتبة ألبائيا

في المتن

[] إضافة الباحث لتوضيح في قول مقتبس من مصدر أو مرجع.

ت/ تاريخ وفاة العلم.

(...) كلام محذوف.

في الهوامش

إع: إعداد

تح: تحقيق.

تخ: تخريج

تر: ترجمة.

تع: تعليق.

تق: تنسيق

جم: جمع

(دت) دون تاريخ

(دط) دون طبعة

شر: شرح

ص: صفحة

مر: مراجعة

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وكفى والصلاة والسلام على المصطفى، وبعْدُ فَإِنَّ جَوْهَرَ الإِعْجَازِ فِي النِّصِّ الْقُرْآنِيِّ هُوَ التَّمْيِيزُ الْإِنْتِقَائِيُّ لِمَفْرَدَاتِهِ وَتَمَكُّنُهَا فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي تَأْتِي الْعَشْوَائِيَّةُ فِي نَسْجِهَا وَالتَّلْقَائِيَّةُ فِي تَوْظِيفِهَا، هَذَا مَا دَفَعَ الْمَهْتَمِينَ بِالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ مِنْذُ قُرُونٍ إِلَى تَتَبُعِ خِصَائِصِ أَسْلُوبِهِ وَأَسْرَارِ بَيَانِهِ، فَعَكَفُوا عَلَى هَذَا النِّصِّ تَدَبُّرًا وَتَفْسِيرًا لِنَتَوَالَى الْمُؤَلَّفَاتُ وَالبَحُوثُ؛ كُلُّ يَنْظُرُ فِيهَا أَصْحَابُهَا إِلَى إِعْجَازِ هَذَا النِّصِّ مِنْ زَاوِيَتِهِ؛ هَذَا مِنْ زَاوِيَةِ أَسْلُوبِيَّةِ وَاسْتِعَارِيَّةِ غَلَبِ فِيهَا الْمَنْهَجِ الْبَيَانِيِّ وَالنِّظَامِ الْإِسْتِعَارِيِّ، وَوَقَفَ عِنْدَ أَسْرَارِ نِظْمِهِ، وَعَجَائِبِ تَنَاسُبِهِ، وَذَلِكَ أَوْلَى اللَّبْنَةِ الْأَوْلَى لِهَذَا النِّصِّ عِنَايَتَهُ، فَتَأَمَّلْهَا بَعَيْنَ الْمُعْجَمِيِّ، وَأَفْرُدْ فِيهَا كِتَابًا فِي تَفْسِيرِ مَشْكَلِ الْقُرْآنِ وَغَرِيبِهِ، وَلِغَاتِ الْقُرْآنِ وَالْوُجُوهِ وَالنِّظَائِرِ، وَثَالِثٌ مِنْ زَاوِيَةِ بَلَاغِيَّةِ فَنِيَّةِ سَلَطَ فِيهَا الضَّوْءُ عَلَى جَمَالِ النِّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَعَذُوبَةِ لُغَتِهِ.

وَفِي ظِلِّ مُسْتَجِدِّينَ؛ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا: الْإِكْتِشَافَاتُ الْعِلْمِيَّةُ الْمَذْهَلَةُ الَّتِي تَتَسَارَعُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ فِي عَصْرِنَا، وَالَّتِي يَحَاوِلُ الْعُلَمَاءُ - تَحْتَ ظِلِّهَا وَفِي إِطَارِ الإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ - أَنْ يَفْكُوكَ الْأَلْغَازَ وَاحِدًا تَلُو الْآخَرَ فِي دَلَالَةِ آيَةٍ مِنْ الْآيَاتِ أَوْ بِنَاءِ تَرْكِيْبٍ مِنْ تَرَكَيبِ هَذَا النِّصِّ أَوْ اخْتِيَارِ مَفْرَدَةٍ دُونَ أُخْرَى فِي نَسِيْجِهِ. وَالثَّانِي هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى إِعَادَةِ قِرَاءَةِ الْمَفْرَدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْزِلُ مَغْمُورَةً فِي سِيَاقِهَا الْأَصِيلِ قِرَاءَةً مُتَجَدِّدَةً تَهْتَمُ بِالمَفَاهِيمِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ كَمَا رَأَى كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالبَاحْثِينَ عَلَى رَأْسِهِمُ "الشَّاهِدَ البُوشِيخِي" وَ"مُحَمَّدَ الْقَاسِمَ حَاجَ حَمْدَ" وَ"سَلِيْمَانَ أَبُو عَزْبَ" وَ"عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْحَاجَّ".

هؤلاء الذين رأوا ضرورة إعادة النظر في المفردة القرآنية، لأنَّ الدرس الدلالي قد قصر اهتمامه على المعنى اللغوي المعجمي فيها، ولم يتجاوز ذلك، فكان إهمالا

غير معلل لهذه الوحدة اللغوية وقصورا في التفسير من جهة ثانية. إذا في ظل الدعوة إلى القراءة المتجددة للمفردة القرآنية، ومن خلال مراجعاتنا المتكررة للنص القرآني، والذي نجد فيه كثيرا من المفردات التي يتهاى للقارئ لأول وهلة أنها وظفت بشكل عادي ومألوف، وفسرها العلماء بوجه ما، إلا أن البحث العلمي يكشف لنا بعد ذلك أن لها دلالات جديدة تجاوزت ما رآه كثير من المفسرين، وأن تلك المفردات كانت محورا في أداء الدلالة وتحقيق الإعجاز العلمي، يجعلنا هذا أكثر إيمانا من ذي قبل بأن قراءة المفردة القرآنية قراءة علمية متجددة أضحى أكثر من ضرورة، وأوجب من الواجب، لأن فهمها الصحيح هو خطوة أولى لفهم النص القرآني كله، فهل يمكن إذا تحقيق ذلك؟ ثم ما مدى الترابط - أو كما اصطالحنا عليه (التعالق) في هذا البحث - بين لغة النص القرآني أي مفرداته والمفاهيم الاصطلاحية العلمية؟ وقبل هذا وذاك ماذا نقصد بظاهرة التعالق؟ وما عوامل حدوثها؟ وإلى أي مدى يمكن للدلالة المعجمية والصرفية والصوتية للمفردة أن تُعين في تجسيد المفهوم الاصطلاحي المقصود وتحقيق ظاهرة التعالق؟ هل يُشترط أن تتضافر كل هذه الدلالات لتُحقق هذا الترابط بين دلالة المفردة اللغوية المعجمية والمفهوم العلمي لها أم يمكن لإحداها أن تُجسد ذلك؟ هل تمتلك هذه المفردات ما يرشحها لتكون مصطلحات قرآنية جاهزة الاصطلاحية في العلوم المرتبطة بها؟ وما الذي يضيفه هذا النوع من القراءة للتفسير القرآني وبالأخص التفسير العلمي منه؟ ومن ثم ألا نعيد النظر في تفسير بعض المفردات القرآنية؟

فما نرومه إذا من خلال هذا البحث هو إعادة قراءة المفردة القرآنية قراءة لا ندعي فيها الكمال أو الجدة الخالصة لكن حسبها أنها قراءة ثانية محاذية للقراءة الأولى الفنية الجمالية، تتماشى وروح هذا العصر، لأنه عصر علمي بامتياز، ولأن هذه المفردة أسست لنفسها مفهوما قرآنيا متفردا هاهي تستدعي معانٍ ومفاهيم لم يُشر

إليها السابقون، ولا نلومهم أبداً في ذلك فما قدّموه كان نتيجةً حتميةً لمعطيات عصرهم وما بلغه علمهم وفكرهم آنذاك، بل تميّزوا في ذلك أيّما تميّزٍ. وعليه ارتأينا أن نُعتون هذا البحث بـ: **التعالق بين لغة القرآن والمفهوم الاصطلاحي العلمي في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة - دراسة دلالية -**

وقلنا التعالق بين لغة القرآن والمفهوم لأنّا كنّا ننوي دراستها تركيبياً وإفراداً لكن بمجرد خوض غمار البحث وجدنا أنّ ذلك مجازفة غير مأمونة الجوانب من جهة المدة الزمنية أولاً ومن جهة أنّ هذا العمل يستوجب فريقاً كاملاً من الباحثين والمتخصّصين في العلوم المادية والكونية واللسانية إذ بدا لنا أنّه مترامي الأطراف، أضف إلى ذلك أنّ النصّ القرآنيّ كلّهُ يصحّ أن يكون مدوّنةً للتحليل انطلاقاً من مبدأ توظيفه غير العشوائي للوحدة اللغوية القرآنية بدءاً من الصوت إلى التركيب فإكتفينا بدراسة المفردة فقط.

على أنّ **ما دفعنا إلى اختيار** هذا الموضوع - إضافةً إلى ما ذكرناه آنفاً - جملةً من الأسباب والدوافع نوجزها فيما يأتي:

✓ عدم وجود دراسات مماثلة حول هذه الظاهرة اللغوية القرآنية أي التعالق - في حدود اطلاعنا - وكل ما وجدناه إنّما هو إشارات سريعة ومتناثرة هنا وهناك، سواء أكان ذلك في بعض الكتب أم في الدوريات العلمية ومن منطلق البحوث العلمية الإعجازية لا من منطلق التحليل اللغوي وإبراز طاقات المفردة القرآنية في تجسيد معاني القرآن وتصويرها واعتبارها آلية لفهم النصّ القرآني وتحليله.

✓ محاولة التحوّل من رهن البحث في الإعجاز القائم على النظام البياني للغة العربية، إلى البحث اللغوي الذي يُفضي بنا إلى لبّ هذا الإعجاز وهو اللفظ المفرد بما له من دقة وقدرة إبداعية في تحديد دلالة النصّ القرآني وتجسيد الحقائق العلمية. ولنؤكّد أنّ هذه المفردة هي مُدخّلٌ إعجازي متميّز لقراءة النصّ القرآني وتفسيره.

✓ ولأنّ فهم البنية التركيبية لأي نصّ لا يتأتّى إلا بتحصيل مدلول المفردات، فهذا أسبق وأولى.

✓ محاولة الإسهام ولو بجهد المقل في إعادة قراءة موضوع الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، بمنهج علمي وممارسة لسانية، بعيدا عن لغة المنابر.

✓ إعادة قراءة النص القرآني في ظل التغيّرات المعرفية والحضارية والاجتماعية والثقافية، لأنّه بتغيّر بنية التفكير ونظرتنا للوجود يتغيّر العائد المعرفي للمفردة.

✓ الرغبة في إثراء المكتبة العربية اللغوية بدراسة تقوم على تفسير المفردة القرآنية تفسيراً علمياً.

وجدير بالذكر أن نشير بالمناسبة إلى وجود دراسات سابقة في الموضوع، أبرزها كتابان لـ"زغلول راغب محمد النجار" في الإعجاز العلمي؛ الأول بعنوان (من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم) والثاني (من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم) وإن كان هدف الكتابين هو إثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا التحليل اللغوي والدلالي للمفردات القرآنية، كما وجدنا دراسات أخرى قاربت الموضوع، نذكر منها رسائل أكاديمية أحدها بعنوان (ألفاظ خلق الإنسان وأطوار نشأته في القرآن الكريم)، لـ: ربيع محمد محمد حنفي والثانية (ألفاظ خلق الإنسان في القرآن الكريم)، لـ: يونس حمش خلف، وأخرى موسومة بـ(الإنسان الكليات والجزئيات في القرآن الكريم دراسة دلالية) للباحثة "سلام محمد ياسين الحيحي"، وإن كانت هذه البحوث لم تتعمّق في دراسة لغة القرآن بالمنهج ذاته الذي ارتضيناه لبحثنا. بل تدخل في فقه اللغة، إذ تحاول جمع ألفاظ أعضاء جسم الإنسان ومراحل خلقه من النص القرآني ودراستها دلالياً. وهناك دراسة أخرى بعنوان (المفردة القرآنية من المعجم إلى الاصطلاح) لـ"عبد القادر سلامي" والذي حاول أن يتطرق للنص القرآني من الزاوية المفاهيمية دارساً مجموعة من المفردات القرآنية كالجنة والحديقة

وسبأً معتبرا إياها مصطلحات تعكس تصوّرا ومفهوما قرآنيا. وهي أقربها منطلقا وتصورا لدراستنا هذه.

أما التأليف في الإعجاز العلمي في القرآن فكثير جدا، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) لـ"عبد السلام حمدان اللوح". و(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة) لـ"يوسف الحاج أحمد"، و(الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق) لـ"كارم السيد غنيم" وغيرها كثير مثبت في فهرس المصادر والمراجع.

يرمي البحث إلى قراءة لغة النص القرآني قراءة علمية وإظهار تميّزها وتقريبها إلى الأذهان بخطاب عقلاني ودليل علمي موضوعي، ومحاولة جعل المفردة آية من آيات فهم النص القرآني وتحليله وتفسيره، ثمّ الوقوف على ظاهرة لسانية متميّزة اصطلاحنا عليها (التعالق) إذ تُظهِر لنا الترابط الشديد بين المفردة ودلالاتها المعجمية والصرفية والقيمة التعبيرية لأصواتها في هذا النص والمفهوم الاصطلاحي الذي تنتهي إليه الاكتشافات العلمية الأخيرة. كما نروم من خلال هذه الدراسة إبرازَ مقدرة اللغة العربية عموما واللغة القرآنية بصفة خاصة على حملها للمفاهيم العلمية وأنّها عكس ما يُشاع عنها بعدم كونها لغة علمية. ولنؤكّد ضرورة المضي في التفسير العلمي للقرآن وفق الضوابط الشرعية والعلمية الصارمة.

أما من حيث المنهج المتّبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي لوصف الظاهرة المدروسة، واستعنا بأدوات إجرائية مثل الاستقراء والتحليل من أجل تتبّع المفردات في مواضعها من المدوّنة المدروسة، وتحليلها وتفسيرها معجميا ودلاليا وعلميا. كما اعتمدنا إحصاء مواضع المفردة في النص القرآني بصيغتها المدروسة.

وبناء على ما سبق، وبعد مقدمة ومدخل أوجزنا فيه التذكير بمفهوم الإعجاز والتفسير القرآني لأنّهما الإطار العام لهذه الدراسة، وتقديم لمحة تعريفية عن المفهوم

الإصطلاحي، قسّمنا البحث إلى قسمين؛ الأول نظري ضمّ الفصل الأول بعنوان (اللغة بين التوظيف القرآني والاستعمال العربي) وقد أرسينا فيه المرجعية النظرية للبحث وارتكزت على مبحثين؛ الأول بعنوان اللغة القرآنية؛ خصائصها وأسرارها. والثاني موسوم بـ(التعلق في اللغة والإصطلاح) عرّفنا فيه هذه الظاهرة وحددنا عوامل حدوثها البنوية والدلالية. أما القسم الثاني فتطبيقي انطوى على ثلاثة فصول، أولها بعنوان(التعلق في مفردات خلق الإنسان في طور التكوين الجنيني) والذي حوى تسعة مباحث(الأمشاج، الحرث، دافق، السّلالة، العلقة، القرار، المضغة، المنى، النطفة) إذ شكّلت كل مفردة مبحثا مستقلا وقد رتبناها ألفبائيا، وكل واحد منها - أي المباحث- دُرست فيه ظاهرة التعلق بين المفردة القرآنية ومفهومها الإصطلاحي العلمي عبر ثلاثة مطالب؛ الأول نحلّ فيه المفردة تحليلا معجميا والثاني دلاليا عند المفسّرين. والثالث نقدّم فيه التحليل العلمي لمفهوم تلك المفردة الذي توصل إليه العلماء مؤخرا. وثاني الفصول كان بعنوان(التعلق في مفردات خلق الأرض والجبال) حوى هو الآخر ثلاثة محاور: إنزال الحديد وبأسه، وضمّ مبحثين(أنزل والبأس) ثمّ شكل الأرض وحركتها وانطوى هو الآخر على مبحثين(الدحو والصدع) ثمّ شكل الجبال ووظيفتها وفيه ثلاثة مباحث(الإلقاء والأوتاد والرواسي) لنتنقل فيما بعد إلى الفصل الرابع وعنوانه(التعلق في خلق الأجرام السماوية) ليضمّ بين دفتيه خمسة مباحث هي(الحُبْك والخُنس والسرّاج والطارق والكُنس) وعالجنا هذه المفردات وفق المطالب التي ذكرناها في الفصل الأول. وأخيرا توجّنا هذا البحث بخاتمة أجمّلنا فيها نتائجه وتوصياته.

تعمدنا دراسة هذه الظاهرة في مجالات مختلفة بدءاً من خلق الإنسان إلى الأرض والجبال إلى خلق الأجرام السماوية لنثبت أنها ظاهرة سائدة في النص القرآني من جهة ولها حضور في كل الإشارات العلمية الواردة فيه من جهة ثانية. ولولا الحدود الزمنية لهذا البحث لأضفنا فصولاً أخرى، لكنّا اكتفينا بالإنسان لأنّه محور هذا الكون ولأجله

خُلِقَ، والأرض لأنها البسيطة التي يقف عليها والسَّماء لأنها تغطيه. فكانت الأطراف الثلاثة تمثل كلَّ العناصر الأخرى في هذا الكون.

وقد التزمنا في هذا البحث مجموعة من الضوابط التي لم نحد عنها في دراسة الظاهرة واختيار العينة المدروسة وتحليلها ومنها:

1- صحيح أنّ النصّ القرآني هو كتاب عقيدة وتعبّد وليس كتابا علميا فلا هو كتاب طب ولا فلك ولا فيزياء لكن هذا لا ينفي أبداً أنّه أشار إلى حقائق ثابتة، لم يكشف الإنسان أكثرها إلا في أيامنا هذه، فهو يحمل في طياته هذه الإشارات، ولهذا كان الخطاب القرآني يلحّ دوماً على التدبّر وإعمال العقل.

2- إنّ موضوعنا ليس الإعجاز العلمي في حدّ ذاته أو استخراج الآيات الكونية والتي تحمل إشارات علمية فهذا موضوع أعم وأوسع لكنّ يهمنّا منها ما كان للمفردة فيه دوراً فاعلاً في تجسيد المفهوم العلمي ومن ثمّ تحقيق ظاهرة التعالق.

3- لم نعتد في دراسة المُدوِّنة إلا ما تجاوز مراحل الافتراض والتجريب إلى ما كان يقينياً وكان من الحقائق العلمية الثابتة كالسنن الكونية التي لا خلاف فيها.

4- لا نريد من خلال هذا البحث أن نثبت مطابقة ما ورد في القرآن للحقائق العلمية أو سبق القرآن لذلك، كلاً لأن القرآن أكبر من ذلك بكثير، ولا لننطلق من النصّ القرآني لنحكم بصحة الحقائق أو العكس، أو نلوي عنق المفردة لتدل على الحقيقة العلمية، إنّما عملنا هو تحليل المفردة القرآنية بكل موضوعية وحيادية من أجل توصيفها لمعرفة إن كانت تحمل هذا النوع من الدلالات العلمية أو عدم ذلك.

5- التوصل إلى حقيقة واردة في النصّ القرآني وفهمها بوجهٍ ما لا يعني عدم إشارته إلى دلالات أخرى لم ينته إليها فهمنا، ألم يقل الله تعالى ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ

وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(فصلت/53)

6- مراعاة معاني المفردة وعدم حملها على ما يخالف الوضع العربي.

7- الاعتماد على المصادر العلمية الموثوقة المُصنَّفة من ذوي الاختصاص.

8- إنَّ رؤيتنا في هذا البحث هي قراءة لا تتسلف آراءَ علمائنا ولا ترميهم بنقص أو جهل بل هي قراءة اقتضتها التغيرات المعرفية والعلمية وما جادت به أبحاث الإعجاز العلمي لفهم متجدد للنص القرآني ومفرداته وتثبت إعجازية هذه المفردة وانفتاحها الدلالي، وأنَّ هذا النص خطاب إلهي للإنسانية جمعاء في كلِّ زمان ومكان وبمستوياتها الحضارية والعلمية.

9- تحرُّبنا إلى أبعد الحدود تقديم التحليل العلمي البسيط الذي يفهمه القارئ البعيد عن التخصص بمراعاة عدم التقصير أو الإخلال فيه ليذكر طبيعة التعالق الذي فرض وجوده بين المفردة والمفهوم العلمي المقصود. كما حاولنا إيجازه ما أمكن وأحيانا تجدنا ننقل كلام المتخصصين دون المساس به.

10- قد يجد القارئ الكريم في مواضع كثيرة أنَّ ما اقتبسناه من الكتب العلمية طويلٌ مُسَهَّبٌ ذلك لأننا آثرنا أن يستمع لأهل الاختصاص ولكي يكون الخطاب العلمي دقيقا من لدن ذويه.

11- كان التفصيل في التحليل المعجمي من أجل تعليل اختيار الوحدة اللغوية في الموضوع المدروس دون غيرها ولمعرفة علاقتها بالمفهوم الاصطلاحي العلمي فيما بعد.

12- لم نحمل الآيات ما لا تحتل من الدلالات ولم نقم فيها المفاهيم العلمية إلا بما تشير هي في ذاتها. فلا نريد من خلال البحوث الإعجازية أن نثبت صدق القرآن، فهذا شيء يقيني مفروغ منه ننتقل منه وليس غايتنا الوصول إليه.

ولطبيعة الموضوع توزعت مراجع البحث على علوم مختلفة من كتبٍ للتفسير ومعاجم وكتب طبية في علم الأجنَّة، والفيزياء والجيولوجيا، فمن المعاجم التي لازمتنا طوال هذه المسيرة العلمية مثلا لا حصرا: (معجم المقاييس في اللغة) لابن فارس" و(لسان العرب) لابن منظور" و(معجم العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، و(المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) لـ"محمد حسن حسن جبل". ومن كتب التفسير

اعتمدنا على (مفاتيح الغيب) لـ"الرازي" و(الجامع لأحكام القرآن) لـ"القرطبي" و(الكشف والبيان) لـ"الثعلبي" و(تفسير التحرير والتنوير) لـ"الطاهر بن عاشور". ومن الكتب العلمية كان سنَدُنا (**The Developing Human Clinically**) و(**Human Embryology and Oriented Embryology**) لـ"Keith.Moore" و(**Developmental Biology**) لـ"Bruce M.Carlson,MD,PhD" في علم الأجنّة. و(من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم) و(من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم) لـ"زغلول راغب النجار" و(الكون والثقوب السوداء) لـ"عبد الرؤوف وصفي" و(**Philip's astronomy encyclopedia comprehensive and authritative A-Z guide to the universe**) و(**الوجيز في الجيولوجيا**) لـ"ليون موريه".

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نشير إلى أنّه واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل في إعداد هذا البحث وإن لم تزدنا إلا عزيمة في مواصلته، منها صعوبة الحصول على المصادر العلمية في تخصصات الفيزياء والفلك وعلم الأجنّة، وما تمّ الحصول عليه كان بعد سنوات من بدء البحث. كما وجدنا صعوبةً في تبسيط بعض المفاهيم العلمية وإيجازها خاصةً في علم الجيولوجيا. هذا وقد وقفنا كثيرا بين خوفٍ من مزلق القول على كتاب الله بغير علمٍ فنَهَلْكَ، وبين رجاءٍ في خدمة هذه اللغة، فامتطينا العزم ورجونا التوفيق والسداد. فكلُّ الشكر لأستاذنا الفاضل محمد العيد رتيمة أولاً لقبوله الإشراف علينا وحسبنا هذا شرفاً، ولصبره علينا ثانياً. كما نشكر الدكاترة "نجمة مولاي" و"محمد دوداح" و"عبد الدائم كحيل" و"عطية زاهدة" على كرمهم لِمَا أسدوه لنا من توجيهات علمية كلٌّ في تخصصه.

والشكر أيضا لموصول للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه الأطروحة وتحشّمهم عناء ذلك، سائلين المولى أن ينفعنا بتوجيهاتهم القيّمة، ولا يسعنا إلا أن نردّد ما قاله الأصفهاني: «إني رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال عنه في غده لو غُيّر هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل» وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين.

الطالبة: فتيحة مولاي

ورقلة في: 23 ربيع الأول 1440هـ الموافق لـ 01 ديسمبر 2018

المدخل

أولاً. النص القرآني بين الإعجاز والتفسير العلميين

منذ نزول الوحي على رسول الله (ص) وتحقيق النص القرآني للمفارقة والصدمة الذهنية والفنية واللغوية لدى العرب وغيرهم أفاض العلماء والأدباء في البحث عن مكامن التميز والإعجاز فيه، فمنهم من فسّر ذلك بتفرد نظمه والآخر بجمال بلاغته وروعة بيانه والثالث بشمولية معانيه ومقاصده وكمال تشريعه وإخباره عمّا مضى وإنبائه بالغيب، فغدت الدراسات تتدافع يوماً بعد يوم وجيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن لتتوزّع في مسارات متباينة تنوّعت بين الدراسات « في الإعجاز اللغوي، البياني النظمي، والإعجاز العقدي والتعبدي والأخلاقي والتشريعي... والتاريخي والتربوي والنفسي والاقتصادي والإداري والإعلامي والإنبائي والصوتي والإعجاز في الحفظ في نفس لغة الوحي، والحفظ من التحريف أو الضياع، وإعجاز التحدي للإنس والجن... الخ»¹

وفي ظل التقدم العلمي المهول الذي عرفته ميادين العلوم والتكنولوجيا في عصرنا هذا توجّهت الدراسات - استجابة لهذه المستجدات - إلى إعادة قراءة النص القرآني قراءة عصرية وواعية من أجل بناء رؤية متجددة، فتدافعت هذه البحوث في تيارين مختلفين وإن كان بينهما تداخل كبير إلى درجة أنّه التبس على الكثير من الناس التمييز بينهما حتى المتخصّصين منهم، ألا وهما دراسات الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للنص القرآني. وهما من المصطلحات الجديدة التي راجت في عصرنا هذا، وإن كانت مباحث الإعجاز قديمةً ضاربةً في تاريخ الدراسات القرآنية، بل الإشارات

(1) النجار (زغلول)، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة،

بيروت - لبنان، 2009، ط1، ص74.

العلمية مبنوثة في كتب المفسرين الأوائل¹. وفي الحقيقة لسنا هنا بصدد الحديث عن تاريخ الإعجاز فهو ضارب في القدم، وأشهر من نار على علم، والمؤلفات التي ألفت فيه أكثر من أن تُحصر في هذا الموضوع. ولسنا أيضا بصدد الحديث عن آراء العلماء في جواز الإعجاز والتفسير العلميين أو عدمهما فقد جادت بذلك مؤلفات كثيرة² وقد فرضا وجودهما بالفعل في الميدان العلمي وأسست في ذلك الهيئات العالمية للإعجاز القرآني في البلدان العربية. قلنا إذا أننا لسنا بصدد الحديث عن تاريخ الإعجاز أو جوازه من عدمه، إنما الإشارة إليه قصد معرفة الخيط الرفيع بينه وبين التفسير العلمي، لأنّ موضوع بحثنا يمس الأمرين معا، بل من صلبهما، ومما تقضي به مقدّمات الأمور وضع الأشياء مواضعها فلا بدّ إذا أن نعرج على مفهوميهما والعلاقة ثم الفروق بينهما بشكل سريع وموجز.

الإعجاز والتفسير العلميين في اللغة والاصطلاح:

الإعجاز لغة:

الإعجاز مصدر يرجع إلى المادة المعجمية (عجز)، فإذا طُفنا في معاجم اللغة لنبحث في حفريات هذه الكلمة وجدناها أصليين صحيحين « يدل أحدهما على الضّعف والآخر على مؤخر الشيء»³، وإن كنا نرى اتصالا بين الأصليين، فمؤخر الشيء أو

(1) انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، وإحياء علوم الدين للغزالي (أبو حامد)، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 2005، ط1. والبرهان في علوم القرآن للزركشي (بدر الدين محمد)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1980، ط3. دار الفكر، بيروت-لبنان، 2008، (د.ط)

(2) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ل: عبد السلام حمدان اللوح. والتفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ل: هند شلبي. والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، ل: أحمد عمر أبو حجر. والتفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ل: مرهف عبد الجبار سقا، والتفسير العلمي للقرآن الكريم، ل: عادل بن علي بن أحمد الشدي.

(3) ابن فارس (أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ت)، (د.ط)، ج4، (مادة: عجز)، ص 231.

التأخر عنه هو عدم قدرة أيضا، والعجز « نقيض الحزم »¹ لأنَّ الرجل العاجز « يضعف رأيه »² ودالٌّ على « الضَّعْف »³ بما فيه من قصور وعدم قدرة. والإعجاز: « الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي: فاتني...وأعجزني فلان: إذا عجزتُ عن طلبه وإدراكه »⁴. والتعجيز: « التثبيط، ذلك إذا نسبتَه إلى العجز. »⁵. والمعجزة: اسم فاعل والهاء للمبالغة وهي ما عَجَزَ البشرُ عن الإتيان بمثله. إِذَا تَدَلَّ الْكَلِمَةُ عَلَى الضَّعْفِ وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى فِعْلِ الشَّيْءِ أَوْ الْإِتْيَانِ بِهِ.

التفسير لغةً:

أما التفسير فهو مصدر للفعل (فسّر) وكلاهما من مادة (فسر)، وهي أصل واحد يعني: البيان، وكشّف المُعْطَى، وهو بهذا له دالتان حسيّة ومعنوية، والتفسير أيضا هو كشف المراد عن اللفظ المشكل⁶. ويضيف "ابن فارس" (ت/395هـ) لمعانيها: الإيضاح⁷. جاءت هذه المفردة على وزن (تفعيل) للدلالة على التكثر. ومنه أيضا (التفسرة) وهو « ما يَعْرِفُ بِهِ الطَّبِيبُ عِلَّةَ الْمَرَضِ، وَكُلَّ شَيْءٍ يُعْرِفُ بِهِ تَفْسِيرَ الشَّيْءِ وَمَعْنَاهُ، فَهُوَ تَفْسِيرُهُ »⁸ كما يكشف المفسر عن دلالات الآية وأسرارها.

- (1) ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دارالمعارف، (د. ت) (د. ط) ج4، (مادة: عجز)، ص 2816.
- (2) ابن فارس (أبو الحسين أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1979، (د. ط)، ج 4، (مادة: عجز)، ص 232.
- (3) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، (مادة: عجز)، ص 2817.
- (4) المصدر نفسه، ج4، الصفحة نفسها.
- (5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (6) المصدر نفسه، ج5، ص 3412-3413.
- (7) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج4، ص 504.
- (8) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص 3413.

أُضيفت هاتان الكلمتان إلى العلم والذي هو في اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة والإدراك، يقول "الأصفهاني" (ت/502هـ): «العلم: إدراك الشيء بحقيقته»¹ وهو نقيض الجهل²

الإعجاز القرآني اصطلاحاً

إنّ الإعجاز القرآني مركّب لفظي أُضيف فيه المصدر لفاعله للدلالة على أنّ القرآن تحدّى الإنس والجنّ فعجزوا عن الإتيان بمثله، وهو مصطلح لم يرد في النص القرآني وما كان متداولاً قبل القرن الثالث للهجرة، إنما وُجدت ألفاظ دالة عليه كالبرهان والآية والسلطان والبيّنة. يعرفه "فهد الرومي" قائلاً: هو «عَجَزُ المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن، مع تمكّنهم من البيان وتمكّنهم لأسباب الفصاحة والبلاغة، وتوفّر الدواعي، واستمرار البواعث»³، وفي التعريف تركيز على الجانب البياني واللغوي، بينما هذا التحدي مفتوح يشمل كل المجالات والعلوم، لذلك أثار الكثير من العلماء عدم تضيق مفهومه - أي الإعجاز القرآني - فقدّموا ذلك دون قصره على جانب واحد، فبراه أكثرهم أنّه «إثبات عجز البشر متفرقين أو مجتمعين عن الإتيان بمثله»⁴، ونُؤثر

(1) الأصفهاني (الراغب)، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، 2002، ط3، ص580.

(2) انظر: المصدر نفسه، ج4، ص3084.

(3) الرومي (فهد)، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، 2005، ط14، ص288.

(4) الصابوني (محمد علي)، التبيان في علوم القرآن، مكتبة البشري، كراتشي - باكستان، (د.ت)، ط11، ص159.

التعريف الثاني على الرغم من اتساعه لأنه يطرح الإعجاز من زاويتين أو على مستويين إذا شئت؛

✓ **الكيف:** أي من ناحية الأداء الفني وعدم قدرة الإنس والجنّ مجتمعين أو متفرقين على معارضته أسلوباً وفصاحة وجمالاً، فقد تميّز بنظمه الغريب وأسلوبه العجيب، الذي حير أهل البلاغة والبيان منذ أول وهلة سُمع فيها القرآن، وفي هذا السياق يرد قول "الوليد بن المغيرة": « والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لحناء»¹ وهذا يترجم ما يدلّ عليه قوله تعالى ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾²، هذا الجانب الأدائي الجمالي هو ما عُني به العلماء منذ القدم كـ"الباقلاني" (ت/403هـ) و"الرماني" (ت/386هـ) و"الخطابي" (ت/388هـ) و"الجرجاني" (ت/471هـ)... الخ.

✓ **المضمون:** ونعني بذلك المعاني والأخبار التي يحويها النص القرآني، وهي نوعان؛ إخبار عمّا مضى وعمّا سيأتي أي الإنباء بالغيب، في إطار استعراض معجزات القرآن يقول شوقي ضيف " (ت/2005م): « والمعجزة الرابعة أخبارُ الرُّسلِ وأُمَمِهِمُ السالفة، وكان لا يعلم أخبار قصصهم إلا أفراد من أحبار أهل الكتاب أفنوا أعمارهم في التعرف عليها»³ وعن الإنباء بالغيب يقول: «من معجزات القرآن إنباء الله بالغيب إذ أنبأ المؤمنين بنصرهم على

(1) ابن هشام، **السيرة النبوية**، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، (د.ت)، (د.ط)، القسم الأول، ج1-2، ص270.

(2) الإسراء، الآية: 88 .

(3) ضيف (شوقي)، **معجزات القرآن**، دار المعارف، القاهرة-مصر، 2004، ط2، ص66.

أعدائهم من المشركين واليهود ودخول الناس في الإسلام أفواجا فما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الجزيرة العربية موضع لم يعتنق أهله الإسلام»¹ هذه المضامين لا تقتصر على الأخبار فقط بل مواضيع مختلفة تنصبُّ في مجالات متعدّدة وعلوم مختلفة لازالت تتكشف يوما بعد يوم، بل لا تزال مفتوحة إلى ما شاء الله، وفي هذا الصدد يُشار إلى أوجه الإعجاز في التشريع والاقتصاد والتربية والعلوم التجريبية وشتّى المعارف.

الإعجاز العلمي القرآني:

فإذا خُصِّصَت العبارة بالإعجاز القرآني العلمي، فيُقصد به « إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم»، وقد نزع إلى هذا المفهوم ثلّة من علماء الإعجاز كـ"عبد الله المصلح"² و"عبد المجيد الزنداني"³ و"وهبة الزحيلي"⁴ وفي تعريف آخر لـ"زغلول النجار" ما نصّه: «إثبات أنّ القرآن الكريم، الذي أُوحى به إلى نبي أمّي صلى الله عليه وسلم في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، من قبل أربعة

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصلح(عبد الله)، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تاريخه وضوابطه، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار جياذ للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، 2011، ط3، ص22.

(3) الزنداني(عبد المجيد)ويلدروم(سعاد)وولد الشيخ(محمد الأمين)، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، (دت)، (دط). ص14-15.

(4) الزحيلي(وهبة)، في تقديمه لكتاب: إعجاز علم الحياة(البيولوجيا) في القرآن الكريم، محمود يحي الخطيب، 1422، ط1، ص5.

عشر قرناً، يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يتمكن الإنسان من الوصول إليه إلا منذ عقود قليلة، وبعد مجاهدات طويلة.¹

ويعرفه "عبد العزيز السحيباني" قائلاً: «المراد به ما ورد في القرآن من إشارات ودلالات على ما تم اكتشافه من حقائق علمية ونتائج مخبرية في الآفاق وفي الأنفس، ويشير إلى هذا المعنى قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي

أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾»²

وقد اشتدت عناية الباحثين بهذا القسم بعد الثورة الصناعية وغزو الفضاء والتقدم الهائل في العلوم التجريبية³

كما اجتهد الباحث "عبد السلام حمدان اللوح" محاولاً تقديم تعريف له بقوله: «تلك الموافقة بين المكتشفات الحديثة للسنن الإلهية وبين ما أشار إليه القرآن مع تمام المطابقة بينهما.»⁴

وفي الحقيقة تعددت المفاهيم لكنها في جملها لا تخرج عن كون الإعجاز العلمي القرآني هو إشارة النص القرآني منذ زمن بعيد إلى حقائق علمية وصل إليها العلم الحديث وأثبتتها الاكتشافات والتجارب المخبرية على وجه اليقين.

(1) النجار (زغول)، من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2007، ط4، ص31

(2) سورة فصلت، الآية: 52-53.

(3) السحيباني (عبد العزيز)، جوامع كلم القرآن وشواهد الإعجاز، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة الإمام محمد بن سعود الملكية، الرياض - السعودية، 2008، (د.ط.)، ص20

(4) اللوح (عبد السلام حمدان)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة - فلسطين، 2002، ط2، ص115.

ويتعدّد القراءات للنص القرآني كثرت الإشارات إلى الحقائق العلمية الواردة فيه وما أكثرها! يقول "موريس بوكاي" (ت/1418هـ): «لقد أدهشتني في البداية هذه الصورة العلمية الخاصة بالقرآن إلى حدّ بعيد لأنّي لم أكن أظن أبداً أنه يمكن حتى هذا الزمن أن نكتشف في نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، عدداً من اليقينيّات المتصلة بموضوعات شديدة التنوّع ومتفكّقة تماماً مع المعارف العلمية الحديثة»¹ ويقول "عبد المجيد الزنداني": «عندما دخل الإنسان في عصر الاكتشافات العلمية، وامتلك أدق الأجهزة للبحث العلمي، وتمكّن من حشد الجيوش من الباحثين، في شتى الآفاق وجمعهم في ميادينهم، على اختلاف الأجناس، يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء، وفي مجالات النفس البشرية، يجمعون المقدمات، ويرصدون النتائج، في رحلة طويلة عبر القرون، فإذا ما تكاملت الصورة، وتجلّت الحقيقة وقعت المفاجأة الكبرى، بتجلي أنوار الوحي الإلهي، الذي نزل على محمد قبل ألف وأربعمائة عام، بذكر تلك الحقيقة في آية من القرآن أو بعض آية، أو في حديث لرسول الله أو بعض حديث بدقة علمية معجزة، وعبارات مشرقة»²

التفسير اصطلاحاً:

تعدّدت توجّهات العلماء في تعريف التفسير اصطلاحاً لكنّها تجتمع في كونه فَهْمًا لِكُنْهِ النص القرآني وبيان دلالاته وكشف معانيه. يحدّده "ابن جزي

(1) بوكاي (موريس) ، التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، تر: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1990، ط3، ص 147-148.

(2) موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الرابط www.55a.net

الكلبي" (ت/741هـ) بقوله: « شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه.»¹

أما أبو حيان الغرناطي" (ت/754هـ) فيعرفه بقوله: «علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب وتتمت لذلك»²

وبشير الزركشي" (ت/794هـ) إلى مفهومه مفصلاً في ذلك، إذ هو «علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه. واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.»³

لعلّ القارئ يلاحظ أنّ مدار مفهوم التفسير يلتفّ حول بيان دلالات النصّ القرآني وكشف لغته ومعانيه وفهم كنهه سواء أكان ذلك نصّاً أم إشارةً، استعانةً بعلوم كثيرة كالعلوم القرآنية واللغوية وغيرها من العلوم.

وقد أضيف كلا المصطلحين - الإعجاز والتفسير - إلى العلم، وهو كما يعرفه الجرجاني" (ت/816هـ) «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل: العلم صفة راسخة، يُدرك بها الكليات والجزئيات.»⁴ يقول أيضاً "محمد سعيد رمضان البوطي" في تعريفه « منذ أقدم العصور، ومنذ أقدم ما وعيناه من عمر الدنيا كلها، يتوارث

(1) الكلبي (أبو القاسم محمد)، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت -

لبنان، 1995، ط1، ج1، ص9-10

(2) الأندلسي (أبو حيان)، البحر المحیط في التفسير، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط.)، 2005، ج1، ص26.

(3) الزركشي (بدر الدين)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط3، 1980، مج1، ج1، ص13.

(4) الجرجاني (علي بن محمد)، معجم التعريفات، تح: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة -

مصر، (د.ت.)، (د.ط.)، ص130.

العلماء هذا التعريف للعلم: (إدراك الشيء على ما هو عليه بدليل)...وربّما تَفَنَّنوا في العبارة فقالوا (هو تطابق المفهوم الذهني للشيء مع الماصدق الخارجي له)¹ ومن الضروري أن ننبّه هنا إلى أنّ جلّ العلماء ضيّقوا مفهوم العلم في التركيبين - نقصد الإعجاز والتفسير العلميين - وجعلوه مقصوراً على الجانب التجريبي المادي، تبعاً لتغيّر هذا المفهوم في عصرنا، فقد «انتقل العلم إلى طور جديد، وصار مقصوراً على حيّز مادي، محصور بالتجربة والمشاهدة أو الملاحظة والتفسير، وصار العلم تابعاً للعملية الآتية: أن يرصد الإنسان مادة كونية خاضعة لحاسة من حواسه ثم يمارس التجربة تلو التجربة حتى يستل من هذه التجربة رصيذاً ثم يجعل من هذا الرصيد قانوناً...ثمّ اعتبر كل ظاهرة مادية ليس لها تفسير علمي بالمعنى السابق مرفوضة وخرافة»²، وهو تصوّر غربي لمفهوم العلم وتضييق له. وللأسف الشديد خضع الفكر الإنساني له وصار الأشهر والأكثر تداولاً.

التفسير العلمي اصطلاحاً:

أولاً وقبل كلّ شيء لا بدّ أن نشير إلى أنّ المصطلح حديث لا نجده صريحاً في مؤلفات القدماء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تباينت توجّهات العلماء في العصر الحديث بخصوص تعريفه تبعاً لمواقفهم منه، فهناك مؤيد له، يتجلّى تأييده في تعريفه، وآخر معارض تدرك إنكاره من خلال المفهوم الذي قدّمه. يعرفه "أمين

(1) البوطي (محمد سعيد رمضان)، بغالطونك إذ يقولون، الصديق للعلوم، دمشق-سوريا، (د.ت)، (د.ط)، ص140.

(2) سقا(مرهف عبد الجبار)، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ضوابط وتطبيقات، دار محمد الأمين للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، 2010، ط1، ص44

الخولي" (ت/1966) فيقول: « التفسير الذي يُحَكَّم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها»¹ في الحقيقة يحتاج التعريف إلى كثير من الدقة فعبارة (يُحَكَّم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن) عامة، غامضٌ المقصود منها، تفتقر إلى الضبط، والأكثر من ذلك يقوِّي حُجَّة الرافضين لهذا النوع من التفسير عندما يرى أنّ المفسّر يجتهد لاستخراج مختلف العلوم من القرآن، فيبدو الأمر مُقَحَّمًا في النص القرآني إقحامًا. ثمَّ إنّ الشَّأن يُقصد به إشارات وليس علومًا.

أما "صلاح الخالدي" فيرى أنّه « تفسير الآيات تفسيرًا علميًا، وفق قواعد العلم الحديث، وبيّنون [ويقصد أصحاب الاتجاه العلمي في تفسير القرآن] المضامين العلمية للآيات، وفق مقرّرات وتحليلات العلم الحديث»²

ولا يبتعد "أحمد أبو حجر" عن هذا المعنى، فالتفسير العلمي بالنسبة إليه هو « فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبتته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه»³ ما يشير إليه التعريفان الأخيران هو أنّ التفسير العلمي قراءةً للآيات وفهْمٌ لها انطلاقًا من مرجعية علمية، وهو شيء إيجابي، لأنَّ الأصل في التفسير هو بيان دلالات النص القرآني والكشف عن مضامينه، وما يُخصَّص التفسير العلمي هو انطلاقه من مرجعية علمية ومن ثمَّ استنثار وسائل وآليات تتماشى والعلمية خلافا لما يظن الكثيرون في أنّه محاولة لاستخراج العلوم من النص القرآني بُغية مقابله لما يُغدق علينا العلم من اكتشافات ونظريات وكذا إثبات صدقه... إنّ الأمر أسمى من هذا

(1) الخولي (أمين)، التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، مكتبة الأسرة، 2003، ط1، ص19-20.

(2) الخالدي (صلاح)، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، دار القلم، دمشق - سوريا، 2008، ط3، ص:566.

(3) أبو حجر (أحمد)، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار قنتية للطباعة والنشر، 1991، ط1، ص:72.

بكثير وأبسط في الوقت نفسه، إنه محاولة تجديد قراءة النص القرآني بمعطيات العصر العلمية وهو استجابة طبيعية للتغيرات المعرفية.

إذاً القاسم المشترك بين هذه التعاريف هو النظرة العلمية للنص القرآني وقراءته قراءة علمية موضوعية، استعانةً بالعلوم وما تقدّمه من حقائق أثبتتها الدراسات والبحوث في كشف مضامينه وتحليلها دون تكلف أو مغالاة أو إقحام أفكار أو نظريات لا يتحمّلها النص، وهو شرط ومعيار لا بدّ التعامل معه بكل صرامة وموضوعية. لهذا نعتبره - أي التفسير العلمي- اتجاهاً من اتجاهات التفسير التي يُتعامَل بها مع النص القرآني لكشف أسراره وإدراك كنهه. وهو اتجاه علمي اقتضاه التراكم المعرفي الذي نعيشه وسيادة التفكير العلمي الموضوعي الذي استبدّ بالعقل الإنساني.

بين الإعجاز والتفسير العلميين:

من خلال المفاهيم المقدّمة آنفاً يتّضح الفرق بين التفسير والإعجاز العلميين، فالتفسير العلمي هو قراءة للنص القرآني بإجراءات وآليات علمية واستناداً على معطيات علمية واستثمارها استثماراً صحيحاً دقيقاً للكشف عن معانيه ومضامينه، أو كما يراه " عبد العزيز المجذوب" هو: «أن يفهم المسلمون في كل عصر من العصور النص القرآني حسب عقولهم، وحسبما تزوّدت تلك العقول من ثقافات علمية تختلف من عصر إلى عصر»¹. أما الإعجاز - كما ذكرنا - فهو إثبات أن النص القرآني قد أشار منذ زمن بعيد إلى حقائق علمية وصل إليها العلم الحديث وأثبتتها الاكتشافات على وجه اليقين.

(1) المجذوب (عبد العزيز)، الإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980،

فالتفسير العلمي إذاً عملية تسبق محاولة إثبات إعجاز القرآن وأعمّ منها، فالعلاقة بينهما علاقة عام بخاص. لذلك قد يستهدف هذا النوع من التفسير إظهار مواضع الإعجاز العلمي، وقد يكتفي بكشف المضامين وتحليل النص القرآني تحليلاً علمياً. بهذا يتجلى أنّ التفسير من هذا النوع يُعدّ مقدّمة للإعجاز، وهذا الأخير هو ثمرة من ثماره.

ثانياً. المفهوم الاصطلاحي؛ مقارنة معجمية اصطلاحية

نحاول في هذه الجزئية أن نفكك هذه الضميمة اللغوية والإمام بمفهومها لنُجَلِّي القصد من جزئية تُركَّب عنوان هذه الأطروحة إنها (المفهوم الاصطلاحي) والذي يُعدّ من أهمّ نواتج العلم. ويقضي العُرف العلمي والأكاديمي أن نعرّف المصطلحات بدءاً بمدلولها اللغوي بحثاً عن جذورها واشتقاقاتها ودلالاتها اللغوية انتقالاتاً إلى مفهومها الاصطلاحي المتواضع عليه. فالأمر إذاً يستدعي البيان اللغوي في بعض معاجم اللغة ومن ثمّ تأسيس المفهوم الاصطلاحي.

المفهوم لغة:

يرتد لفظ (المفهوم) - وهو اسم مفعول - إلى المدخل المعجمي (فهم)، يقول " الخليل بن أحمد" (ت/170هـ) : «فهمتُ الشيء فَهَمًا وَفَهَمًا: عرفتُهُ وعقلتُهُ، وفهمتُ فلاناً وأفهمته: عرفتُهُ، وقرأ ابن مسعود ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء:79]، ورجل فَهَمٌ: سريع الفهم»¹ وهو أصل واحد أجمل دلالاته " ابن فارس" (ت/395هـ) في «علم الشيء»² وفصله " ابن منظور" (ت/711هـ) قائلاً: « الفهم معرفتُك الشيء بالقلب... وفهمتُ الشيء عقلتُهُ وعرفتُهُ»³ وأما المعجم الوسيط فبسط القول فيه متجاوزاً المعنى اللغوي إلى الاصطلاحي، فالفهم: «حُسْنُ تصوّر المعنى وجودة

(1) الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، تح وتر: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003، ط1، ج3، (مادة فهم)، ص344.

(2) ابن فارس (أحمد)، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج4، (مادة فهم)، ص457.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، (مادة فهم)، ص3481.

استعداد الذهن للاستنباط... والمفهوم: مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كَلِّي ويقابله الماصدق»¹

إدًا ما يُتِيحه المعنى المعجمي هو كون الفهم معرفة الشيء وأنه عملية ذهنية.

المفهوم (Concept) اصطلاحاً:

انطلاقاً من المرجعية اللغوية يتأسس مفهومه الاصطلاحي حتى وإن كانت تتنازعه حقول معرفية كثيرة كالحقل البيداغوجي والمنطقي والأصولي وفي كل واحد منها يُنَزَع بعد الدلالة العامة إلى خصوصيةٍ يتفرد بها.

وفي واقع الأمر يثير هذا المصطلح كثيراً من الإشكالات بدءاً من تعدد التسميات الدالة عليه إلى مفهومه ليس في العربية فقط بل في اللغات العالمية، يشير إلى ذلك "علي القاسمي" قائلاً: «من مشكلات (المفهوم) تسميته فهي مضطربة في كثير من اللغات العالمية بما فيها العربية وتختلف من عصر لعصر ومن مدرسة فكرية لأخرى، وهكذا نجد في العربية المعاصرة مصطلحات متعددة للتعبير عن معناه مثل مفهوم، تصوّر، ومعنى عام، وفكرة، وترد هذه الألفاظ كلّها أو بعضها بمثابة مقابلات مترادفة للمصطلحات الانجليزية والفرنسية Concept و Notion»²

هذا الاختلاف منشؤه التباين الشديد بين الفلاسفة - ومنذ زمن طويل - في تحديد طبيعة المفهوم ووجوده بالمقارنة مع وجود الأشياء، فبناءً على نظرية المثل لأفلاطون (ت/347ق.م) يرى المذهب الواقعي أن المفاهيم لها وجود مستقل وهي

(1) أنيس (إبراهيم) وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، 2004، ط4، ج5، (مادة فهم)، ص3481.

(2) القاسمي (علي)، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت -

لبنان، 2008، ط1، ص327.

كائنة قبل الأشياء، وأما المذهب التصوري فيذهب إلى أن موطن المفاهيم هو الذهن، ووجودها بالمقارنة مع الأشياء بَعْدِي، ذهب إلى ذلك الفلاسفة التجريبيون، في حين ينفي المذهب الإسمي وجود المفاهيم في الذهن والواقع، ويعتبرها مجرد أَلْفَاظ ورموز لأشياء حولنا.

ألقي هذا الصراع الفلسفي القديم بظلاله على مفاهيم هذا المصطلح التي حددها المتخصصون والهيئات العالمية كالمنظمة الدولية للتقييس والتي تأرجحت بين العقلية والتجريبية، لكنّ المصطلحيين الكنديين قدّموا في الثمانينيات تعريفاً شاملاً حاول أن يتجاوز نقائصٍ وثرغراتٍ في التعريفات التي سبقته وهو أنّ « المفهوم تمثيل فكري لشيء ما (محسوس أو مجرد) أو لصنف من الأشياء لها مُسمّيات مشتركة ويُعبّر عنه بمصطلح أو رمز»¹

وبناءً على هذه المرجعية، يرى أهل الاختصاص أنّ المفهوم هو « الصورة الذهنية سواءً وُضِعَ بإزائها الألفاظ أو لا »² وهذا يشير إلى أسبقية وجود المفاهيم مقارنةً بالمصطلحات. وكونه صورة ذهنية يعني أنّه « وحدة فكرية منعكسة عن تجميع الموضوعات الفردية عامة التي يرتبط بعضها ببعض بسمات مشتركة»³

وقريب من هذا المفهوم تعريف "ماريا تيريزا كابري" إذ ترى أنّ « مفهوم ما هو عنصر تفكير وبناء ذهني يمثل شيئاً فردياً مادياً أو غير مادي، يتكون من سلسلة

(1) المرجع السابق، ص328.

(2) الكفوي(أبو البقاء أيوب بن موسى)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة

خطية وأعدّه للطبع:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1998، ط2، ص860.

(3) ساجر، ج، نظرية المفاهيم(في علم المصطلحات)، تر: جواد حسني سماعنة، مجلة اللسان العربي، المنظمة

العربية للترجمة والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع47، 1999، ص189.

خصائص مشتركة بين صنف أشياء فردية. والمفهوم يُوجد نفسياً باستقلاليةٍ عن المصطلح ويسبق نوعاً ما تسميته»¹

وُرَكِّز في تحديد تعريف (المفاهيم) على التجريد، فهي أبنيةٌ عقليةٌ أو تجريداتٌ أو موضوعاتٌ كلٌّ حقول المعرفة*، وعلى هذا «تتنظم المفاهيم وتُصنّف في مجموعات مادية تماماً كما الأشياء ذاتها، في تشكّلها المادي (الفيزيقي)، الذي يعكسه الواقع، كما يُلاحظ ذلك في حقول النبات والمعادن والكيمياء.»²

وبهذا تتحدّد طبيعة المفهوم، إنّه وحدة فكرية مجردة تشكّل موضوعاً أو حقيقة ما في حقل معرفي. فإن خصّصنا المفهوم العلمي فإنّما نقصد وحدة فكرية علمية أو تصوراً عقلياً مجرداً يدل على شيء أو موضوع أو ظاهرة أو حقيقة علمية معينة، ويتأسّس انطلاقاً من ربط الحقائق العلمية بعضها ببعض وإيجاد العلاقات القائمة بينها وتمّ «تعميمها»³.

أنواع المفهوم:

انطلاقاً من التعريفات السابقة يُحدّد نوعان للمفهوم وهما:

- 1- المفهوم المحسوس: الدال على أشياء حسية.
- 2- المفهوم اللامحسوس (اللفظي): والدال على أشياء لا تُدرَك بالحس كمفهوم الفقر والمرض.⁴

(1) كابري (ماريا تيريزا)، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، تر: محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2012، ط1، ص65-66. (بتصرف يسير).

* انظر: ساجر، ج، نظرية المفاهيم (في علم المصطلحات)، مجلة اللسان العربي، مرجع سابق، ص189

(2) كابري (ماريا تيريزا)، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، مرجع سابق، ص191.

(3) زيتون (عايش محمود)، النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2007، ط1، ص481.

(4) للتوسّع أنظر: علم المصطلح، علي القاسمي، مرجع سابق، ص328.

مناهج تشكيل المفاهيم ومنظوماتها:

لا يخفى على القارئ أنّ أيّ حقل معرفي لا بدّ من احتوائه على مجموعة من المفاهيم ترتبط فيما بينها عن طريق خصائصها أو ملامحها التي تتشابه فيها أو وظيفتها، هذا الترابط بين هذه المفاهيم يشكّل لنا منظومات مفاهيمية، لأنّ النظر إلى المفهوم بصفته جزءاً مفرداً دون مراعاة النسق الذي ينضمّ إليه أو ما يحيط حوله من مفاهيم أخرى لا يُجدي نفعاً بل يحدث القطيعة بين المفهوم ومصطلحه ومنظومته. يُحدّد "ج.ساجر" أربعة مناهج في تشكيل المفاهيم ومنظوماتها وهي¹:

1- إدراج المفاهيم في مجموعات من خلالها تُحدّد وتُعرّف، فمفهوم (الأرض) مثلاً يُصنّف في مجموعة الكواكب.

2- كما يمكن جمع المفاهيم في أصناف (Categories) وفق درجات وبسماتٍ مُميّزة انطلاقاً من خاصية مشتركة كالحیوانات ذات الأطراف الأربعة التي يمكن تصنيفها من خلال سمة معيّنة كأن تكون علاقتها بالإنسان، وبهذه الحال تُصنّف إلى حيوانات داجنة وبریّة.

3- باستطاعتنا أيضاً أن نصنّف المفاهيم انطلاقاً من العلاقات النهائية التي تتمايز بها فالطاولات والموائد والكراسي تتدرج كلها ضمن مفهوم (الأثاث) ولكنها تتمايز فيما بينها في كون بعضها ينضم ضمن مفهوم (الأثاث المنزلي) والآخر ضمن (الأثاث المكتبي).

4- وقد نصنّف المفاهيم حسب وظيفتها وشروط استعمالها كإدراج مفهوم التفاعل الكيميائي والمركب الكيميائي في منظومة مفهومية واحدة انطلاقاً من الوظيفة مثلاً. بهذه الطرق والمناهج نستطيع إذاً بناء منظومات مفهومية انطلاقاً من الأصناف والخاصيات والعلاقات والوظائف.

(1) انظر: ساجر، ج، نظرية المفاهيم (في علم المصطلحات)، مرجع سابق، ص 198-199.

الاصطلاح لغة:

الاصطلاح والمصطلح الأول مصدر والثاني قيل فيه وجهان؛ مصدر ميمي أو اسم مفعول متعلق بمحذوف وكلاهما مشتق من الفعل (اصطاح) وهو من الجذر (صلح) وتُجمع المعاجم اللغوية على أنّ دلالاته هي نقيض السلم والفساد، يقول ابن فارس: « الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد»¹ ويضيف ابن منظور "دلالة «السلم»². كما ارتقت دلالاته إلى التجريد وصار يدل على الاتفاق والمواضعة ولعلّ بنيته الصرفية تُسهم في إحداث تلك الدلالة لما تحمله من معنى « التصرّف والاجتهاد »³، وها هو " المعجم الوسيط" يؤكد ذلك « فاصطاح القوم: زال ما بينهم من خلاف. واصطاحوا على الأمر تعارفوا عليه واتفقوا. والاصطاح اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطاحاته»⁴

"الاصطلاح" اصطلاحاً:

الذي يتأمل هذه المعاني يلقي تقارباً بينها وبين المفهوم الاصطلاحى للكلمة بل تأسيساً له، فالاصطلاح أساساً « اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول. وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما. وقيل:

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج3، (مادة: صلح)، ص303.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، (مادة: صلح)، ص3481.

(3) الإشبيلي (ابن عصفور)، الممتع في التصريف، تج: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1987، ط1، ج1، ص193.

(4) أنيس (إبراهيم) وآخرون، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص520.

الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى آخر لبيان المراد. وقيل الاصطلاح لفظ معيّن بين قومٍ معيّنين.¹

فالمصطلح إذاً «علامة متفق عليها تمثل تصوّراً ذهنياً في مجال معرفة معيّن»² وهذا المفهوم يحدّد سمات المصطلح، وهي:

- كونه علامة.
- وُضِعَ بالاتّفاق والمواضعة.
- يعبر عن مفهوم أو محتوى أو تصوّر ذهني.
- ينتمي إلى حقل معرفي خاص.

هذا المفهوم بسماته المذكورة أنفاً يشير إليها "الفهري" معرّفًا المصطلح بقوله: «لغة خاصة أو معجم قطاعي يُسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معيّن»³ ويفصّل "خليفة الميساوي" في ذلك قائلاً: «ويستعمل المصطلح للدلالة على مفهوم اتفق عليه واضعوه و يجريه المتكلم في الخطاب في سياق مخصوص ويشحن المصطلح بدلالة خاصة تساعد على تصنيفه في حقل معجمي خاص وتكسبه هوية علمية مميّزة وتتأسس هذه الهوية على مجموعة من العلاقات الرابطة بينه وبين المصطلحات المكوّنة للمجال العلمي الذي نشأ فيه»⁴

(1) الجرجاني(الشريف)، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1998، ط4، ص44.

(2) فيلبر، Manuel de terminologie، نقلاً عن ماريا تيريزا كابري، المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، مرجع سابق، ص144.

(3) الفهري(عبد القادر الفاسي)، اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت-لبنان، 1986، ط1، ج2، ص228.

(4) الميساوي(الخليفة)، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ط1، ص152.

وإذا كان المفهوم هو عماد فهم المعارف والعلوم وبتعريفه يتأتى «الوصول بالخطاب العلمي إلى مستوى الدقة»¹، فالمصطلح - كما يرى "الشاهد بوشيخي" - هو «عنوان المفهوم»²

وبهذه اللمحة السريعة والموجزة يتضح مقصدنا من المفهوم الاصطلاحي العلمي، إنه فكرة علمية في حقل علمي تمّ الاصطلاح عليها، يشكّل موضوعاً أو حقيقة أو نظرية علمية في تخصصات مختلفة كالعلوم التجريبية والدقيقة والإنسانية والاقتصادية والتقنية... الخ.

(1) وعزيز (الطاهر)، مقال موسوم بـ"المفاهيم طبيعتها ووظيفتها"، مجلة المناظرة، مجلة فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج الفلسفية، المعاهد-الرباط، ع 1، السنة الأولى، شوال 1409هـ/يونيه 1989م، ص 07.

(2) الشاهد البوشيخي، مقال بعنوان (قول في المصطلح)، مجلة دراسات مصطلحية، ع 01، 1422هـ/2001م، ص 06.

القسم النظري

الفصل الأول

اللغة بين التوظيف القرآني والاستعمال العربي

أولاً. اللغة القرآنية خصائصها وأسرارها.

ثانياً. التعالق في اللغة والاصطلاح.

أولاً - اللغة القرآنية؛ خصائصها وأسرارها:

إنّ النصّ القرآني خلافاً لكل النصوص البشرية نصٌّ "كوني" في موضوعاته و"مُطلق" في تركيبته، وهو خطابٌ ممتدّ عبر الزمان والمكان... خطابٌ على الرغم من أنّه «تنزّل قبل خمسة عشر قرناً وعلى بيئة رعية وزراعية تُعتبر الأكثر تخلفاً في محيط عصرها الحضاري نفسه ومركّبة على عقلية إحيائية وقبلية، يُستعاد مُجدداً في عصر العلم والعالمية بمتغيّراته النوعية»⁽¹⁾

وهنا بالضبط تكمن إعجازية هذا النص، إنه بنية واحدة لم ولن تتغيّر إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، إلا أنّ معانيه مفتوحة وفهمه يختلف «تبعاً للتركيب والفارق النوعي في تطور العقل البشري»². هذه السّمة بالذات انعكست على لغة هذا النص، فكانت هي الأخرى مفتوحةً على الأزمنة والأمكنة، مكتملةً، غير قاصرة قصور اللغة الإنسانية، التي «يتبعها كظلمها حاجزٌ من عدم الدقّة النهائية أو عدم الاكتمال باعتبار تبعيتها للإنسان والطبيعة وباعتبار انفصالها أيضاً عنهما»⁽³⁾

وسرّ هذا الانفتاح والكمال بالإضافة إلى طبيعة النصّ القرآني التي أشرنا إليها هو إبداع النصّ القرآني في تخيّر المفردة وانتقائها، وهذا ما يؤكده "عبد الصبور شاهين" (ت/2010م) عندما يرى أن الإعجاز القرآني يبدأ «من أبسط عناصر الأسلوب القرآني وهو اللفظ المفرد، ففي هذا العنصر تمتّ معجزةٌ تقدرت بها قدرة الله»⁽⁴⁾ ثم يضيف «ولا ريب أنّ ما ينطوي عليه القرآن من دلالات تراكيبه وعباراته وجمله وآياته، هو في الحقيقة نابع من دلالة كلماته ومفرداته»⁽⁵⁾.

(1) حاج حمد (محمد أبو القاسم)، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية، دار الهادي، بيروت - لبنان، 2004، ط1، ص33.

(2) حاج حمد (محمد أبو القاسم)، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، بيروت - لبنان، 2003، ط1، ص96.

(3) عبد الهادي (عبد الرحمن)، سلطة النصّ قراءات في توظيف النصّ الديني، دار سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، 1998، ط1، ص342-343.

(4) شاهين (عبد الصبور)، عربية القرآن، مكتبة الشباب، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص83.

(5) المرجع نفسه، ص84.

يشير "عبد الفتاح لاشين" إلى تفرّد النص القرآني في توظيف مفرداته قائلاً: «لقد كان القرآن دقيقاً في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته... فإذا صار اللفظ معرفةً كان ذلك بسبب، وإذا انتقاه نكرةً كان ذلك لغرض... وقد يختار الكلمة ويُهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة، وقد يُفضّل كلمةً على أخرى والكلمتان بمعنى واحد*... وهكذا دائماً: لكل مقام مقال في التعبير القرآني»⁽¹⁾

هذا التميّز الانتقائي هو الذي جعل المفردة القرآنية مُدخلاً لبيان القرآن وفهم نصّه، لذلك قال "الراغب الأصفهاني": «أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبّ في كونه من أول المُعاون في بناء ما يريد أن يبينه... فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب ورُبدته...»⁽²⁾

ولهذا أيضاً توجّهت الأنظار منذ بدء نزول القرآن وإحداثه الصدمة اللغوية لدى العرب إلى هذه المفردات فاعتنوا بها أيّما اعتناء بحثاً عن معانيها ودلالاتها الجديدة فالمفردة هنا بين واحدة مألوفة استعملها القرآن استعمالاً جديداً أو أخرى لم يألفها العربي، فلجأ العلماء إلى تصنيف كتب الغريب ثم معاني القرآن والوجوه والنظائر ومعلوم أنّ نقطة التقاطع بين العلوم الثلاث - أساساً - هو البحث في معاني المفردة القرآنية وتعدّد دلالاتها بتعدد سياقاتها.

والذي أكسب المفردة القرآنية هذه الخصوصية هو وضعها في المكان المناسب في الخطاب القرآني، إذ نجدّها متناسبة مع السياق الذي وردت فيه سواء

(* أي تبدو الكلمتان بمعنى واحد وهذا هو الأدق.

(1) لاشين (عبد الفتاح)، صفاء الكلمة في التعبير القرآني، دار المريخ، الرياض، 1983، (د.ط.)، ص 15-16.

(2) الأصفهاني (الراغب)، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص 54-55.

أ كان ذلك من جهة دلالتها التي تكتنرها أم مناسبتها لما جاورها من وحدات، وهو الشيء الذي جعلها ذات فاعلية وظلال قوية في النص القرآني، يقول "الجرجاني" في ذلك: «... وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعُشراً عُشراً، وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أخرى أو أخلق. بل وجدوا اتساقاً بهر العقول... ونظاماً والتثاماً وإتقاناً وإحكاماً»⁽¹⁾

إذاً لا يمكن للمفردة القرآنية وهي داخل السياق أن تجد بديلاً لها أو مرادفاً يؤدي دلالاتها، بل تضيق عليك اللغة بما رحبت ولن تجد لمرادك سبيلاً.

يشير إلى ذلك " أحمد أحمد بدوي" (ت/1964) قائلاً: « يتأق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها يستخدم كلاً حيث يؤدي معناه في دقة فائقة، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وقّت به أختها.»⁽²⁾

تأمل معنا موقف "الأصمعي" (ت/216هـ) وهو ينقل الآية ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾. فقال سهواً: ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وإلى جنبه أعرابي، فقال: كلامٌ من هذا؟ قال: كلام الله؟ قال: أعد، فأعاد "الأصمعي" الآية كما تلاها أول مرة، فقال الأعرابي: ليس هذا كلام الله، فتنبّه "الأصمعي" وقال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقال "الأصمعي": أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فسأله: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.»⁽⁴⁾

(1) الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ط5، ص39.

(2) بدوي (أحمد أحمد)، من بلاغة القرآن، شركة نهضة مصر، 2005، (د.ط)، ص51.

(3) سورة المائدة، الآية 38.

(4) أنظر: ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين)، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، 2002، ط1، ص382. (بتصرف يسير)

فالأعرابي لا يحفظ القرآن وغير مطلع عليه، ولكنه أدرك الخطأ انطلاقاً من دلالة الكلمتين (غفور ورحيم) ودلالة سياق الآية ككل، فامتنع عنده التناسب بينهما.

ولهذا لا تحدث المناسبة إلا إذا تحقق التلاؤم والالتزام بين المفردة وسياقها، وهذا هو سر الكلام البليغ، يقرر ذلك "الخطابي" عندما يقول: «ثم اعلم أنّ عمود هذه البلاغة التي تُجمَع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»⁽¹⁾

وهو الأساس الذي بنى عليه "الجرجاني" - فيما بعد - موقفه من إعجاز القرآن في نظرية النظم. وهذا رأي جلّ العلماء الذين درسوا الإعجاز البياني للقرآن قديماً وحديثاً، ف"الجاحظ" (ت/255هـ) يقول: «وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السَّغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة...»⁽²⁾

و"الباقلائي" (ت/402هـ) يرى أنّ الارتباط الوثيق بين الكلمة القرآنية وسياقها هو الذي ميّزها وجعلها متفردة، يقول: «وأنت ترى الكلمة من القرآن يُتمثل بها في تضاعيف كلام كثير هي غرة جميعه وواسطة عقده والمنادي على نفسه بتميّزه وتخصّصه برونقه وجماله واعتراضه في جنسه ومائه.»⁽³⁾

(1) الخطابي (أبو سليمان حمد)، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ط3، ص 29.

(2) الجاحظ (أبو عثمان عمرو)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1998، ط7، ج1، ص 20.

(3) الباقلائي (أبو بكر)، إعجاز القرآن، دار الفكر، بيروت - لبنان، 2008، (د.ط)، ص 615.

ولا يخرج المحدثون عن هذا، "فالرافعي" (ت/1356هـ) مثلاً يرى أنّ المفردة القرآنية قد وُضعت في موضعها الذي لا يمكن أن يكون لغيرها، فإن فعلت ذلك عمداً وقسراً خربت ذلك النظم وشتتت دُرره، يقول: «ولا تقع منه على لفظ واحد يحل بطريقته مادامت تتعطف على جوانب هذا الكلام الإلهي، ومادام في موضعه من النظم والسياق، فإذا أنت حرّفت ألفاظه من موضعها، أو أخرجتها من أماكنها وأزلتها عن روابطها حصلت معك ألفاظ كغيرها يدور في الألسنة ويجرى في الاستعمال»⁽¹⁾

ويلتفت "الرافعي": إلى نقطة طريفة- وإن لم تكن جديدة- تُنمّ عن نكائه وحسّه اللغوي وإلى مدى إبداعية اللغة القرآنية، فيقول: «لا جرم أنّ المعنى الواحد يُعبر عنه بألفاظ لا يجزي واحد منها في موضوعه عن الآخر إن أُريد شرط الفصاحة لأنّ لكل لفظ صوتاً ربما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه والذي تساق له الجملة»⁽²⁾

بل يذهب "محمد العاني" إلى أكثر من هذا، حين يصرّح أنّ «ضبط مدلول المفردة القرآنية يحتاج إلى جهد كبير يستدعي الكثير من الألفاظ الأخرى والآيات والمواضيع، وبعد ذلك لا يصبح السياق الأصغر هو الضابط للمعنى بل يصبح معنى المفردة المحدد من خلال السياق الأكبر هو الضابط للسياق الأصغر، فالمفردة هي التي تضبط معنى الآية وليس العكس»³

وتتخذ "عائشة عبد الرحمن" (ت/1419هـ) خصوصية المفردة القرآنية منطلقاً في مناقشة قضية الترادف في النص القرآني في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) إذ تقول: «والأمر كذلك في ألفاظ القرآن: ما من لفظ فيه يمكن

(1) الرافعي (مصطفى صادق الرافعي)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1999، ط2، ص243-244.

(2) المرجع السابق، ص226.

(3) حاج حمد (محمد أبو القاسم)، الحاكمية، مراجعة وتحقيق: محمد العاني، دار الساقي، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، ص21. (ورد قول "محمد العاني" في مقدمة هذا الكتاب الذي حققه.)

أن يقوم غيره مقامه. وذلك ما أدركه العرب الخالص الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن»⁽¹⁾

وتتطلق من هذه المرجعية في تفسير النص القرآني تفسيراً بيانياً بمقاربة موضوعية- متأثرة في ذلك بأستاذها- "أمين الخولي" (ت/1385هـ)- منطلقاً من (المفردة) بصفتها اللبنة الأولى الدالة على معنى، فتتبعها في سياقاتها المختلفة مستنبطاً دلالاتها، وقد جسدت ذلك في دراستها (القرآن و قضايا الإنسان)⁽²⁾. وغير بعيد عن هذا الاتجاه يتخذ المستشرق الياباني "توشيهيكو ايزوتسو" (Toshihiko Izutsu) (ت/1413هـ) المفردة مدخلاً لفهم النص القرآني وكان ذلك في دراسة بعنوان (بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن) و (الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم)⁽³⁾.

في واقع الأمر، تدل هذه الدراسات على مدى أهمية المفردة القرآنية ومحوريتها في مقارنة النص القرآني وفهمه، فكل مقارنة أو دراسة للمفردة من شأنه أن يفتح باباً من أبواب فهمه. ويعدُّ "سيد قطب" (ت/1966م) المفردة القرآنية أحد أهم عناصر التصوير والتناسق الفني في القرآن، إذ يقول: « والتناسق ألوان ودرجات...منها ذلك التنسيق في تأليف العبارات، بتخيّر الألفاظ ثم نظمها في نسق خاص، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها...ومنها ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيّر الألفاظ»⁽⁴⁾

كما يتجلى الإعجاز أيضاً في التصوير الفني الذي تحدثه المفردة القرآنية هي بذاتها، يصف ذلك "سيد قطب" قائلاً: « وقد يستقل لفظ واحد- لا عبارة كاملة-

(1) عبد الرحمن (عائشة)، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1971، (د.ط)، ص 194.

(2) أنظر: عبد الرحمن (عائشة)، القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ت)، (د.ط).

(3) توشيهيكو ايزوتسو، الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، تر: هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 2007، ط1.

(4) قطب (سيد)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2002، ط16، ص 87.

برسم صورة شاخصة- لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة - وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير... وأقرب إلى قمة جديدة في التناسق. خطوة يزيد من قيمتها أن لفظاً مفرداً هو الذي يرسم الصورة، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال وتارة بالجرس والظل جميعاً»⁽¹⁾ ويضرب في ذلك أمثلة كثيرة كدلالة ﴿أَتَأْقَلْتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾⁽²⁾ فهي تصوّر ذلك الثقل وكأنها تحمل أطنانا. وكذلك مفردة ﴿لَيْبِطَنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيْبِطَنَّ﴾⁽³⁾، و﴿أَنْتَرِمُكُمْوهَا﴾⁽⁴⁾ و﴿يَصْطَرِحُونَ﴾⁽⁵⁾ و﴿عُتِلَّ﴾⁽⁶⁾ فكل هذه المفردات وغيرها كانت هي بذاتها تصوّر دلالتها وتوحي بظلال معانيها، وما يزيد المفردة القرآنية تميزاً هو كونها مبعثاً لموسيقى قرآنية داخلية نابعة من «انسجام الحروف فيها»⁽⁷⁾

يذهب "صلاح عبد الفتاح الخالدي" المذهب نفسه حين يقول: « يرسم الصورة الفنية الْمُتَخَيَّلَةَ لفظاً واحد في الآية. وهذا اللون من التناسق التصويري لم يُعَرَفْ إلا في التعبير القرآني، لأنه لا يستطيع أيُّ أديبٍ فنانٍ رَسَمَ صورةً فنيةً شاخصةً بلفظ واحد فقط»⁽⁸⁾

(1) المرجع نفسه، ص 91.

(2) سورة التوبة، الآية 38.

(3) سورة النساء، الآية 72.

(4) سورة هود، الآية 28.

(5) سورة فاطر، الآية 37.

(6) سورة القلم، الآية 13.

(7) قطب (سيد)، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص 102.

(8) الخالدي (صلاح عبد الفتاح)، إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرياني، دارعمار، الأردن، 2000، ط1،

لكنّ العجيب في هذه المفردة أنّها تجمع إلى هذا الجمال الفني والاختيار المتميّز الدقّة العلمية، والدلالة المتخصصة التي تتعد كل الابتعاد عن العمومية، بل تطابق معناها أو مفهومها تمام المطابقة، فلا تجدها فضاضة عنه ولا تقصّر قدر أنملة في أدائه، لتثبت أنها خلقت له، فتُحدّث أمرين: أداء المعنى بدقّة لا مثيل لها ورونق بلاغي لا يضاهيه رونق. يشرح ذلك "محمد سعيد رمضان البوطي" (ت/2013) بقوله: « إنّ للكلمة القرآنية مزية لا تجدها في الكلمات في الخطاب الإنساني لأنها: أ- تتناول من المعنى سطحه وأعمقه وسائر صورته.

ب- تمتاز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتمّ مع المعنى المراد فمهما استبدلت بها غيرها، لم يسد مسدّها ولم يُغنِ غناءها ولم يؤدّ الصورة التي يؤديها... فإذا استنفدت اللغة طاقتها ولا تزال بقيّة من المعنى أو الصورة شاردة وراء حدود اللغة، اتسعت لها الكلمة القرآنية وشملتتها عن طريق ما تتسم به من جرس ووزن وإيقاع»⁽¹⁾ ويستشهد بمفردة (مُؤْمِنِينَ) من قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتًا أَمْ خُنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٦﴾ خُنُ جَعَلْنَهَا تَذَكْرَةً وَمَتَعًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾﴾⁽²⁾ فهذه المفردة في هذا السياق تكتنز دلالات متعددة بل تتميز بكثافة إيحائية « فدارٌ قواء: خلاء، وأقوى القوم نزلوا في القواء... وبيات فلان القواء، وبيات القفر إذا بات جائعاً على غير طعم، وقال "حاتم الطائي":

إني لأختار القوا طأوي الحشا ** محافظةً من أن يُقال لئيم *

وأقوى الرجل: نفذ طعامه وفني زاده... وأقوى الرجل وأقفر وأرمل إذا كان بأرض قفر ليس معه زاد. وأقوى إذا جاع فلم يكن معه شيء وإن كان في بيته وسط قومه»⁽³⁾

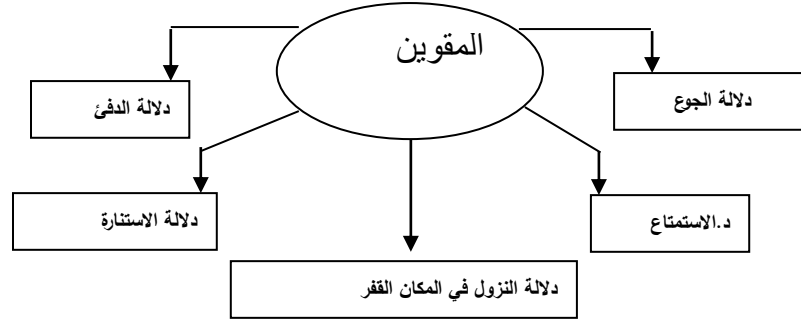
(1) البوطي (محمد سعيد رمضان)، من روائع القرآن الكريم، تأملات علمية و أدبية في كتاب الله، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1996، (د.ط)، ص 139-140.

(2) سورة الواقعة، الآية 72-73.

(* انظر: الطائي (حاتم)، ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت-لبنان، 1981، (د.ط)، ص 86. لكن ورد البيت بالصيغة التالية: لقد كنت أطوي البطن و الزاد يُشتهي مخافةً يوماً أن يُقال لئيم

(3) أنظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 5، مادة (قوا)، ص 3790.

ويورد "الثعلبي" (ت/427 هـ) في تفسيره: «وقال مجاهد «المقوين» يعني للمستمتعين من الناس أجمعين، المسافرين والحاضرين يستضيء بها في الظلمة ويصطلي بها في البرد وينتفع بها في الطبخ والخبز وتذكر بها نار جهنم فنستجير الله منها»⁽¹⁾



«هذا هو الإعجاز القرآني الذي منح اللفظ العربي امتدادا في المدلول فأحدث ثورة لغوية لم تعرفها لغة من لغات البشر.»⁽²⁾

وقد استهوانا كثيرا ما ختم به "عبد الصبور شاهين" أحد فصول كتابه (عربية القرآن) حتى كأنه تحدث بلسان حالنا عندما قال: «وأخيرا لقد وَضَحَ لنا، بعد أن طبقنا هذه الفكرة (ويقصد دراسته الدلالية) على بعض المفردات أننا بصدد نظرية جديدة في دلالة الألفاظ القرآنية تدل على إعجاز القرآن بقدر ما دلت نظرية القدماء على الإعجاز البلاغي التركيبي، بل إن هذا التصور الجديد أكثر خصوصيةً وأعظم ثراءً للغة العربية في باب المفردات»⁽³⁾

إن الخصائص التي ذكرناها لا تمثل إلا النزر اليسير من خصائص المفردة القرآنية ومع ذلك تعلل لنا خصوصيتها وتأثيرها في أسلوبية النص القرآني.

(1) (الثعلبي) (أبو اسحاق)، الكشف و البيان المعروف بتفسير الثعلبي، تح: أبو محمد بن عاشور، مر: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2002، ط1، ج9، ص 217.

(2) شاهين (عبد الصبور)، عربية القرآن، مرجع سابق، ص 93.

(3) المرجع نفسه، ص 94-95.

ولعلك لاحظت فيما أوردناه، أنّ النظر إليها كان من زاوية معجمية وأخرى فنية بلاغية جمالية، بل أغلب جهود العلماء القدامى في اهتمامهم بها توزعت وفق مساقين:

الأول: ركّز على الناحية المعجمية للغة القرآنية وسعى إلى البحث عن دلالاتها بإجراءات عملية ومنهجية متنوّعة، محاولاً في تفسيره للمفردات «تقريب المجاز إلى الحقيقة»¹ كما فعل "الراغب الأصفهاني" في معجمه (الغريب في مفردات القرآن) و"ابن قتيبة" (ت/276هـ) في (تأويل مشكل القرآن) وغيرهما كثر مما سيأتي ذكرهم، ويُعدّ هذا العمل امتداداً لمساءلات "نافع بن الأزرق" لحبر القرآن "ابن عباس" (ت/68هـ) في استفساره عن لغة القرآن وتأصيلها في كلام العرب، وقد أوردها كثيرون من بينهم "السيوطي" (ت/911هـ) في (الإتقان في علوم القرآن) و"عائشة بنت الشاطيء" في (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق).

أما الثاني: فقد سلّط الاهتمام على الجانب الفني للمفردة القرآنية، ووصف رقتها وعذوبتها وتمييزها الجمالي، وأغدق كتب البلاغة والإعجاز بهذه الدراسات، والجهود في هذا المضمار أكبر من أن تُحصر في مقامنا هذا، ولا ضير في ذكر نماذج منها كـ(بيان إعجاز القرآن) للـ"خطابي" و(إعجاز القرآن) لـ"أبي بكر الباقلاني" و(البيان والتبيين) للـ"جاحظ". لكن من المهمّ أن يعلم القارئ أنّ الفصل بين المساقين لا يعني البتة أنّ الجهود كانت معزولة أو أنّ الحدود والحوارج قد ضُربت بينها، فلربما وجدنا الجمع بين المساقين في كتاب من الكتب أو إشارة من الإشارات، وهي كثيرة.

لكنّ التطوّر العلمي الذي يشهده العالم والتغيّرات الثقافية والمعرفية والحضارية، كلُّ ذلك أضحى يستدعي قراءة جديدة للنص القرآني ونظرة تتجاوز المستوى الفني والبلاغي والجمالي للمفردة القرآنية، ولسنا ندّعي قصور ذلك أو عدم أهميته، كلاً، فمعطيات العصر الذي أنتج هذه الدراسات

(1) ياسوف (أحمد)، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق - سوريا، 1999، ط2، ص35.

استدعت هذه القراءة وهذا التوجّه بالذات، والبحوث في هذا المجال قديماً وحديثاً مكسب نقدي وأدبي ولغوي وثقافي، لا يُستهان به، كما أنّ التميّز الجمالي والفني والانتقائي سمة جوهرية من سمات المفردة القرآنية، لا يُمكن أن تُذكر هذه الأخيرة إلا مقرونة به، لكن هذا النص يكشف يوماً بعد يوم عن أسرار جديدة ودلالات لم ترد في الأبحاث السابقة، فلا بأس إذاً أن نعيد النظر لكن من زاوية أخرى إنها الزاوية العلمية انطلاقاً من مرجعية مهمة مفادها أنّ قراءة النص القرآني تختلف حسب التركيب والفارق النوعي للعقل البشري، هذا الأخير الذي أصبح في عصرنا لا يؤمن إلا بالعلم، والعصرُ عصرٌ علميٌّ وتكنولوجي بامتياز، يدعّم موقفي هذا "محمد العاني" عندما يقول: «لقد فرضت تطورات العلوم وتعدّد المناهج رؤيةً ابستمولوجية جديدة، والأمر راجعٌ حسب رأيي إلى العمق العلمي الذي وصلت إليه البشرية، إلى حدّ أصبحت فيه اللغة الكلاسيكية للمعرفة غير قادرة على تفسير الوجود وهذا يعود إلى: تركيبية الكون المعقدة والمتشابكة، كل هذه الظواهر إنّما تبين بشكل واضح وصارخ عدم تمكّن أداة معرفية محدّدة من امتلاكها الكفاية التفسيرية والتحليلية لفهم العلاقة بين القرآن الكريم والكون»¹، لذلك إذاً لا يمكننا إغفال الدعوة إلى تجديد قراءة النص القرآني وفهمه بتجديد النظرة إلى المفردة القرآنية، «فالقرآن يستند في تقديم منهجيته وإحاطته المطلقة بالوجود على المفردة اللغوية، فهي أدواته المعرفية»²

إنّ تجديد القراءة - في اعتقادنا - ضرورة بل أولوية دينية ومعرفية وحضارية في ضوء المستجدات والمتغيّرات المعرفية والعلمية، دعا إليها النص القرآني بحدّ ذاته في

(1) حاج حمد (محمد أبو القاسم)، الحاكمية، مرجع سابق، ص 22-23. (ورد قول "محمد العاني" في مقدمة هذا الكتاب الذي حققه).

(2) حاج حمد (محمد أبو القاسم)، ابستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، دار الهادي، بيروت - لبنان، 2004، ط 1، ص 275.

أول خطاب للإنسانية ألا وهو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾¹ ، بل حتّى على التدبّر فيه بأكثر من موضع لأنّ ذلك كفيل بتحقيق الفهم الصحيح، وتركيز الإيمان واليقين، يقول "الشاهد البوشيخي" في هذا الصدد: « فلذلك وجب تجديد الفهم، من أجل تجديد العمل، من أجل تحسين الحال بصفة عامة. نحن نحتاج إلى الدخول من باب الدخول (وإنّما توتّى البيوت من أبوابها) فقبل أن ندخل إلى الجملة القرآنية، يجب أن نفتح باب الألفاظ القرآنية»² .

وللإشارة "الشاهد البوشيخي" له إسهام كبير في هذا الصدد، فدراساته وأبحاثه لا تُحصى في الدعوة إلى فهم القرآن بوسائل وأدوات إجرائية جديدة، وتأسيس أرضية مهمّة في المصطلح القرآني، بل له جهود تطبيقية في هذا الباب، وأشرف على رسائل دكتوراه كثيرة في هذا الميدان من خلال معهد الدراسات المصطلحية الذي يرأسه، هذه الرسائل التي تركّز على مفاهيم المفردة القرآنية، منها: (مفهوم الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف، مقدمة مصطلحية وتفسير موضوعي) لـ "ادريس مولودي" و (مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي) لـ "الطيب البوهالي" و (مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي) لـ "محمد البوزي" و (مفهوم الأمة في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي) لـ "عبد الكبير محمدي" وغيرها كثير.

وفي معرض الحديث عن الدعوة إلى إعادة قراءة النص القرآني و تجديد النظرة إلى المفردة القرآنية يرى "سليمان عبد الله موسى أبو عذب" في مقال نقدي له بعنوان (الإبداع اللفظي في القرآن الكريم) أنّ المفردة القرآنية لم

(1) سورة العلق، الآية: 01

(2) البوشيخي (الشاهد)، أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، مقال منشور بجريدة المحجة،

المغرب، ع: 226 2010/09/26 ، الموقع الرسمي الإلكتروني للجريدة:

<http://almahajjafes.net/aljarida>

تحظ بَعْدُ بدراسات عصرية وافية تستتطق المعنى الاصطلاحي (السياقي) لها، إذ يقول: « إنَّ تحديد المعنى الاصطلاحي لسياق المفردة القرآنية ما يزال يكره ويحتاج إلى المزيد من الدراسة، وخاصة أنَّ الباحثين اهتموا إلى حدِّ بعيد بالمعنى اللغوي؛ المترادف والتضاد والاشتراك اللفظي من خلال التركيب... ولكنَّ اعتقادي أنَّهم مازالوا يجهلون كيفية تفسير المفردة القرآنية والتواضع على استعمالها على الأقل من ناحية المعنى الاصطلاحي السياقي، لأنَّه نُطِقَ بتلك المفردة في ظروف واعتقادات معيَّنة سبقت البشر، وفي ظروف أعلم وأعمَّ من طاقة الإنسان»¹.

ولذلك راح هذا الباحث يقترح حلولاً لهذه المشكلة عن طريق « إعادة المفهوم لمعنى الظاهرة اللفظية في المفردة القرآنية في القرآن الكريم، وفي ضوء دراسات تختلف عن الدراسات السابقة، حيث نضفي عليها من ثقافتنا الحديثة الصحيحة مفهوماً جديداً أو ضوءاً عسى أن تجد العقلية الإسلامية إشباعاً أكثر في هذه المباحث»²

وليس "سليمان عبد الله موسى أبو عزب" الوحيد الذي أشار إلى ذلك فقد سبقه "محمد أبو القاسم حاج حمد" في التنبيه إلى « أنَّ التراث التدويني لم يُعالج اللغة القرآنية بهذا المنظور الذي يجعل موقع كل حرف في بنائيتها الكتابية كموقع النجوم في البنائية الكونية، إذا اهتزَّ نجم واحد أو خرج عن مداره اهتزَّت البنائية كلها.»³ ولنا وقفة فيما بعد مع رؤية "حاج حمد" للمفردة القرآنية وللنص القرآني كلّه.

(1) عبد الله موسى (سليمان أبو عزب)، الإبداع اللفظي في القرآن الكريم، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية. على الرابط: <http://uofislam.net> تاريخ التصفح: 2015/03/02. على الساعة: 21:00

(2) المرجع السابق.

(3) حاج حمد، إبستمولوجية المعرفة الكونية الإسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص 273.

الدقة العلمية في توظيف المفردة القرآنية

لقد سبق وأن ذكرنا أن من أبرز خصائص اللغة القرآنية هو كونها لغةً منتقاةً بدقّةٍ لامتناهية، فالنص القرآني يتعامل بصرامة شديدة مع تخيير هذه الوحدة اللغوية، وهو ما يميّز التوظيف الإلهي للغة عن استعمالنا البشري، وفي تعاملنا مع هذه النقطة بالضبط استهوتنا كثيرا مقاربة "محمد أبي القاسم حاج حمد" للمفردة القرآنية واستحوذت على فكرنا، إذ يبني حولها رؤية منهجية متكاملة مؤسسًا ذلك على ركائز مهمّة:

أولها: الوحدة العضوية للنص القرآني، فهذا النص بنية ونسيج واحد لا يمكنك أبدا النظر إليه أو التعامل معه من زاوية تفكيكية أو تجزيئية، ومدخله هو أن تتطلق بل تؤمن أن هذا النص بدءاً من الفاتحة إلى المعوذتين وحدة عضوية واحدة غير مجزّعة، « فإذا سقطت آية أو أسقطت يسقط الحق كله، فليس في القرآن آية ساقطة أو مرفوعة عن التلاوة»¹ ولا بدّ أن يتعامل مع لغته على أنها « استخدام إلهي للغة متجاوزا الاستخدام البلاغي وحالة النسخ والمترادف والمشارك والمتمشابه، وبذلك يمكن الوصول إلى كونية القرآن»²

إنّ نص إلهي تغيب عنه سمات النص البشري أو قواعد إنتاجه أو حتى طبيعة مفرداته وبالتالي الآليات التي تُمكننا - نحن بصفتنا قراءً - من فهم هذا النص تختلف عن تلك التي تُعتمد في قراءة النصوص البشرية وفهمها.

ثانيها: أنّ النص القرآني معرفة معادلة للوجود الكوني وحركته، فبنية النص وبالسمّة التي ذكرناها آنفاً، تجعله مماثلاً لصياغة الكون ومعادلاً له، ومن المتطلبات الشرعية التي تفرض نفسها على كل مسلم؛ التدبّر في معانيه ومكوناته بكل

(1) المرجع السابق، ص 300.

(2) حاج حمد (محمد أبو القاسم)، الحاكمية، مرجع سابق، ص 16. (بتصرّف يسير جدا)

الإجراءات والآليات، لينطلق بكل قوة لقراءة الكون المفتوح، ألا ترى أن الله في مواضع كثيرة في النص القرآني يدعو إلى التأمل في خلق الله بفعل الرؤية أو التفكير أو التذكّر وغيرها من الأفعال؟ يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾¹ ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾² كل ذلك موازاةً مع الدعوة إلى تدبّر النص القرآني، فانظر السياقات التي يرد فيها فعل التدبّر، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾³ و﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾⁴ و﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁵

إذا المطلوب قراءتان؛ الأولى للنص والثانية للكون، وهما «متضافرتان ومتلازمتان، قراءة المسطور قراءة تحليلية متديرة، وقراءة الكون المنشور قراءة سننية علمية. وإن إعمال القراءتين معا والجمع بينهما بمنهجية كونية والانطلاق منهما مع الاستفادة بسائر الوسائل تجعل من هذه القراءة الكاملة الوسيلة الدائمة المتجددة لتحقيق الغاية من الخلق وبناء الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، كما أن تعطيل أي من القراءتين أو تجاوزهما أو الإخلال بالتوازن بينهما هو إعراض عن ذكر الله تعالى»⁶. في الحقيقة إن الإشارة إلى الكونيين والقراءتين وإن كان متميِّزا إلا أن لـ"الرزاي" السابق في الإشارة

(1) سورة الحج، الآية: 63

(2) سورة النور، الآية: 43

(3) سورة النساء، الآية: 82

(4) سورة محمد، الآية: 24

(5) سورة ص، الآية: 29

(6) حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، مرجع سابق، ص 19

إليهما منذ قرون خلت، يقول: «إنَّ الله كونين كون مقروء وكون منظور فكُلُّما ازددنا علما بالكون المنظور ازددنا علما بالكون المقروء»¹

لكن كيف صيغ هذا النص القرآني الكوني حتى أعطى «أشكالا مختلفة من الوعي والمعرفة تبعا للفوارق النوعية في تطور العقل البشري وأنساقه المعرفية فلا يصبح مستلبا بشكل مطلق لمرحلة تطويرية دون الأخرى وليؤدي رسالته العالمية وعبر متغيّرات الزمان والمكان ووفقا لكل منهج يظل مستمرا في أسلمة المعرفة عبر العصور وليس في عصرنا هذا فقط»²

إنَّ من بين ما كفل ذلك إعادة الترتيب الوقفي للنص القرآني، فالملاحظ أنَّ ترتيب السور في المصحف يختلف عن ترتيبها أثناء النزول، وذلك لحكمة مهمة؛ إنَّ الترتيب الأخير متعلّق بسياق النزول وأسبابه والظروف المحيطة بذلك، فكان تغيير الترتيب ليتجاوز النصّ السياق الأول إلى سياقات أخرى ذات مكوّنات فكرية وثقافية واجتماعية ومعرفية مختلفة، مما يؤدي إلى انفتاح النصّ القرآني ودلالات لغته، ومما يكفل ذلك أيضا بنية هذا النصّ وضبط دلالات لغته، وهذه الأخيرة هي ما يهمنّا في هذا البحث، وسنركّز على هذا العامل المهم الذي كان ملّمًا من ملامح انفتاح هذا النصّ وعالميته، حتى أصبح نصّا «كونيا ووحيا إلهيا مطلقا ومحيطا بالوجود الكوني وحركته ومعادلا له. والكون بما فيه الإنسان مطلقان لا متناهين وسرمديان، والوحي القرآني كذلك، فكما أنَّ الإنسان يتحدّد بالجسم وغير متناه في تكوينه، والكون يتحدّد بالظاهرة الطبيعية وغير متناه في تكوينه، كذلك القرآن كوي مطلق معادل لهذه الكونية اللامتناهية، فهو

(1) الرازي (محمد الرازي فخر الدين)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1981، ط1، مج 13، ج8، ص 225.

(2) حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، مرجع سابق، ص 93

مثلها يتحدّد بالحرف المثبت في بنائيته كمواقع النجوم ولا يتناهى في معانيه. فالقرآن والإنسان والكون يحملون خصائص تكوينية مطلقة»¹

إنّ الركيّزة الأولى والثانية تستدعيان حتما الركيّزة الثالثة والمهمة في تصوّر "الحاج حمد" للمفردة القرآنية، إنّها ضبط البنية اللغوية والصرامة الشديدة والدقّة في توظيفها داخل النصّ القرآني. تُرى ما تفاصيل هذا التصرّور وكيف تجلّت دقّة المفردة في النصّ القرآني؟

إنّ النصّ القرآني وظّف اللغة توظيفا منضبطا جدا لا يسمح بالترادف أو الاشتراك، لدرجة أنّ أصغر وحدة لغوية غير دالة ألا وهي الصوت لا تُوظّف عشوائيا ولا تسمح بوجود بديل لها، كما يجعل المسألة اللغوية مسألة منهجية بالدرجة الأولى، يقول "حاج حمد": « فلَكّي يكون القرآن مرجعا مطلقا ارتقى الله بلغته ومفرداته فوق الاستخدام اللساني العربي والتراثي محققا مفهوم (اللغة المثالية) بلا مترادف أو مشترك أو نحو ذلك»². إنّ هذه اللغة تتأسّس على مبدأ « الإحكام المطلق»³ الذي يُكسب المفردة دلالة مفهومية متميّزة ويحيلها إلى « مصطلح دلالي متناهي الدقة»⁴ يسمي "حاج حمد" هذه الدلالة المفهومية في كثير من المواضع (العائد المعرفي).

يشير هذا المفكر إلى نقطتين مهمتين؛ (الأولى) هي دقة المفردة القرآنية وصرامة النصّ القرآني في توظيفها مما ينفي عنها الترادف والاشتراك وغيرهما. و(الثانية) هي ارتقاء هذه المفردة للأسباب التي سبق ذكرها إلى الاصطلاحية، فهي مصطلحات متناهيّة الدقة في مفهومها. يؤيد ذلك "الشاهد البوشيخي"، إذ يقول: «كتاب الله تعالى له لغته الخاصة شئنا أم

(1) حاج حمد، إبستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص276 (بتصرّف يسير جدا).

(2) المرجع نفسه، ص273

(3) حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، مرجع سابق، ص97.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أبيناء، هو بلسان عربي مبين، وهذا اللسان ينطق بالألفاظ التي نطق بها العرب، وبالذلالة التي كانت لتلك الألفاظ في زمن التنزل ولكن يدير تلك الألفاظ في مجموع كتاب الله عز وجل في سياقات مختلفة، في استعمالات مختلفة، تجعل تلك اللفظة في النهاية تتحول إلى مصطلح له مفهوم خاص ضمن الرؤية القرآنية العامة، فيجعله متميِّزا عن الكلام الذي يستعمله شاعر أو ناثر ما في ذلك الزمان وفي كل زمان بعد¹.

ومن هذا المنطلق قدّم " حاج حمد" نماذج كثيرة للتفريق بين مفردات يُظنّ أنها من المترادفات، كـ(مسّ) و(لمس) و(شهود) و(رؤية) و(الخمارة) و(الحجاب) و(العورة) و(السواة) و(المقدّسة) و(المحرّمة) و(النجس) و(الذنس) و(النفس) و(الروح) و(النزول) و(الهبوط) وغيرها من النماذج التي أوردها في مؤلفاته، فقد تمّ الخلط بين دلالاتها ووقع اللبس في فهم النص القرآني وانعكس ذلك على قضايا مهمة لا تسمح بالفهم الخاطئ كقضايا التشريع والعبادة، ومن ذلك (مسّ) و(لمس) إذ يحدّد "حاج حمد" الفرق بينهما في الحسيّة والمعنوية، ف(مسّ) عقلية وجدانية و(لمس) بمعنى عضوي، والخلط بينهما أوقع لبسا في حكم فقهي وهو مس المصحف، يقول مفصّلا ذلك: «فلا يورد القرآن (مسّ) بمعنى (لمس) إطلاقا ولهذا حين قال: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فقد قصد (النفس الطاهرة) وليس (البدن)، فالبدن (يلمس) ولا (يمسّ). البدن يلامس النساء: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (النساء/43) وكذلك ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام/7) أما (المسّ) فينتجه إلى المعرفة والإدراك والإحساس والشعور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف/120) وكذلك ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ (آل عمران/120)، فمسّ القرآن

(1) البوشيخي، في حوار له نُشر في نشرة المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه (يومية تصدر

بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر)، فاس، أبريل 2015، ص05

إدراكه والشعور به، وهو مسّ لا يأتي إلا للمطهرين نفساً وليس للمتطهرين بدناً فقط، فعلم القرآن المكنونة لا تتكشف للسارق والقائل والزاني والمنتفع بها في أغراض الدنيا»¹

هذا نموذج من فلسفة "حاج حمد" ورؤيته اللغوية، ويذهب بعيداً حين يجعل هذه اللغة اصطلاحية، إذ يرى أن «للقرآن لغته الاصطلاحية الدقيقة التي لم يُعَنَّ بها التراثيون بالقدر الذي عُنوا فيه بالمصدر البشري للغة، فهُم قد دوّنوا لنا لسان العرب ولكن لم يدوّنوا لسان القرآن»² ويقصد بذلك فسّروا مفردات القرآن بالرجوع إلى لغة العرب في شعرهم ونثرهم، وإلى محيط عربي في زمن ما ومكان محدّد، بينما اللغة القرآنية وُظفت توظيفاً إلهياً بإحكام مطلق لا يسمح بالترادف أو غيره من الظواهر الأخرى، ولا يرتبط أبداً بمكان أو زمان معيّنين.

ويضرب "حاج حمد" مثلاً لذلك فيقول: «غير أن اللغة ليست مجرد كلمات دالة على مسمى دون وسيط مشكّل للتصوّر الذهني، فالكلمة تستدعي تصوّراً معيّناً مقيّداً في دلالاته إلى بيئة تاريخية وثقافية معيّنة والقرآن ينحو في دلالات المفاهيم إلى الضبط والمنهجية على غير ما هو شائع وسائد ومتغيّر في ذهنية العائد المتصوّر، فقد فهم العرب كلمة (الأميين) بمعناها السائد وليس القرآني فأطلقوها على من لا يعرف الخط ولا يقرأ رسم الحروف، وهي خلاف ذلك في الاستخدام القرآني، إذ أنّها تقابل (الكتابيين) وليس (الكاتبين) والاستناد إلى التصوّر الذهني العربي (العائد) لهذه الكلمة في عصر التدوين إنّما يعني إغلاق الفهم على مراحل تطوّر الخطاب الإلهي من حالات الاصطفاء الديني الرأسي وإلى حالات الاتّساع العالمي المتدرّج، وهذا فهم منهجي يرتبط بتطوّر مراحل التشريع الديني

(1) حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، مرجع سابق، ص 97.

(2) حاج حمد، إبستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص 275.

وطبيعتها، فالخلل في فهم دلالات ألفاظ القرآن لا يقود إلى مجرد إشكاليات لفظية، إنه يقود إلى ما هو أخطر من ذلك بكثير حيث سيتعذر فهم محتوى عالمية الدين ومعاني الشريعة والمنهاج.¹

تحيلنا هذه النقطة إلى سمة مهمة للمفردة القرآنية، فقد أحدث القرآن في كثير منها تغييرا دلاليا فتعدت الدلالة المتعارف عليها في الاستعمال العربي قبل نزول القرآن إلى دلالات جديدة كالحج والصوم والصلاة وغيرها كثير، وهذا ما دفع كثيرا من العلماء إلى اعتبارها مصطلحات قرآنية، يقول "الشاهد البوشيخي": «هذا الكتاب انطلق من الألفاظ بدلالاتها المعروفة المألوفة، لكنه منذ بدء نزوله حتى انتهاء نزوله ضمن الألفاظ مفاهيم، ووضعها في سياقات بعينها، جعلها في النهاية تنتقل دلاليا من المعاني التي كانت لها في اللسان العربي، إلى آفاق جديدة، وإلى مفاهيم جديدة، تتسجم مع هذه الرؤية الشمولية الربانية التي جاءتنا من الله جلّ جلاله والتي يجب أن نستدرجها بين جنوبنا، ونصدر عنها في كل ما نأتي وما نذر؛ لذلك فالألفاظ - وإن كانت عربية، وتوجد في المعاجم العربية وفي الكتب العربية- إلا أن درسها الحقيقي ينبغي أن يتركز بعد التعرّيج على كل ذلك، واستيعاب كل ذلك، ينبغي أن يتركز على استعمالاتها في القرآن الكريم، لتستخلص الخصوصيات الدلالية لهذه الألفاظ، ليتمهد الطريق إلى فقه عالم القرآن بصفة عامة»²

لقد سبق إلى هذه الإشارة اللغويون العرب القدامى ولم تكن بدعا على لغوبينا المحدثين ف"ابن فارس" منذ قرون، يقول في كتابه (الصاحبي): « كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونُسخت ديانات وأبطلت أمور، ونُقلت من اللغة

(1) حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، مرجع سابق، ص 99.

(2) البوشيخي (الشاهد)، نظرات في مفهوم الحوار في القرآن الكريم، مقال منشور على الرابط:

<https://vb.tafsir.net>. تاريخ الزيارة: 2016/04/05 على الساعة: 17:30

ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أُخِرَ بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت»¹

هذا الذي دفع هؤلاء إلى القول أنه لم يُدَوَّن (لسان القرآن) أو (عربيّة القرآن) كما يسميها "عبد الصبور شاهين"، وهي لغة دقيقة تجمع مع جمالها الفني دقّتها «لأنّها مدخل لكونية القرآن وإحاطته المنهجية والمعرفية بالوجود كوشي مطلق»² بل تمثّل «قاعدة المعلومة»³ في النصّ القرآني لهذا «تكتسب اللغة القرآنية أهمّيّتها تماما كما تكتسب مناهج الاستقراء العلمي أهمّيّتها في بحث الإنسان والكون»⁴

لهذا كلّهُ، فهُمُ هذه اللغة- في نظر "حاج حمد"- لا يكون البتّة بإحالة مدلولها على خارج النصّ القرآني كعرضها على لغة شعر العرب أو نثرهم، لأنّ هذه النصوص إنسانية لها محيطها الثقافي الخاص وسياقاتها وظروفها الخاصة التي أنتجتها، وهي مرتبطة قبل كل شيء بنفسية منتجها، فكيف إذا نتّخذها مرجعية لفهم لغة إلهية تحمل معانٍ مفتوحة مطلقة كونية، إنّ اللغة الإنسانية «لا تعطي فهما علميا ومعرفيا للقرآن، وتحيله إلى جزر معزولة لا يمكن إيجاد الترابط بين مواضيعه كما هي حال التفاسير التراثية التي بين أيدينا اليوم، ومهما ادّعى البعض، وإن كان مخلصا في ادّعائه بوحدة القرآن العضوية وكونيته وبمنهجيته، فإنّ ادّعائه لن يتحقّق إن استمرّ بتناول القرآن بأسلوب بلاغي شعري، فالعلم والسير والبحث في السنن الكونية هي الطريق الأمثل إلى تأويل القرآن وعالمية رسالته. أما الحالات النفسية للشاعر والكاتب فلا تعادل موضوعيا الوجود الكوني وليس لها أي عائد

(1) ابن فارس (أحمد)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تصحيح: المكتبة السلفية، المكتبة السلفية، 1910، (د.ط.)، ص 44.

(2) حاج حمد، إستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، مرجع سابق، ص 275.

(3) المرجع نفسه، ص 277.

(4) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

معرفي ومنهجي، لذلك لا بدّ من تحديد مدلول المفردة من داخل القرآن نفسه بالجمع بين الجانبين الألسني والتحليل العضوي لكلية القرآن وهنا يكمن الفرق بين الاستخدام الإلهي للمفردة والاستخدام البشري لها.¹

لقد فضّلنا اقتباس هذا النص على الرغم من طوله، لأنّه يوضّح رؤية "حاج حمد" للمفردة القرآنية باعتبارها مفتاحاً لفهم النص القرآني، وتعلّل موقفه من جهود اللغويين والمفسّرين القدامى، وإن كنا نرى أنّ هؤلاء قد تميّزوا في التعامل مع النص القرآني ولغته وقدموا إرثاً نفيساً وضخماً ومرتبطة بمعطيات عصرهم وعلومه وبيئاتهم والذهنيات السائدة آنذاك، ومع ذلك فهو مرجعية مهمة، لا بدّ من التعرّيج عليها في أي قراءة جديدة للنص القرآني.

إنّ المفردة القرآنية تحمل هي في ذاتها قيماً عديدة قد تكون سياسية أو تاريخية أو اجتماعية أو علمية... فلو تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (2) وهي آية تشرّع للتعامل المالي مع السفهاء وقد اختلف العلماء في المقصود بالسفيه هل هو المرأة أم الصبي أم الولد السفيه أم اليتيم؟ قلنا لو تأملتها لوجدت أنّ اختيار حرف الجر (في) كان مقصوداً لدلالة اقتصادية، يقول "الرازي" (ت/604هـ) في (مفاتيح الغيب): «وإنما قال (فيها) ولم يقل (منها) لئلا يكون ذلك أمراً بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقاً لهم بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكاناً لرزقهم بأن يتّجروا فيها ويثمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال» (3) ويقول "محمد راتب النابلسي": «وفرق

(1) حاج حمد (محمد أبو القاسم)، الحاكمية، مرجع سابق، ص 16 (قول لمحقق الكتاب منقول من المقدمة)

(2) سورة النساء، الآية 05.

(3) الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مصدر سابق، مج 13، ج 9، ص

كبير بين أن نرزقهم منها، نقتلع من أصل المال مالاً ننفقه عليهم، وبين أن نرزقهم فيها، أي أن نأخذ من رَيْع¹ المال مالاً ننفقه عليهم، ويبقى أصل المال صحيحاً² ويُفرد " رفيق يونس المصري" الفصل الرابع من كتابه (الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم) لتفسير معنى هذه الآية في ضلال بعض المفاهيم والنظريات الاقتصادية المعاصرة* تحت عنوان (الإنسان الاقتصادي الرشيد).

كما ينظر المفسرون إلى زاوية أخرى من المعنى وذلك من خلال مفردتي (أَمْوَالِكُمْ)، ومن بين هؤلاء " محمد رشيد رضا" فقد علل توظيف ضمير الجمع المخاطب بدل ضمير الغائب بقوله: « إثمًا قال ((أموالكم)) ولم يقل أموالهم مع أن الخطاب للأولياء والمال للسفهاء الذين في ولايتهم للتبنيه على أمور: (أحدها) أنه إذا ضاع هذا المال ولم يبق للسفيه من ماله ما ينفق منه عليه وجب على وليه أن ينفق عليه من مال نفسه، فبذلك تكون إضاعة مال السفيه مفضية إلى إضاعة شيء من مال الولي، فكأن ماله عين ماله. (ثانيها) أن هؤلاء السفهاء إذا رشدوا وأموالهم محفوظة لهم وتصرفوا فيها...فإنه يصيب هؤلاء الأولياء حظ منها. (ثالثها) التكافل في الأمة واعتبار مصلحة كل فرد من أفرادها عين مصلحة الآخرين...وذهب الجلال إلى أنه أضاف الأموال إليهم لأنها في أيديهم كأنه قال: ولا تؤتوا

(1) الربيع rent هو دخل ناتج عن غير عمل، وهو مضمون لمدة طويلة من الزمن.

(2) النابلسي (محمد راتب)، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية،

www.nabulsi.com/blue/ar/te.php?art=7604. تاريخ التصفح: 2014/06/12. على الساعة 06:00

صباحاً.

(*) انظر: المصري (رفيق يونس)، الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق - سوريا، 2005، ط1.

السفهاء أموالهم التي في أيديكم...»¹ ، يدل ذلك على اكتناز المفردة القرآنية لدلالات كثيرة ومعانٍ متسعة.

ومن أطرف الجوانب وأعجبها في هذا ما تحمله المفردة من قيم تاريخية كما في مفردة (العزیز) و (الملك) في قصة يوسف - عليه السلام - و (فرعون) في قصة موسى - عليه السلام - يشير إلى ذلك "السامرائي": «فالعزیز أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وكان المصريون القدامى يفرّقون بين الملك فمن كان مصري الأصل يسمونه (فرعون)، ومن لم يكن كذلك سموه (الملك) والذي كان حاكماً في زمن "يوسف" كان من الهكسوس»²، لأنّ هؤلاء - أي الهكسوس - «يكاد يكون من المتفق عليه الآن أنّ تاريخ طردهم كان حوالي عام 1580 ق.م على يد الفرعون "أحمس الأول"، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك نعلم حسب تفسير الأستاذ "زيتة" للوحة ((أربعمئة السنة)) أنّ الهكسوس كانوا قد أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالي عام 1730 ق.م وعلى ذلك نرى أنّهم كانوا قد حكموا مصر بين مدّ وجزر نحو قرن ونصف قرن من الزمان»³.

والنبي يوسف - عليه السلام - عاش في فترة من هذه الفترات التي حكم فيها الهكسوس، فلُقّب الحاكم في الخطاب القرآني بـ(الملك)، بينما الحاكم في زمن "موسى" - عليه السلام - كان مصرياً وحكّم بعد إجلاء الهكسوس أي بعد "أحمس الأول" ف«في حكم هذا الفرعون قد طُوّبت صحيفة من تاريخ البلاد سطر عليها عهد استعباد الشعب المصري مدة قرن ونصف من

(1) رضا(محمد رشيد)، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المنار، 1367هـ، ط3، ج4، ص

(2) السامرائي(فاضل صالح)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار الفجر، بغداد - العراق، 2008، ط1، ص07، (بتصرّف).

(3) حسن(سليم)، موسوعة مصر القديمة، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية، وزارة الثقافة والإعلام، 2001، (د.ط)، ج4، ص54.

الزمان»¹ فلُقِّب بـ(فرعون) فوُظفت كل مفردة في سياقها التاريخي المناسب لها.

لهذا رأى "محمد العاني" أن المفردة القرآنية « كالعنصر في التفاعلات الكيميائية، ذات خصائص ثابتة (مدلول ثابت) ولكن يوَلد من تفاعله مع باقي العناصر نتائج لامتناهية من التراكيب، فارتباط الكلمة في القرآن بسياقاتها الصغرى والكبرى، يعطي نتائج مركبة وغنية، والأمر يرجع للإنسان المتدبّر ومدى قدرته على معرفة المراد من النص، من خلال تدبّره للكلمات المتجاورة في الآية والاقترانات اللفظية وعلّة ربط آيات معيّنة في سورة معيّنة. فتلك عملية غنيّة جدا تبدأ من ضبط معنى الكلمة من خلال رصد مواقعها في القرآن وبالاستفادة من مناهج علوم الدلالة في ذلك، ثمّ فهم دلالات الآيات من خلال سياقاتها الصغرى والكبرى ومناهج العلوم الحديثة (علم النفس والاقتصاد والاجتماع والأنثروبولوجيا إلخ...). ولذلك فإنّ القضية ليست ألسنية بحتة وإنما هي جمع بين الجانب الألسني، والجانب التحليلي لكلية القرآن الكريم المأخوذ كوحدة عضوية واحدة، وبمداخل علمية ومعرفية.»²

ومن خصائص هذه المفردة أيضا أن مدلولها مُتّسع عبر الزمن وتقدم البحوث والعلوم، فكثير من المفردات كان يُظن أنّ دلالتها تتوقّف عند حدّ ما لكن تتكشف لها رؤى ودلالات فيما بعد لم تكن في الحسبان، «إنها تعطينا باستمرار معرفة متجدّدة، حيث تثبت رؤيتنا باليقين الثابت»³ وذلك راجع - كما قلنا في بداية هذا الفصل - إلى انفتاح النص القرآني وامتداده عبر الزمن وانطوائه على أسرار تتكشف يوما بعد يوم، ذلك لأنّ الله « دعا الناس كثيرا أن ينظروا في هذا الكون، وحضّهم بقوة أن يقرأوا صحيفة هذا الوجود، ليصلوا من الكون إلى مكّونه... فلا عجب إذا فهموا تلك الألفاظ الكونية التي في القرآن على النحو الذي هداهم إليه العلم والثقافة التي تتفقوها

(1) المرجع السابق، ص199.

(2) حاج حمد، الحاكمية، مرجع سابق، ص21. (ورد قول "محمد العاني" في مقدمة هذا الكتاب الذي حققه.)

(3) عبد الله موسى (سليمان أبو عزب)، الإبداع اللفظي في القرآن الكريم، مرجع سابق.

في علوم الكون»¹. وفصول البحث الموالية هي تجسيد لهذا الأمر ودليل على مدى صحّة توجّهنا في هذا الموضوع.

(1) الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي،

بيروت- لبنان، 1995، ط1، ج2، ص82.

ثانيا - التعاليق في اللغة والاصطلاح

محصلة ما قلناه آنفا هو أنّ تموضع المفردة في النص القرآني مشروط بحسن اختيارها والتميّز في انتقائها وشدة التصاقها بسياقها، ومن ثمّ دقّة دلالتها على مقصودها. بمعنيّة هذا وفي ظل الأبحاث ودراسات الإعجاز العلمي التي تتوالى يوما بعد يوم، وجدنا أنّ كثيرا من مواضع الإعجاز العلمي القرآني خدّمته أو دلّت عليه مفردة قرآنية، ليس بدلالة عامة أو لي عنقها تأويلا، أو إقحام معنى من المعاني العلمية في دلالتها، ولكن لأنّها - وبكل دقّة - تحيلنا على مفهوم علمي خالص.

ولأنّ «تحدّد الحقول المعرفية بتحديد دلالات مصطلحاتها واستقرار مفاهيمها، ويقدر رواج المصطلح وشيوعه وتقبّل الباحثين والمهتمين لهذا المصطلح أو ذاك يُحقّق العلم أو الحقل المعرفي ثبات منهجيته»⁽¹⁾ رأينا أن نؤطر هذه الظاهرة اللسانية ونؤسس قاعدة نظرية لها في حدود قدرتنا وعلما وذلك بأن نصلح على هذا التماسك الشديد بين دلالة المفردة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي العلمي بمصطلح " التعاليق " ، تُرى لماذا اختير هذا المصطلح دون غيره من المصطلحات؟ وماذا نقصد به؟ وقبل هذا وذاك ما دلالاته اللغوية التي شكّلت أرضية لمفهومه الاصطلاحي عندنا؟

(1) السد (نور الدين)، الأسلوبية وتحليل الخطاب؛ دراسة في النقد العربي الحديث، (الأسلوبية والأسلوب)، دار

هومة، الجزائر، (د.ت)، (د.ط)، ج1، ص 13.

التعلق لغة:

إِذَا تَقَصَّيْتَ مَعْنَى التَّعَالُقِ فِي المَعْجَمِ العَرَبِيِّ وَجَدْتَ أَنَّهُ يُوَوَّلُ إِلَى الجَذْرِ اللُّغَوِيِّ (علق) الذي يركز على دلالة معجمية أساسية ألا وهي الارتباط والتماسك والتلازم الشديدين.

فمن بين ما يُورده "ابن فارس" من معاني هذا الجذر: « العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يُنَاطَ الشيءُ بالشيءِ العَالِي. ثم يَتَّسَعُ الكلامُ فِيهِ والمرجعُ كُلُّهُ إِلَى الأَصْلِ الذي ذكرناه... فقد عَلِقَ بِهِ إِذَا لَزِمَهُ. والعَلَقُ: الدمُ الجَامِدُ، وَقِيَاسُهُ صَحِيحٌ، لِأَنَّهُ يَعْلقُ بِالشَّيْءِ؛ وَالقِطْعَةُ مِنْهُ عِلْقَةٌ. والعَلَقُ: أَنْ يُلَزَّ بِعَيْرَانِ بِحَبْلِ... وَقَالَ الخَلِيلُ: العَلَقُ أَنْ يَنْشِبَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ... وَعَلِقْتُ الفَسِيلَةَ إِذَا ثَبَتَتْ فِي الغِرَاسِ... والعِلَاقَةُ: الحُبُّ اللَازِمُ للقلْبِ. ويقولون: إِنَّ العَلُوقَ مِنَ النِّسَاءِ: المُحِبَّةَ لِزَوْجِهَا: والعُلَيْقُ: شَجَرٌ مِنْ شَجَرِ الشُّوكِ لَا يَعْظُمُ، فَإِذَا نَشِبَ فِيهِ الشَّيْءُ لَمْ يَكُنْ يَتَخَلَّصُ مِنْ كَثْرَةِ شُوكِهِ، وَشُوكُهُ حُجْنٌ حِدَادٌ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ عُلَيْقًا... وَعَلِقَ الطَّبِيءُ فِي الحِبَالَةِ يَعْلقُ، إِذَا نَشِيقَ فِيهَا... وَأَعْلَقَ الحَابِلُ إِعْلَاقًا، إِذَا وَقَعَ فِي حِبَالَتِهِ الصَّيْدُ... وَعَلِقَتِ المَرْأَةُ: حَبَلَتْ. والعِلَاقِيَّةُ: الرَّجُلُ الذي إِذَا عَلِقَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُ...»⁽¹⁾

وقال "الأصفهاني" في (مفردات ألفاظ القرآن): « العَلَقُ: التَّشَبُّثُ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ: عَلِقَ الصَّيْدُ فِي الحِبَالَةِ، وَأَعْلَقَ الصَّائِدُ: إِذَا عَلِقَ الصَّيْدَ فِي حِبَالَتِهِ، وَالْمَعْلَقُ وَالْمَعْلَاقُ: مَا يُعْلَقُ بِهِ، وَعِلَاقَةُ السَّوْطِ كَذَلِكَ، وَعَلَقُ القَرِيْبَةَ كَذَلِكَ، وَعَلَقُ البِكْرَةَ: آلاَتُهَا التي تَتَعَلَّقُ بِهَا، وَمِنْهُ: العِلْقَةُ لَمَّا يُتَمَسَّكُ بِهِ، وَعَلِقَ دَمُ فُلَانٍ بَزِيدٍ: إِذَا كَانَ زَيْدٌ قَاتِلَهُ، وَالْعَلَقُ: دُودٌ يَتَعَلَّقُ بِالحَلْقِ، وَالْعَلَقُ: الدَّمُ الجَامِدُ وَمِنْهُ: العِلْقَةُ التي يَكُونُ مِنْهَا الوَلَدُ. قَالَ تَعَالَى:

(1) ابن فارس (أبو الحسن أحمد)، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج4، (مادة: علق)، ص 125-132.

﴿حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق/2]...والعَلَقُ الشيء النفيس الذي يتعلَّق به صاحبه فلا يَفْرُجُ عنه. والعَلِيقُ: ما عَلِقَ على الدابة من القضم، والعليقة: مركوب يبعثها الإنسان مع غيره فيُعَلِّقُ أمره به...والعَلُوقُ: الناقة التي تَزَامُ ولدها فتعلق به، وقيل للمنيّة: علوق...ورجل مِعْلَاقٍ: يتعلَّقُ بخصمه.¹

كما ورد في (المحكم والمحيط الأعظم): « وَعَلِقَ الشيء علقا وعلِقَ به: لزمه. وعَلِقَتْ نفسه الشيء، وهي عَلِيقَةٌ، وعَلِيقَةٌ: لهجتُ به. قال:

فقلتُ لها والنفسُ مني عَلِيقَةٌ * * * * عَلِيقَةٌ يهوى هواها المُضَلَّلُ²

وفي المثل: عَلِقَتْ معالِقَهَا وصرَّ الجُنْدُبُ، يُضْرَبُ هذا للشيء تأخذه، فلا تريد أن يفلتك³»

وفي (القاموس المحيط): «العَلَقُ، كلُّ ما عَلِقَ، والطين الذي يعلق باليد، والخصومة والمحبة اللازمتان»⁴. ومن دلالات هذه المفردة أيضا «ومعاليق العقد الشنوف يجعل فيها من كلِّ ما يحسن فيه...والعَلِيقُ نبات معروف يتعلَّق بالشجر ويلتوي عليه...والعلق: دُوَيْدَة حمراء تكون في الماء تعلق بالبدن وتمصُّ الدم»⁵. أما في (تاج العروس) فنجد معاني كثيرة هي الأخرى متوسطة بالتلازم والترابط «فالعلق:

(1) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، (مادة: علق)، ص 579-580.

(2) ورد هذا البيت في كثير من المعاجم دون أن يُنسب لصاحبه. انظر مثلا: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 4، ص 3071. وانظر أيضا: ابن سيده، المُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ، ج 1، ص 209.

(3) ابن سيده (أبو الحسن علي)، المُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2000، ط 1 ج 1، (مادة: علق)، ص 209.

(4) الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 2005، ط 8، (مادة: علق)، ص 910.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 4، (مادة: علق)، ص 3071-3077.

الدم عامة ما كان (أو) هو) الشديد الحُمرة، أو الغليظ، أو الجامد) قبل أن ييبس...والعلق دُوَيْدَة حمراء تكون (في الماء) تعلقُ بالبدن و(تمصُّ الدم)، وهي من أدوية الحلق والأورام الدموية؛ لامتصاصها الدم الغالب على الإنسان وأعلقَ أظفاره بالشيء: أنشبهها. والعلاقة، بالكسر: المعلاق الذي يُعلقُ به الإناء. وعلقه: اتّصل به ولحقه. وعلقه: تعلّمه وأخذه...¹. وفي القرآن «المعلقة من النساء: التي هي لا أيم ولا ذات بعل. وذلك حين لا يعدل زوجها بينها وبين أخرى، فلا تكون ذات زوج، ولا تكون قادرة على زواج»².

إِذَا تُبْنَى الدلالة المعجمية لمفردة (التعالق) على معنى الارتباط بين الشئيين والتلازم والتماسك بينهما، فلا يكاد ينفلت الأول من الآخر، فإن انطلقنا من الجنين وهو علقه في الرحم فما سُمِّيَ كذلك إلا لالتصاقه ببطانة الرحم، وإن كان لباسا كان ملازما لصاحبه، فإن كان هوى وحبًا فذاك رباط نفسي بين طرفين لا يريدان الانفصال، فإن كان مَنِيَّةً فهي أقرب من الوريد للإنسان ومُلازِمَةٌ له كأنها نفسُه. ألا ترى إذا أن تمسك الشيء بالآخر وتلازمهما موجود في كلّ جزئية تُشتقُّ من هذا الجذر اللغوي. على هذه الأرضية المعجمية وعلى المفهوم الاصطلاحي العلمي للعلقة الذي سنراه لاحقاً أسسنا المفهوم الاصطلاحي للتعلق.

في مفهوم المصطلح:

التعالق (Corrélation) أو تعالق المفردة القرآنية مع المفهوم الاصطلاحي العلمي هو الارتباط الوثيق الذي نجده بين الدلالة اللغوية

(1) الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، مر: مصطفى حجازي، مطبعة الحكومة، الكويت، 1990، (د.ط.)، ج26، (مادة: علق)، ص181-202.
(2) الجمل(حسن عزّ الدين)، مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003، (د.ط.)، مج1، ص152.

للمفردة القرآنية والمفهوم الاصطلاحي العلمي في الموضوع المشار إليه والذي كشف عنه العلم، فكان امتدادا لدلالاتها وملحما لانفتاحها باعتبارها مفتاحا لنص كوني. هو تلازم وتماسك شديد بينهما حتى يستحيل أن تُستبدل المفردة بغيرها، ولا يمكن للمفهوم العلمي أو سياق الإشارة العلمية الذي وردت فيه المفردة أن يَطْبُبَ غيرها. ولأنّ الارتباط والتلازم من الطرفين؛ المفردة والمفهوم، كان بناء هذا المصطلح - أي التعالق- بالصيغة الصرفية (تفاعل) لأنها تدل على المشاركة إذ كلا الطرفين يستدعي الآخر، يقول " ابن الحاجب" (ت/686هـ): « وتفاعل لمشاركة أمرين فصاعدا في أصله صريحا نحو تشاركا»¹

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أننا لا نقصد البتّة التعالق بمفهومه النصي (Corrélation textuelle) والذي يُقصد به « دخول نص في علاقة مع نصوص أخرى سابقة له [بحكم أنّ] المبدع لا ينطلق أثناء العملية الإبداعية من العدم، ولكنّه متأثر بما حوله، فيصحبه الإبداع إلى إنتاجات متعدّدة لها مرجعيات تحركها وتثيرها، فإنتاج الكاتب يكون ضمن بنية نصيّة سابقة»²، وهو شكل من أشكال التناص إن لم يكن هو بحدّ ذاته، فالمسألة - بالنسبة إلينا - هي مسألة تعدّد اصطلاحى فقط، فها هو " محمد بنّيس "

(1) الاسترأبادي(رضي الدين محمد بن محمد بن الحسن)، شرح شافية ابن الحاجب ، تح: محمد نور الحسن ومحمد

الزرفاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1982، (د.ط)، ص99.

(2) الجابري (متقدم)، جماليات التعالق النصي في رواية"الزني بركات" لجمال الغيطاني، مقال منشور في مجلة

كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، العدد 08، جانفي 2011. (بتصرف يسير).

و"محمد عزّام" يسميانه (النص الغائب)¹، و" سعيد يقطين" يصطلح عليه (التداخل النصي)².

كما نجد مصطلح التعالق في علم الفيزياء في كتاب بعنوان (التعالق أكبر لغز في الفيزياء) وهو من تأليف " أمير أكزيل"، والظريف في الأمر أنّ المصطلح وُظّف بناءً على مفهومه المرتكز أساساً على الارتباط الذي لا انفصام فيه، إذ قُصِدَ به «أنّ كَيْنوتَيْن تظلان على ارتباط لا تتفصم عُراهُما بصرف النظر عن مقدار المسافة بينهما... هذه الظاهرة المحيرة جزء مكمل للطبيعة حقّاً، وهي الظاهرة التي تتبأت بها نظرية الكم وجعلها أينشتين موضع الاهتمام العلمي الواسع»³

عوامل التعالق

من أبرز سمات اللغة القرآنية تميّزها بالتعالق بينها وبين دلالاتها ومفاهيمها، وهذا هو السرّ في امتناع حدوث الترادف في النص القرآني، ومما يسهم في إحداث هذه الظاهرة عوامل تعود إلى بنية المفردة ودلالاتها. ومن ذلك:

1- القيمة التعبيرية للصوت: وهو ما يسميها بعض الباحثين ((الدلالة الإيحائية الصوتية)) فالمقصود بها: « تلك الدلالة المستمدة من طبيعة بعض الأصوات فإذا حدث إبدال- أو إحلال- صوتٍ منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى، أدى

(1) انظر: عزام(محمد)، النص الغائب، تحليلات التناص في الشعر العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق- سوريا، 2001، (د.ط).

(2) انظر: يقطين(سعيد)، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2001، ط2.

(3) انظر: أكزيل (أمير)، التعالق أكبر لغز في الفيزياء، تر: عنان علي الشهاوي، مر: مصطفى إبراهيم فهمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ط1، ص15.

ذلك إلى اختلاف دلالة كلٍّ منهما عن الأخرى، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة الحديث بالتوزيع التقابلي (contrastive distribution)»⁽¹⁾ ولكننا نذهب إلى أبعد من ذلك وهو القيمة التعبيرية للصوت ومناسبته للمعنى، وقد عارض هذا الموقف كثير من العلماء بحكم أن المعنى تتدخل فيه أطراف كثيرة منها ما هو لغوي وما هو خارج اللغة، وهذا فيه جانب كبير من الصحة، لكن «لغوي العربية وهم يتفحصونها وجدوا فيها عدة خصائص لا توجد في كثير من اللغات التي عرفوها... الأمر الذي دفعهم إلى مزيد من البحث والاستقصاء فكان أن التفتوا يلتسون الصلة بينها وبين معانيها»⁽²⁾

وهذه القضية أشار إليها العلماء العرب منذ القدم ف" أحمد بن فارس" ألف معجمه (المقاييس في اللغة) بناء على هذا المبدأ، وممن تميزوا في دراستها " ابن جني" في كتابه (الخصائص) فقد خصص لها أبواباً مثل (الاشتقاق الأكبر)* و(باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و(باب في امساس الألفاظ أشباه المعاني) وضّح فيها دلالة الصوت ومشاكلته للمعنى** ودلالة البنية الصرفية للمفردة. يصف ذلك قائلاً: « هذا غور من العربية لا يُنتصف منه ولا يكاد يُحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلاً مسهوا عنه»⁽³⁾

(1) حيدر(فريد عوض)، علم الدلالة دراسة نظرية، وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005، ط1، ص30.
 (2) الفاخري(صالح سليم عبد القادر)، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، (د.ت)،(د.ط)،ص144.

* هذا مصطلح ابن جني في كتابه الخصائص، أنظر ج2، ص 157.

** وهو مصطلح ابن جني أيضاً، انظر: كتابه الخصائص، أنظر ج2، ص 157.

(3) ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية،(د.ت)،(د.ط)، ج2، ص 145.

أمّا مشاكلة الأصوات للمعنى ففصلها في جانبين الأول: على مستوى الصوت المفرد وقال في ذلك: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مثلئب عند عارفيه مأموم وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما ن قدره وأضعاف ما نستشعره»⁽¹⁾

ويضرب لذلك أمثلة كثيرة منها الفرق الدلالي بين ((خضم)) و ((قضم)) « فالأولى لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حدوا للمسموع على محسوس الأحداث»⁽²⁾. هذا على مستوى الصوت المفرد، أما على مستوى تركيب الأصوات وتآلفها، فركز على تقاليد المفردة وذلك في باب (الاشتقاق الأكبر) عندما ربط بين أصواتها وتقاليدها من جهة والدلالة من جهة أخرى « فمن ذلك تقليب (ج ب ر) فهي أين وقعت - للقوة والشدة، منها (جبرت العظم، والفقير) إذا قويتها وشدت منها، والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره، ومنها (رجل مجرب) إذا جرسته الأمور ونجدته...»⁽³⁾

وهو المذهب نفسه الذي ذهب إليه " أحمد بن فارس" بل لعله السبّاق إلى لفت الانتباه لذلك، وقد تأثر كثير من اللغويين المحدثين بهذا التحليل الصوتي الدلالي كـ " أحمد فارس الشدياق" الذي خصص لذلك كتابا بعنوان (منتهى العجب في خصائص لغة العرب) وناقشها في مواضيع كثيرة من كتابيه (سر الليال في القلب والإبدال) و(الساق على الساق) وكذلك " أمين آل ناصر الدين" في (دقائق العربية)

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 157.

(2) المصدر نفسه، ج2، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق، ج2، ص 135.

و "عبد الحميد حسن" في (الألفاظ اللغوية) و "عباس محمود العقاد" في (أشئآت مجتمعات) و "صالح سليم عبد القادر الفاخري" في (الدلالة الصوتية في اللغة العربية)

ويشير "تمام حسان" إلى وظيفة الصوت في الكلمة مع أنه لا يذهب مذهب "ابن جني" أو من تأثر به من العلماء المحدثين في القيمة التعبيرية للصوت، يقول: « وللحروف معانٍ وظيفية أيضا تتضح حين نستخرج حرفا من الكلمة، أو نضيف إليها حرفا أو نحل حرفا محل حرف منها، فنجد المعنى يتغير مع كل من هذه الإجراءات... والمسؤول عن تغيير المعنى في كل حالة هو تغيير حرف من حروف الكلمة، وهذا يدلنا على أنه يؤدي قسطا من المعنى العام هو وظيفي»⁽¹⁾.

فلو تأملت قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾ لوجدت أن الأصوات الموظفة في كلمة ((يصعد)) تُسهم في رسم صورة المختق الذي يحاول التنفس فلا يستطيع، انظر إلى صفات أصوات هذه المفردة ومخارجها؛ الصاد والعين والذال، فعلى الرغم من أن الصاد صوت رخو ومهموس لكن بالمقابل له ثلاث صفات قوية هي الاستعلاء والصفير والإطباق، ضيف إلى ذلك التفخيم، كما أنه يخرج من رأس اللسان ما بين الثنايا العليا والسفلى. وصوت العين متوسط بين الرخاوة والشدة وهو صوت مجهور، يصفه -وصوت

(1) حسان (تمام)، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، 2001، ط4، ص 119 (بتصرف بسيط).

(2) سورة الأنعام، الآية: 125

القاف- " الخليلُ بن أحمد" بأنهما «أطلقُ الأصوات وأضخمهما جرساً»¹، ويخرج من منطقة لسان المزمارة أي وسط الحلق. والدال صوت شديد فيه قَلْقَلَةٌ، يخرج من أصول الثنايا. إذاً تجتمع في هذه المفردة صفات القوة مما يجعلها ذات جرس قوي بالإضافة إلى الجهد في نطقها لتباعد مخارجها. ثم زد على ذلك كله الإدغام وهو شدة. كل ذلك رسم صورة الضيق والمشقة سواء أكان الأمر في وصف حالة الكافر النفسية التي يشعر فيها دائماً بالضيق والضعف أم الحقيقة العلمية التي تصف حالة التنفس عند الإنسان عندما يرتفع في الجو وهذا ما ستتعرف عليه في الدلالة الصرفية. لأن هذه الأخيرة تتضافر مع القيمة التعبيرية للأصوات لتحقق تعالق هذه المفردة مع المفهوم الاصطلاحي العلمي الذي تشير إليه.

وخذ مفردة (اتأقلمتم) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾² هذه الآية التي نزلت قبيل غزوة تبوك، بعدما بلغ النبي أن " هرقل" ملك الروم قد أعدّ العدة وجمع أحلافه لحرب الرسول، فأعلن النبيّ الجهاد، وكان الزمن صيفاً حاراً، وبالبلاد جذبٌ ومجاعة وكان ذلك في شوال سنة تسع للهجرة، فنزلت الآية تحثّ المؤمنين لتأييد النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن يخرجوا معه للقتال. لكنّ النفس الإنسانية ميّالة إلى الركون للراحة، والحر شديد، فتباطؤوا واتخذ كل واحد منهم أسباباً لذلك. ولأنّ الله يعلم ما بالنفوس وظف هذه المفردة بما فيها من ثقل بسبب الإدغام، والتاء وهي صوت شديد مجهور، والقاف بما يميّز من قَلْقَلَةٌ، يقول " بكرى شيخ أمين: « فنظام الأصوات للفظة (اتأقلمتم)

(1) الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ج1، ص53.

(2) سورة التوبة، الآية:38.

وصورة أدائها أوحى إليك بالمعنى قبل أن يرد عليك المعنى من جهة المعاجم، ألا تلاحظ في خيالك ذلك الجسم المتناقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط في أيديهم في ثقل؟ ألا تحس أن البطء في تلفظ الكلمة ذاتها يوحي بالحركة البطيئة التي تكون في المتناقل¹. يترجم هذا الثقل بناء هذه الكلمة على « أربعة مقاطع صوتية طويلة والأول منها مغلق بسبب تشديد الثاء وهو مركز الثقل... [ضف إلى ذلك] ترتيب أصواتها ترتيباً خاصاً، فإدغام التاء في الثاء، ثم الألف المدية، ثم القاف التي هي صوت شديد، ومجهور، ومستعل عند القدماء وهو ذاته عند المحدثين إذ ينطبق انطباقاً قليلاً ثم ينفجر، ثم التاء والميم في الآخر التي تنطبق بها الشفتان ويخرج الهواء من الأنف. في هذا الترتيب العجيب نجد المفردة تؤدي معنى خاصاً، لا تؤديها الأخرى [ونقصد صيغة تناقلتم] لو رُتبت أصواتها المؤثرة بشكل آخر، ورفع تشديد الثاء الناتج عن الإدغام²»

2- الدلالة الصرفية:

وهي الدلالة التي توحى بها صيغة المفردة وبنيتها، «فالكلمة يتغير معناها بتغير صيغتها، وتغير معنى الكلمة يتغير معنى العبارة بالضرورة»³، يسميها "حلمي خليل" "الوظائف الصرفية للكلمة" ويعرفها بقوله: « هي المعاني المستفادة من الأوزان والصيغ المجردة»⁽⁴⁾ والمصطلح نفسه يوظفه "تمام حسان" فالدلالة الصرفية عنده

(1) أمين (بكري شيخ)، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة- مصر، 1973، ط1، ص179.

(2) البكري (حسين محسن)، المفردة القرآنية بين الجذر اللغوي والمعنى القرآني. مقال منشور في مجلة كلية التربية للبنات، مج:20 العدد2، 2009، ص03. (بتصرف يسير).

(3) خليفات (سحبان)، منهج التحليل اللغوي المنطقي في الفكر الإسلامي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان -الأردن، 2004، (د.ط)، ج1، ص85.

(4) خليل (حلمي)، الكلمة دراسة لغوية معجمية، الهيئة المصرية للكتاب، فرع الاسكندرية، 1980، (د.ط)، ص

هي «وظيفة»، يقول: «ولا شك أن ثمة وظائف محددة للصيغ الصرفية العربية، فوظيفة صيغة فاعل غير وظيفة صيغة مفعول، والمجرد غير المزيد»⁽¹⁾. وللصيغة الصرفية أهمية كبيرة في تحديد دلالة الكلمة، بل يمكن من خلالها أن نتعرف على نمطية التفكير عند مستعملها وطبيعة حياتهم، يقول "خليفات سبحان": «فالصيغ إذاً مقولات عقلية أو شروط مضمرة لا يمكن إدراك العالم إلا من خلالها، وبالتالي فإن دراسة الصيغة في ظهورها وانتشارها، واختفائها ومعاني الصيغ التي تشيع في كل عصر، أو تختفي أو تندر، يعني كتابة التاريخ العقلي أو الثقافي لأصحاب اللغة»².

والاهتمام بالدلالة الصرفية قديم قدم الدراسات اللغوية العربية، إذ يشير إليها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت/175هـ) ضمنياً في ربطه بين دلالة المفردة وبنيتها في شرحه لمادة (صل) في (باب الصاد واللام) قائلاً: «صل اللجام صليلاً إذا توهمت في صوته مداً، وإن توهمت ترجيعاً قلت: صلصل، وكل ذي صلابة يصلصل»⁽³⁾ و"سيبويه" (ت/180هـ) يشير إلى هذا النوع من الدلالة في (الكتاب)، فمثلاً يربط بين وزن المصدر ودلالته، إذ يقول: «ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النزوان، والنقزان؛ وإنما هذه الأشياء في زعزة البدن واهتزازه في ارتفاع... ومثل هذا الغليان، لأنه زعزة وتحرك، ومثله الغثيان، لأنه تجييش نفسه وتثور»⁽⁴⁾.

(1) حسان (تمام)، ، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، 2001، ط4، 120.

(2) خليفات، منهج التحليل اللغوي، مرجع سابق، ج1، ص77.

(3) الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرئي، (د.ت)، (د.ط)، ج7، ص84.

(4) سيبويه (أبو بشر عمرو)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي

بالرياض، 1982، ط2، ج4، ص14

"وابن جني" يذهب مذهب الرجلين في ذلك ويتوسع فيه قائلاً: «الألفاظ دليلية على المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل»⁽¹⁾ ويعدّد بعض البنّى اللغوية ودلالاتها فيقول: «وذلك أنه تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير، نحو: الزعزعة والقلقلة... ووجدت أيضاً (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو البشكى والجمزى... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر - أعني باب القلقلّة - والمثال الذي توالى حركاته للأفعال التي توالى الحركات فيها ومن ذلك... أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب... ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين دليلاً على تكرير الفعل فقالوا: كسّر وقطّع...»⁽²⁾ والدلالة الصرفية لا تُستوحى فقط من هذه الصيغ ولكن من زمن الأفعال وأوزانها سواء أكانت مجردة أم مزيدة ومن المشتقات بأنواعها كاسم الفاعل والمفعول وصيغ المبالغة والصفات المشبهة والمصادر كمصدر الهيئة والمرة والمصدر الميمي وأسماء الجموع كجمع القلة والكثرة وغيرها من الأبواب الصرفية العربية. بل أكثر من ذلك زيادة أيّ حرف أو نقصانه في بنية الكلمة هو بالمثل زيادة أو نقص في المعنى، فانظر مثلاً كيف يميّز "الزَمْخْشَرِي" بين (حائِضَة) و(حائِض) و(طامِثَة) و(طامِث)، إذ يقول: «وإنما يكون ذلك حائض وطامث في الصفة الثابتة، فأما الحادثة فلا بدّ لها من علامة التأنيث. نقول حائِضَة وطالقة الآن أو غدا»³

وَلَنْضَرْبٍ مِثَالاً لِلدَّلَالَةِ الصَّرْفِيَّةِ؛ عُدَّ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ

(1) ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، ج2، ص 155.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 153-154-155 (بتصرف)

(3) الزَمْخْشَرِي (أبو القاسم محمود بن عمر جار الله)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، مطبعة

مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1966، ط3، ص252.

كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾¹ فقد ذهب العلماء إلى أنّ الإنسان إذا أراد الله هدايته وسّع قلبه للتوحيد والإيمان به، وقذف فيه النور، وأما من أراد أن يضلّه فيجعل قلبه ضيقاً حرجاً ، ويسلّط عليه الشيطان فيغويه ويصدّه عن سبيل الله. ووصف ذلك الضيق بقوله: ﴿يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ وراح كثير من العلماء يشرح ذلك بتشبيه الكافر « في ثقل الإيمان عليه بمن يتكلف ما لا يطيقه كصعود السماء مرّة بعد مرّة...وقيل: المعنى على جميع القراءات: كاد قلبه يصعد إلى السماء نبواً على الإسلام.»² . صحيح أنّ الصورة تشبيهية لكن لماذا اختيار الصعود في السماء وبهذه الصيغة الصرفية؟

الجواب بسيط: لقد اكتشف العلماء أنّ « الارتفاع في الجو لمسافات عالية يسبّب ضيقاً في التنفس، وشعوراً بالاختناق يزدادان كلما زاد الارتفاع (يصعد) حتى يصل الضيق إلى درجة حرجة وصعبة جداً، أما سبب ضيق النّفس فيعود لسببين رئيسيين هما:

- 1 - انخفاض نسبة الأوكسجين في الارتفاعات العالية، فهي تعادل 21 % تقريبا من الهواء فوق سطح الأرض، وتتنعم نهائياً في علو 67 ميلاً، ويبلغ توتر الأوكسجين في الأسناخ الرئوية عند سطح البحر 100مم، ولا يزيد عن 25مم في ارتفاع 8000 متر، حيث يفقد الإنسان وعيه بعد دقيقتين أو ثلاث ثم يموت.
- 2 - انخفاض الضغط الجوي: إذ ينخفض هذا الضغط كلما ارتفعنا عن سطح الأرض مما يؤدي إلى نقص معدل مرور الهواء عبر الأسناخ الرئوية إلى الدم، كما

(1) سورة الأنعام، الآية:125.

(2) الشوكاني (محمد بن علي)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2007، ط4، ص447. (بتصرف يسير)

يؤدي انخفاض الضغط إلى تمدد غازات المعدة والأمعاء، التي تدفع الحجاب الحاجز إلى الأعلى فيضغط على الرئتين ويعيق تمددها، وكل ذلك يؤدي إلى صعوبة في التنفس، وضيق يزداد حرجا كلما صعد الإنسان عاليا، حتى أنه يحصل نزف من الأنف أو الفم يؤدي أيضا إلى الوفاة.¹

إن الصيغة الصرفية لكلمة (يصعد) والتي قرأها الجمهور بتشديد الصاد على وزن (يتفعل) الدالة على «التكلف»² أسهمت بما فيها من ثقل بشكل كبير في الدلالة على صعوبة التنفس ومحاولة الإنسان ما لا يطيق، يقول " سيد قطب": «فهو [أي قلبه] مغلق مطموس يجد العسر والمشقة في قبوله [أي الإيمان] (كأثما يصعد في السماء)... وهي حالة نفسية تُجسّم في حالة حسيّة، من ضيق النفس، وكربة الصدر، والرّهق المضني في التصعد في السماء! وبناء اللفظ ذاته (يصعد) فيه هذا العسر والقبض والجهد، وجرسه يخيل هذا كلّه، فيتناسق المشهد الشاخص مع الحالة الواقعة مع التعبير اللفظي في إيقاع واحد»³. إذا الصيغة الصرفية للكلمة مع دلالتها المعجمية أدت حقيقة علمية، وهي صعوبة التنفس وضيقه عند الارتفاع كما رأينا على الرغم من أنّ كثيرا من العلماء فسّروا ذلك بناءً على المشابهة، يقول "ابن عاشور": «مُثلّ حال المشرك حين يُدعى إلى الإسلام أو حين يخلو بنفسه فيتأمل في

(1) دياب (عبد الحميد) وقرقوز (أحمد)، مع الطب في القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - سوريا، 1982، ط2، ص21-22. و هو ما يؤكد "صلاح الدين المغربي" وهو أستاذ طب الفضاء بمعهد طب الفضاء بلندن وعضو في الجمعية الأمريكية لطب الفضاء، انظر: عبد العزيز طارق قاضي، ومن يرد أن يُضله يجعل صدره ضيقا حرجا، مقال منشور بمجلة الإعجاز العلمي، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد:35، ذو الحجة، 1430هـ، ص64.

(2) الاسترأبادي (رضي الدين محمد بن الحسن)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1982، (د.ط)، ج1، ص104.

(3) قطب (سيد)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - مصر، 2003، ط32، مج3، ج8، ص1203.

دعوة الإسلام، بحال الصاعد، فإنّ الصّاعد يضيق تنقّسه في الصعود، وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة مُتخَيِّلة، لأنّ الصعود في السّماء غير واقع¹ مع أنّ عالمنا الجليل يلتفت إلى نقطة مهمّة وهي أنّ السماء في هذا الموضع تدل على الجوّ، يقول: « ويجوز أن يكون السّماء أُطلق على الجوّ الذي يعلو الأرض. قال أبو عليّ الفارسي ((لا يكون السماء المُظَلَّة للأرض ولكن كما قال سيبويه القيدود الطويل في غير سماء أي في ارتفاع صَعَدًا)) أراد أبو علي الاستظهار بكلام سيبويه على أنّ اسم السّماء يُقال للفضاء الذاهب في ارتفاع...أي الجوّ². وهذه التفاتة تُظهر أمرين؛ أنّ السماء هنا المقصود بها الجوّ، وأنّ الدلالة العلمية لـ(يَصْعَد) أولى من تأويلها بالمشابهة والتمثيل. فانظر إذاً إلى أهميّة الدلالة الصرفية التي لا تقلّ أهميّة عن الدلالة المعجمية في تجسيد ظاهرة التعالق.

3- الدلالة المعجمية:

كون المفردة وحدة معجمية (Lexème) يجعلها تدلّ حتماً على معنى نووي معجمي (Lexical meaning) وهو ذلك المعنى المتعارف عليه، الذي يسجّله المعجم. هذا النوع من المعاني الذي يرى كثير من علماء اللغة المحدثين والمعاصرين وفي مقدمتهم علماء المعاجم أنّه يتكون من عناصر رئيسية ثلاثة:

- 1- ما تشير إليه الكلمة في العالم الخارجي.
- 2- ما تتضمنه الكلمة من دلالات، أو ما تستدعيه في الذهن من معان.
- 3- درجة التطابق بين العنصر الأول والثاني.⁽³⁾

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد)، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، (دط)، مج8، ج1، ص60.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) خليل (حلمي)، الكلمة دراسة لغوية معجمية، مرجع سابق، ص138.

والعنصر الأول إنما هو الدلالة المركزية كما يسميه " إبراهيم أنيس " وهي «ذلك القدر المشترك من الدلالة الذي يسجله اللغوي في معجمه»⁽¹⁾، يصطلح عليها "محمد حسن حسن جبل" (المعنى المحوري)². هذا يشجعنا على القول أن أي مفردة تحمل طاقة دلالية كامنة، نسميها الدلالة المعجمية، ويسمينا "تمام حسان" (المعنى المعجمي) ويعرفه بـ «المعنى المفرد الذي للكلمة خارج السياق في حال أفرادها»⁽³⁾، لكنّه يعدّه « ثمرة لتضافر اشتقاقها وصيغتها الصرفية»⁴، بينما نرى أن « الدلالة المعجمية» هي طاقة كامنة في جذر المفردة قبل أن تكتسي أي بنية صرفية أو نحوية، خذ مثلا الأصل (رح)، يقول " ابن فارس " « الرء والحاء أصل يدلّ على السّعة والانبساط. فالرّحح: انبساط الحافر وصدر القدم. ويُقال للوعل المنبسط الأظلاف أرح...ويُقال ترّحرّحت الفرس: فحّبت قوائمها لتبول. ويُقال في عيش رحرّاح، أي واسع»⁵

صحيح أنّ هذه الدلالة عامة ومتعددة في بعض الجذور اللغوية لكنّها كفيلة بتحقيق جزء من العملية التواصلية وإن كان محدودا أو على الأقلّ التعريف بماهيتها، ما يؤكد كلامنا هو موقف "أولمان" حين يقول: «ولكنّ مشايخي نظرية السياق يذهبون إلى أبعد من هذا وكثيرا ما يردّدون القول بأنّ الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم، يقول القائل: "عندما أستعمل كلمة يكون

(1) أنيس (إبراهيم)، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984، ط5، ص 106.

(2) انظر: جبل (محمد حسن)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين

ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مكتبة الآداب، 2010، ط1.

(3) حسان (تمام)، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، 1993، ط1، ص06.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج2، ص385-386. (مادة رح)

معناها هو المعنى الذي اختاره لها فقط، لا أكثر ولا أقل." ولو تأملنا الأمر قليلا لظهر لنا أنها مبالغة ضخمة، وتبسيط كبير للأمور... هل هذا يعني أنّ الكلمات المفردة لا معنى لها على الإطلاق؟ كيف تُصنف المعاجم إذا لم يكن لهذه الكلمات معانٍ؟ إننا لا ننكر أنّ كثيرا من الكلمات يعترينا بعض الغموض الشديد وأنّ ألوانها المعنوية غالبا ما تكون مانعة وغير محددة تحديدا دقيقا، ولكنّ هذه الكلمات مع ذلك لا بد أن يكون لها معنى أو عدة معانٍ مركزية ثابتة، هذه القضية مُسلمٌ بها على وجه العموم، ولكن عدم الوضوح بين الكلام واللغة قد عاق كثيرا من العلماء من منح الكلمات المفردة نصيبها من الاستقلال الذي تستحقه»⁽¹⁾

وبالإضافة إلى دلالة المفردة المعجمية تتضافر بها دلالات أخرى لتحديد المعنى العام والدقيق في الوقت نفسه إنها القيمة التعبيرية للصوت والدلالات الصرفية التي أشرنا إليها آنفا والنحوية. وسترى في الفصول التطبيقية الموالية نماذج تكون الدلالة المعجمية هي الفاعل الرئيس في تحقيق ظاهرة التعالق بين المفردة ومفهومها العلمي الاصطلاحي، ولذلك تمّ اختيارها من بين كل المفردات المتقاربة معها دلاليا في المحور الاستبدالي، بل أكثر من ذلك من بين العوامل الأخرى التي سنذكرها تُعدُّ الدلالة المعجمية أول فاعل في تحقيق هذه الظاهرة وتجسيدها.

4- الدلالة النحوية:

دلالة المفردة النحوية هي وظيفتها النحوية كالفاعلية والمفعولية وغيرها « فكل كلمة تقع فاعلا تقوم بوظيفة باب الفاعل، أي أنها تدل على الفاعلية»⁽²⁾

(1) أولمان(ستيفن)، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، (د.ت)،(د.ط)، ص 57.

(2) حيدر(فريد عوض)، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005، ط1، ص46.

ومن البديهي أيضا أنّ تغيّر الدلالة منوط بتغيّر الحركات الإعرابية للكلمة ولهذا نُسّمِي الإعراب بذلك، لأنّه تحقيق للإبانة، يقول "ابن خلدون": «وَحْشِي أَهْلُ الْعُلُومِ مِنْهُمْ أَنْ تَفْسُدَ تِلْكَ الْمَلَكَةُ رَأْسًا وَيَطُولَ الْعَهْدُ بِهَا، فَيَنْغَلِقَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ عَلَى الْمَفْهُومِ فَاسْتَنْبَطُوا مِنْ مَجَارِي كَلَامِهِمْ قَوَانِينَ لِتِلْكَ الْمَلَكَةِ مَطْرَدَةً، شَبِهَ الْكَلِيَّاتِ وَالْقَوَاعِدِ يَقْيِسُونَ عَلَيْهَا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَيَلْحَقُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِثْلَ إِنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ، وَالْمَفْعُولُ بِهِ مَنْصُوبٌ، وَالْمَبْتَدَأُ مَرْفُوعٌ. ثُمَّ رَأَوْا تَغْيِيرَ الدَّلَالَةِ بِتَغْيِيرِ حَرَكَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى تَسْمِيَتِهِ إِعْرَابًا»¹

لهذا اعتمد كثير من العلماء في تفسير القرآن على الدلالة النحوية، بل كان النحو وسيلة إجرائية مهمة في كشف معاني النص القرآني وأداة لترجيح وجه من الوجوه أثناء وقوع خلاف في قراءة آية من الآيات، وعلى هذا الأساس أَلَفَ "الفراء" (معاني القرآن)، ومثله لـ"الزجاج"، وكذا فعل "الأخفش" و"الكسائي" وغيرهم كُثُرًا. وفي قصة "أبي يوسف الفقيه الحنفي" بيان مقصدنا وقطع لكلّ حشو وإطناب، فقد أورد "ابن هشام" في (مغني اللبيب) أن «كتب الرشيد ليلةً إلى القاضي أبي يوسف يسأله عن قول القائل:

فإن ترفقي يا هندُ فالرفقُ أيمُنُ وإن تخرُقي يا هندُ فالخرقُ أشأمُ
فأنتِ طلاقٌ والطلاقُ عزيمةٌ ثلاثٌ ومن يخرقُ أعقٌّ وأظلمُ²

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، المقدمة، تح: علي عبد الوافي واحد، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1958، ط4، ج4، ص1255.

(2) ورد البيتان في كتب الفقه والنحو بلا نسب، انظر مثلاً: شَرَاب (محمد بن محمد حسن)، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية لأربعة آلاف شاهد شعري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 2007، ط1، ج3، ص61.

فقال: ما يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها؟ قال أبو يوسف: فقلت: هذه مسألة نحوية فقهية، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي، فأتييت الكسائي وهو في فراشه، فسألته، فقال: إن رفع ثلاثا طُلِّقت واحدة، لأنه قال (أنت طلاق) ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث، وإن نصبها طُلِّقت ثلاثا، لأن معناه أنت طالق ثلاثا، وما بينهما جملة معترضة، فكتبتُ بذلك إلى الرشيد»¹

ويشير "فريد عوض حيدر" إلى أهميتها- أي الدلالة النحوية- قائلا: « فإذا ضمنا الدلالة النحوية للكلمة إلى دلالتها الصرفية أدى ذلك إلى معرفة حدود هذه الكلمة وتميزها»⁽²⁾ ، فانظر قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنِي﴾³ وكذا قوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾⁴ ، إن الآيتين تخبران بأن الإنسان يُخلق من ماء الرجل والمرأة ولكن ليس من كلِّ مائهما بل من بعضهما، دلَّت على ذلك (من) الدالة على التبعيض، وهذا هو سرُّ اختيار (من) في التركيبين، لأن من بين مئات الملايين من النطاف التي بدأت السباق، لا يصل سوى العشرات إلى البويضة التي تمَّ اختيارها من آلاف البويضات، وتموت النطاف الباقية وتهلك قبل وصولها إلى هدفها، ومن تلك العشرات لا تحقق عملية الإخصاب إلا واحدة.

ثم تأمل كيف تتعالق الدلالة النحوية مع المفهوم الاصطلاحي العلمي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾^٥ ثم جعلناه نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ

(1) ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 1995، (د.ط)، ج1، ص64.

(2) حيدر (فريد عوض)، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع السابق، ص47.

(3) سورة القيامة، الآية:37.

(4) سورة السجدة، الآية:08.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾¹

وصفتُ هذه الآياتُ مراحلَ خلقِ الإنسان؛ إذ ابتدأ خلقه من طين، ولا نعلم كيف ومتى ذلك، ثم ذكرت ثلاث مراحل رئيسية في خلقه في بطن أمه، وهي: مرحلة النطفة، مرحلة التخليق، ومرحلة النشأة. ثرى ما السرّ في اختيار حرفي العطف (الفاء) و(ثم) في الآيات دون غيرهما من الحروف الأخرى، ولماذا لم يُوظف (ثم) في موضع (الفاء) أو العكس؟ الجواب يفيدنا به علماء الأجنّة.

الأكيد أنّ الخلق من مرحلة الطين إلى النطفة أمرٌ لا يعلمه الإنسان، ولا يُدرك تفاصيله، أما الخلق من النطفة إلى المراحل التالية فقد أثبتتها العلم وبشكل غير مسبق ستتوضّح بعض تفاصيله في الفصل الموالي، وما يهّمنا منها الآن هو الدلالة النحوية لحروف العطف المنتقاة، فالمدة بين خلق الإنسان من طين إلى نطفة مجهولةٌ وربما بعيدة في الزمان لذلك وظّف الله - عزّ وجل - حرف (ثم) للدلالة على التراخي والفاصل الزمني الكبير، أما مرحلة النطفة فتستغرق من بعد الإخصاب أسبوعاً كاملاً، وفصل الخطاب القرآني بينها وبين المرحلة الموالية لها أي مرحلة العلقه ب(ثم)، لأنّ علم الأجنّة بيّن « أن هناك فترةً زمنيةً بين مرحلة النطفة ومرحلة العلقه، تزيد هذه الفترة عن أسبوعين، فيها يتباطأ نمو الجنين، لأن هذه المرحلة مرحلة انغراز النطفة في جدار الرحم، والجنين في هذه المرحلة لا ينمو، ولكنه يوطّد طرائق امتصاصه للغذاء من الرحم، لذلك لا يكون الجنين في هذه المرحلة إلا

(1) سورة المؤمنون، الآية: 14.

كقرصٍ من الخلايا المنتظمة على شكل صَفَّين متوازيين، فهذا البطء في مرحلة نمو الجنين في الأسبوع الثاني والثالث من اللقاح، عبَّر الله عنه بحرف (ثم)¹ لكن بمجرد بدء طور العلقة تبدأ مرحلة جديدة ألا وهي مرحلة التخليق، « وأهم ما يميّزها هو التكاثر السريع للخلايا، ونشاطها الفائق في تكوين الأجهزة، مما يجعل وصف التخليق وصفا دقيقا معبِّرا عن طبيعة العمليات الداخلية، والمظهر الخارجي للجنين حيث ينتقل من مظهر غير متميِّز إلى مظهر إنساني متميِّز في الأسبوع السابع نتيجة لانتشار الهيكل العظمي ثمّ بناء العضلات في الأسبوع الثامن، ونظرا لأنّ العمليات التخليقية للجنين تتمّ بسرعة كبيرة...فإننا نلاحظ أنّ القرآن الكريم قد استعمل حرف العطف(الفاء)²»

ويستمرّ توظيف الفاء في الأطوار الأخرى أي المضغّة والعظام واللحم للسبب المذكور آنفا، إذ تتسارع عملية التخليق خلال كل أربع وعشرين ساعة تقريبا (انظر الجدول الموالي)

لكن يحدث تغيير توظيف حرف العطف مع مرحلة جديدة وهي مرحلة النشأة الأخرى، فلم تُوظَّف (ثم) من جديد؟

« قد ورد حرف العطف (ثم) مع (أنشأنا) في الآية ليفيد أن مرحلة النشأة تأتي بعد مرحلة الكساء باللحم على التراخي في الزمن بصورة تدريجية.تبدأ مرحلة النشأة(المرحلة الجنينية) في الأسبوع التاسع، ولكن هذه المعاني كلها لا تبدأ في

(1) النابلسي(محمد راتب)، إعجاز القرآن الكريم وعلم الجنين، موضوعات علمية من خطب الجمعة -

الموضوع 172، على الموقع الإلكتروني: <http://www.nabulsi.com> ، تاريخ التصفح: 2015/03/10.

(2)جونسون (مارشال)، والزنداني(عبد المجيد)، ومصطفى(أحمد)، وصف التخلّق البشري مرحلة النطفة، ورقة مقدّمة إلى المؤتمر العالمي الثاني للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد- باكستان، 1408هـ/1987، ص30.

الوضوح إلا فيما بعد، كما أن نموّ بعض الأعضاء يظهر في الأسبوع الحادي عشر. وتستمر مرحلة النشأة حتى نهاية الحمل أي: الأسبوع الثامن والثلاثين، ويشير القرآن الكريم إلى هذا التأخر بحرف العطف (ثم)»¹

العمر بالأيام	عدد الفلقات	الطول(ملم)	الخواص الرئيسية
21-20	3-1	3.0-1.5	ظهور شق عصبي عميق والفلقات الأول، وضوح ثنية الرأس.
23-22	12-4	3.5-2.0	الجنين مستقيم أو ذو انحناء بسيط، ويكون الأنبوب العصبي في طريقه إلى التكون أو تكون فعلاً مقابل الفلقات ولكنه يكون مفتوحاً بصورة كبيرة عند المسام العصبية المتقاربة والذيلية.
25-24	20-13	4.5-2.5	يكون الجنين منحنى الشكل بسبب ثنيتي الرأس والذيل، وتبدأ المسامة العصبية المتقاربة في الإنغلاق، ويظهر قرص الاذن . وتتكون الحويصلة البصرية.
27-26	29-21	5.0-3.0	ظهور براعم الطرفين العلويين، بدء انغلاق المسامة العصبية الذيلية أو انغلاقها، ظهور ثلاثة أزواج من الأقواس الخيشومية إمكانية، تمييز بروز القلب، ظهور فتحتي الأذنين
30-28	35-30	6.0-4.0	يكون شكل الجنين على هذا النحو C ويكون برعما الطرفين العلويين على شكل زعنفة، وتظهر أربعة أزواج من الأقواس الخيشومية، ويظهر برعما الطرفين السفليين، وتظهر حويصلتا الأذنين، ويمكن تمييز قرصي عدستي العينين، ويظهر ذيل رقيق.
32-31	/	7.0-5.0	يتخذ الطرفان العلويان شكل المجذاف، وتظهر فتحتا العدستين والأنف مع ظهور قرصي العينين.
36-33	/	9.0-7.0	تكون صفحتي اليدين، ظهور حويصلي عدستي العينين، بروز فتحتي الأنف، الطرفان السفليان على شكل مجذاف. ظهور جيب عنقي.
40-37	/	11-8.0	تكون صفحتا القدمين. ظهور الصباغ في الشبكية، نمو بروزتي الأذنين.
43-41	/	14.0-11.0	ظهور أطراف الأصابع. نمو بروزتي الأذنين بشكل يحد ملامح صيوان الأذن، بدء استقامة الجذع. بروز الحويصلات المخية.

(جدول 01 يوضّح التحول السريع للجنين في طور المضغة)²

(1) المرجع نفسه، ص 43.

(2) المرجع السابق، ص 35.

إدًا كما أسلفنا الذكر، تتضافر هذه الدلالات وتسهم كل واحدة منها في تكوين المعنى العام للمفردة، يقول "تمام حسان": «... ويصدق على مجموع المعاني الذي يؤديه الصوت والحرف والمقطع والصيغة والعلاقة اصطلاح "المعني الوظيفي" لأن لكل واحد من هذه الأمور وظيفة خاصة يؤديها، ويساهم بأدائها في بيان المعنى العام ووضوحه»⁽¹⁾.

أما ما تتضمنه المفردة من دلالات، أو ما تستدعيه في الذهن من معانٍ زادت عن دلالتها المركزية فهي دلالة هامشية و« هي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم»⁽²⁾ وليس لها «صفة الثبوت والشمول، وإنما تتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة.»⁽³⁾

وتتدخل في توجيهها العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية، فهي إذا دلالات فردية ذاتية ويضرب "إبراهيم أنيس" في ذلك مثالا بلفظة ((المسدس))⁽⁴⁾، فهناك من يسمعا ويدرك دلالتها المركزية فقط ولا تثير فيه شيئاً من ظلال المعاني، بينما يسمعا آخر فنذكره بطفولته لارتباط هذا الشيء بلعبة له، وقد تبعث في ذهن آخر الرعب لارتباط المسدس بمقتل أحد أفراده في قضية إجرامية مؤلمة.

لخطورة هذه الدلالات سواء أكانت المركزية أم الهامشية - كما يسميها "إبراهيم أنيس" - في توجيه المعنى وفي العملية التواصلية في حد ذاتها أولى العربي منذ القدم عنايته الفائقة بالمفردة وحسن انتقائها وتوظيفها في النص فكم من شاعر قد عيب

(1) حسان (تمام)، اللغة بين المعيارية والوصفية، مرجع سابق، ص 120.

(2) أنيس (إبراهيم)، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 107.

(3) عمر (أحمد مختار)، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة 1988، ط5، ص 37، (بتصرف بسيط).

(4) أنيس (إبراهيم)، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 107-108.

عليه توظيف مفردة لأنها أساءت إلى دلالة بيت شعري. فما هو "طرفة بن العبد" وقد سمع بيت "المسيب بن علس":

وقد أتتاسى الهمَّ عند احتضاره بنّاجٍ عليه الصَّيْعِرِيَّةُ مُكْدَمٌ¹.

يقول: «استتوق الجمل» لأن (الصيعرية) سمة في عنق الناقة لا البعير»⁽²⁾ فالدلالة المعجمية لمفردة ((الصيعرية)) حالت دون استقامة معنى البيت عندما وظفها الشاعر وهي بهذا- أي الدلالة المعجمية- عامل في توظيف الوحدة اللغوية أو عدمه.

وفي بيتي "حسان بن ثابت":

لنا الجففات الغرّ يلمعن في الضحى و أسيافنا يقطنن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني مُحَرَّق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما³

لعبت الدلالة الصرفية و المعجمية دورهما في انتقاص المعنى، وتنقده "الخنساء" قائلة: « ضَعَّفَتْ افتخارك، وأبرزته في ثمانية مواضع. قال: وكيف؟ قالت: قلت " لنا الجففات" والجففات ما دون العشر، فقَلَّلت، ولو قلت " الجفان" لكان أكثر، وقلت " الغر" والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت "البيض" لكان أكثر اتساعا، وقلت "يلمعن" واللمع شيء يأتي بعد الشيء ولو قلت "يشرقن" لكان أكثر، لأنَّ الإشراق أدوم من اللمعان، وقلت "بالضحى" ولو قلت "بالعشية" لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا، وقلت "أسيافنا" والأسياف دون العشر، ولو قلت "سيوفنا" كان

(1) انظر: بن علس(المسيب)، ديوان المسيب بن علس، جم وتع: عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، 2003، ط1، ص127. والناج: البعير. الصيعرية: من سمات النوق دون الجمال.مكدم: غليظ شديد.

(2) أحمد وحسن البصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراق 1982، ط1، ص11.

(3) البيتان من قصيدة (لنا الجففات الغرّ)، انظر: حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، شر وتق: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1994، ط2، ص219.

أكثر، وقلت "يقطرن" فدللت على قلة القتل، ولو قلت "يجرين" لكان أكثر، لانصباب الدم، وقلت "دما" والدماء أكثر من الدم...»¹

فأنت ترى إذاً أنّ نقد "الخنساء" كان مبنيًا على سوء توظيف مفرداتٍ خانتها صيغتها الصرفية أو دلالتها المعجمية لأداء مقصود الشاعر بوفاءٍ فضَعَفَ المديح، وسَبَبُ ذلك سوء اختيار المفردة الخادمة للمعنى. تأمل قول "الجرجاني" وهو يؤكد على خطورة هذا الجانب «...ولا جهة لاستعمال هذه الخصال(ويقصد حسن الدلالة وظهورها في أبهى صورة) غيرُ أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصحُّ لتأديته وتختار له اللفظ الذي هو أخصُّ به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يُكسبه نُبلا ويُظهِر فيه مزيةً، وإذا كان هذا كذلك، فينبغي أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكَلِم إخبارًا وأمرًا ونهيًا...»⁽²⁾

في الحقيقة "الجرجاني" وهو زعيم نظرية النظم ينبهنا إلى مدى خطورة انتقاء المفردة المناسبة للمعنى والمقام والسياق. وهذا دليل على الطاقة الدلالية الكامنة التي تحملها المفردة قبل دخولها السياق سواء أكان سياقًا أدبيًا أم علميًا.

ويعلق محمد حسنين أبو موسى "على هذا النقد - وقد نسبه إلى "النابغة الذبياني"- قائلاً: «فالنابغة حين يخاطب حسان...إنما يدرس ملاءمة المفردات، ووضع الكلمات موضعها، وينظر في اختيارها وفي أحوالها في الجمع والإفراد، وهذا درس في صميم مطابقة الكلمة لما يقتضي مقامها الذي هو لبّ البلاغة.»⁽³⁾

(1) الرفاعي(مصطفى صادق)، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مرجع سابق، هامش ص 225.

(2) الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص44.

(3) أبو موسى(محمد حسنين)، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات

البلاغية، دار الفكر العربي،(د.ط)،(د.ت)،ص93.

ويورد "شوقي ضيف": موقفاً للشاعر "ابن هرمة" عندما روى رجلٌ بيتاً له من الشعر

بالله ربك إن دخلت فقل لها هذا ابن هرمة قائماً بالباب

فقال "ابن هرمة" للرجل ما كذا قلت. أكنت أتصدق (أسأل)؟ قال: فماذا؟ قال "ابن هرمة": واقفاً، ثم قال: لبيتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى. (1) في واقع الأمر، هذا ما قصده "ابن الأثير" عندما قال: «ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يُفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه، وجلّ نظره. (2)»

وإذا كان الإنسان العربي يتحرى هذه الدقة والانضباط في توظيف مفردة أو أخرى فما بالك بالنص القرآني أو نصّ الحديث الشريف، إنها دقة الدقة وصرامة الانضباط لدرجة أنّ تحريك أصغر وحدة في بنية هذين النصين ألا وهي الصوت هو إخلال بهما. على هذا الأساس أكدّ الخطاب القرآني هذين المبدأين - أي الدقة والصرامة - في توظيف الكلمة لما تحمله من إحياءات خاصة، ومن مقامات ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا نَظْرًا وَأَسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (3) إذ نهى المؤمنين أن يقولوا (راعنا) لما لها من دلالة مذمومة في العبرية، فهي تدلّ على معنى قبيح فيه سبٌّ وشتم، ومن أسباب نزول هذه الآية أنّ اليهود

(1) ضيف (شوقي)، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ط2، ص 26. ولم نعثر على ديوان ابن هرمة.

(2) ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تقديم: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر - القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ص 164.

(3) سورة البقرة الآية: 104.

كلّما سمعوا نداءً المسلمين للرسول بهذه اللفظة- والتي كانوا يقصدون بها « فرّغ سمّك لكلامنا»¹ - وقع ذلك في نفوسهم موقعا حسنا، فقد آن لهم أن يشتموا الرسول علنا بعد أن كانوا يفعلونه سرّا، وكانوا كلّمًا فعلوا ذلك ضحكوا. وقد اختلف العلماء والمفسّرون في تحديد معناها بهذه الدلالة السيئة، يذكر "القرطبي" أنّ « المخاطبة بهذا جفاء... وكان هذا بلسان اليهود سبّا، أي اسمع لا سمعت؛ فاغتموها... فسمعتها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم؛ فقال لليهود: عليكم لعنة الله! لأن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي(ص) لأضربن عنقه؛ فقالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت الآية، ونهوا عنها لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه»²

والعارفون بالعبرية يذهبون في تحديد معناها بشكل أدقّ فد « كلمة "رع" (7لا) نقرأها "راع" العبرية معناها: سيء، أي هي وصف للشيء بالسوء أو القذارة وما إلى ذلك»³ وحرص اليهود على نطقها بالعبرية لتدلّ على المعنى العبري لا العربي، ولهذا قال تعالى: ﴿لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾⁴

واللحن في نطقها إما لتحقيق الصورة النطقية لـ«(راعينو ra'aino) أي: يا سيئنا، أو أيها السيء فينا، وإما (راعنا) بتسكين العين على أصل كلمة (راع) في لسانهم وهي بالمعنى نفسه»⁵

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج2، ص57.

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(3) عطية (زاهدة)، التفسير الغائب، مقال إلكتروني منشور في الموقع الإلكتروني: <http://vb.tafsir.net>

والكاتب عارف باللغة العبرية متقن استعمالها. تاريخ التصفح: 2014/12/04 على الساعة: 23:00.

(4) سورة النساء، الآية:46.

(5) عطية (زاهدة)، التفسير الغائب، مرجع سابق.

وانطلق "الحاج حمد" في معالجة هذه النقطة من زاوية معجمية دقيقة ومختلفة تماماً، لا يلتفت إليها إلا مَنْ أُوتِيَ نكاءً وفطنةً، يقول: «إنّ دلالات (راعنا) التي نهى الله عنها مرتين واستبدلها بـ (انظرنا) خطيرة جداً، فراعنا تحطّ من قدر الناس بتحويلهم إلى (رعيّة) من مرعى حيث يقودها الراعي بعصاه. أما (انظرنا) فمن النظر والعناية والتكافؤ. ولم يستخدم الله في كلّ القرآن مفردة مراعاة أو رعاية وإنما استخدم مفردة (عناية) رجوعاً إلى العين والنظر وهكذا خاطب نوحاً ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾¹ وكذلك ﴿مَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾² وكذلك خاطب موسى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾³ كما خاطب محمداً ص- ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾⁴ فالمسألة هنا منهجية إذ ترتبط بمضمون العلاقة بين الله والبشر وبين الأنبياء والبشر، فلا تنحطّ إلى دونية البهائم، فالله لا يستلب الإنسان ولا يحطّ من قيمته، وقد عزا الله ذلك الأمر إلى تحريفات اليهود في ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁵

«⁵»⁶

(1) سورة هود، الآية 37.

(2) سورة القمر، الآية 14.

(3) سورة طه، الآية 39.

(4) سورة الطور، الآية 48.

(5) سورة النساء، الآية 46.

(6) حاج حمد، العالمية الإنسانية الثانية، مرجع سابق، ص 56.

وتتمدد دلالة الرعاية والرعي بهذا المنطلق لتمسّ مجتمع البداوة والرعي والأعراب وما ينطوي عليه من « سلوكيات تلك المجتمعات من قسوة ونفاق»¹ ، فموسى -عليه السلام- واجه ذلك حين وجد الفتاتين تسقيان بعد صدور الرعاء، وكذلك محمد- صلى الله عليه وسلم- حين خوطب بالحق ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾²

وقال أيضا: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءِأَمْنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾⁽³⁾ إِنَّ الْآيَتَيْنِ تشددان على ضرورة توظيف المفردة الملائمة في الخطاب، المفردة التي تضيف معنى جديدا ولا تعمل على انتقاصه، بل تتبّهان على دورها الخطير في تواصل طرفي الخطاب (المخاطب والمخاطب) ذهنيا ونفسيا.

وها هو سيد الخلق- محمد صلى الله عليه وسلم- ينبّهنا إلى مدى أهمية وضع المفردة في موضعها المناسب، ويرغبنا في طيب الأقوال، فقد ورد في صحيح البخاري في (كتاب الأدب) في باب (لا يقل خبث نفسي) أنّ الرسول - صلى الله عليه و سلم- قال: « لا يقل أحدكم خبث نفسي، ولكن ليقل: لقيت»⁽⁴⁾، لأنّ الخبث هو «خلاف الطيب»⁵. و"الخليل" يقول: «خبث: صار ذا خبث وشر. والخابث: الرديء. والخبيث: نعت كل شيء فاسد، خبيث الطعم وخبيث اللون. والخبثة: الرئبة من الفجور. وخبث الحديد وغيره: مما يُذاب بالنار، وهو ما يبقى من رداءته إذا أُخلص

(1) المرجع نفسه، ص 57.

(2) سورة التوبة، الآية 97. وللتوسع انظر المرجع نفسه، ص 57-58.

(3) سورة الحجرات، الآية 14.

(4) البخاري(أبو عبد الله محمد)، صحيح البخاري، الجامع الصحيح، دار ابن الجوزي، القاهرة- مصر 2011، ط1، مج3، ص146.

(5) ابن فارس(أبو الحسن أحمد)، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص238. (مادة خبث).

جيدَه»¹. لعلّ القارئ الكريم يلاحظ دلالة الخبث فهي الرداءة والفساد والشرّ، والمؤمن لا يكون كذلك في أيّ حالٍ من الأحوال، أمّا لِقِسْتِ نفسه ف« غنّثُ» من الغثيان² أي تكدّرت وتغيّرت، وقيل: نازعته إلى الشرّ. وقيل: بخلت وضاق³، وهي أقلّ دلالة من الخبث سوءً وشرًا. هذا تأكيدٌ على خطورة التلفظ بالكلمة والمفردة شرعا لآثار ذلك على النفس والغير، ونماذج ذلك كثيرة في القرآن والسنة.

إذا ما نخرج به من هذا الفصل هو أنّ القرآن يتعامل مع المفردة القرآنية تعاملًا صارمًا جدًّا، إذ ينتقيها من بين كثير من الوحدات التي تبدو مرادفةً لها، فتدلّ على مقصودها بدقّة، وتلتصق بسياقها فلا تبغي عنه بديلاً. ولا يقتصر ذلك على دلالتها اللغوية والمعجمية فقط بل يتعدّى ذلك إلى المفهوم العلمي الاصطلاحي، ممّا يحدث تعالقًا بين هذه المفردة وذلك المفهوم في علم من العلوم. والتعالق (Corrélation) نعني به الارتباط الوثيق الذي نجده بينهما، فكان امتداداً لدلالاتها وملحاً لانفتاحها باعتبارها مفتاحاً لنص كوني. هو تلازم وتماسك شديد بينهما حتى يستحيل أن تُستبدل المفردة بغيرها، ولا يمكن للمفهوم العلمي أو سياق الإشارة العلمية الذي وردت فيه المفردة أن يطلّب غيرها. ولأنّ الارتباط والتلازم من الطرفين؛ المفردة والمفهوم، كان بناء هذا المصطلح - أي التعالق - بالصيغة الصرفية (تفاعل) لأنها تدل على المشاركة.

يُسهم في إحداث هذه الظاهرة الدلالة المعجمية أولاً بما تحمله من معنى نووي ثم البنية الصرفية والصوتية والنحوية، تتضافر هذه الدلالات لتجسّد المفهوم العلمي بكل دقّة وشمولية، وبيان هذا وتفصيله سيّرد في الفصول الموالية.

(1) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج1، ص382-383. (مادة خبث).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص4060. (مادة لقس).

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

القسم التطبيقي

الفصل الثاني

التعالق في مفردات خلق

الإنسان

في طَور التكوين الجنيني

توطئة:

استندنا في دراسة هذه المدونة وتوزيعها على فصول هذا البحث إلى نظرية الحقول الدلالية¹، وهي من النظريات المهمة المختصة بدراسة المعنى. والحقل الدلالي (Champ lexical) باختصار وإيجاز هو « مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة»².

يشير " أولمان" (Ulmann) إلى التعريف السابق بعمق أكثر، وباصطلاحية أدق حين يجعله- أي الحقل الدلالي- « قطاعا متكاملًا من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة، وهذا يعني أنّ الحقل الدلالي يشمل قطاعا دلاليا مترابطا مكونًا من مفردات اللغة التي تعبر عن تصوّر أو رؤية أو موضوع أو فكرة معينة»³ إنّ فضل هذه النظرية يكمن في بناء شبكات دلالية ومفاهيمية عن طريق وحدات اللغة وكل شبكة تعين على فهم معنى أي كلمة تنضوي تحتها.

والتراث اللغوي العربي جسّد هذه النظرية في مؤلفات جليّة لا زالت تُعتمد إلى يومنا هذا في الدراسات اللغوية نحو (فقه اللغة وأسرار العربية) لـ " أبي منصور الثعالبي" الذي قسّمه إلى ثلاثين بابا وكلّ واحد من ذلك قسّمه إلى فصول بلغت ستمائة فصل موزعة على حقول دلالية كثيرة. وكذلك " المُخصّص" لـ " ابن سيده" وهو من معاجم الموضوعات التي تتجلى فيها نظرية الحقول الدلالية في أكمل صورها، وقد وزّع أبوابه على مواضيع متنوعة كالإنسان والطبيعة والحيوانات. ويذكر "ابن النديم" في (الفهرست) مؤلفات كثيرة تدلّ على أنّ العرب كان لهم شرف السبق

(1) كما يُطلق عليها أيضا المجالات الدلالية.

(2) حسام الدين (كريم)، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1985، ص294.

(3) نقلا عن: عمر (أحمد مختار)، علم الدلالة، عالم الكتب، 1992، (د.ط)، ص79.

في فهم نظرية الحقول الدلالية والتأليف فيها ككتاب (الإبل والشاة) و(المطر) و(المياه) و(الوحوش) لـ"أبي زيد الأنصاري" وكتاب (السلاح) و(النخلة) و(الخيول) و"الأصمعي" وكتاب(الطير) و(السيوف والرماح) "لأبي حاتم السجستاني"¹ وهكذا ارتضينا أن نقسّم الفصول التطبيقية لهذا البحث لنُجَلِّي القصد بظاهرة التعالق اللسانية في مجالات مفاهيمية ودلالية مختلفة؛ كخلق الإنسان وعلوم الأرض والفلك...نبدأها أولاً بخلق الإنسان وبالله التوفيق.

(1) انظر: ابن النديم (أبو الفرج محمد إسحاق بن أبي يعقوب)، كتاب الفهرست، قابله على أصوله وعلّق عليه وقدّم: أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن-بريطانيا، 2009، (د.ط.)، ج4، ص575-576-596.

التعالق في مفردات خلق الإنسان في طور التكوين الجنيني:

يشير الله - سبحانه وتعالى - إلى خلق الإنسان في مواضع كثيرة ومتفرقة في النص القرآني دعوة للإنسان إلى التأمل في خلقه وخلق الكون كله للاستدلال على القدرة الإلهية وحرصا على هداية الإنسان وسعادته.

والمتمعن في الخطاب القرآني في هذا الموضوع يجد هذا الأخير قد التفّ حوله وفصل مسيرة الإنسان منذ خلقه إلى ما بعد موته وبعثه، مناديا إلى فهم غاية وجوده في الأرض ورسالته الدنيوية ومصيره، مُسحّرا كلّ ما في السموات والأرض ليُعينه على ذلك. وقد تحدّث عن خلق الإنسان عبر ثلاثة محاور أو بالأحرى أطوار:

أما الأول: فيصف فيه أصل خلق الإنسان وطبيعة المادة التي أنشأ منها بدءاً من آدم - عليه السلام - يقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ ۖ

مِّن تُّرَابٍ ۖ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾¹ ، ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ۖ ثُمَّ

قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾² وأيضا: ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ

أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾³

أما الثاني: فيصف فيه خلق الإنسان وهو في بطن أمه بدايةً من تكوينه حتى قذفه خارج الرحم إلى هذا الوجود الواسع، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ

مِّن طِينٍ﴾⁴ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾⁵ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

(1) سورة آل عمران، الآية: 59.

(2) سورة الأنعام، الآية: 02.

(3) سورة الصافات، الآية: 11.

الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٤٤﴾¹ ، وكذلك: ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى
 ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يُمْنَىٰ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٦٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٦٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٧٠﴾﴾²

أما الثالث: فيذكر فيه أطوار حياة الإنسان ومراحلها من ولادته إلى طفولته ثم
 شيخوخته منتهيا بالموت، والآيات التي تعرض ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾³ وكذا قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ
 ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا^٤ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ
 وَلَتَبَلُّغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁴

ولأنّ النص القرآني يفرض على القارئ والمتلقي القراءة الواعية والفاعلة والمتجددة
 أيضا، سنعيد- في هذا الفصل- قراءة نماذج من المفردات الواردة في آيات الطور
 الثاني أي خلق الإنسان وهو في بطن أمه لأنّ الأبحاث العلمية كشفت عن كثير من
 الأسرار تستوجب إعادة القراءة وإعادة النظر في بعض ما ذهب إليه بعض المفسرين
 من جهة وتؤكد أنّ لهم فضل السبق في كثير من التفاسير والرؤى من جهة ثانية.
 وسنلتزم بالترتيب الألفبائي للمادة الإفرادية الواردة في هذا الحقل.

(1) سورة المؤمنون، الآية: 12-14.

(2) سورة القيامة، الآية: 36-40.

(3) سورة الروم، الآية: 54.

(4) سورة غافر، الآية: 67.

1- الأمشاج:

وردت هذه المفردة مرّة واحدة في النص القرآني وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾¹ ، وهي الآية الثانية من سورة الإنسان، ولأنّها الموضع الوحيد الذي وقعت فيه هذه المفردة، سُمّيت بالإضافة إلى أسماء أخرى بـ (سورة الأمشاج)². وهي سورة اختلف العلماء حول مدنيّتها ومكيّتها، وإنّ كان «معظم المفسّرين يزوّون مكيّتها. ولقد ذُكر في عدد من تراتيب النزول المرويّة أنها نزلت بعد سورة الرحمن، ولعلّ في ذلك قرينة على مكيّتها»³.

إنّ طابع السورة وأسلوبها جعل كثيرا من المفسّرين يميلون إلى مكيّتها، يقول "سيد قطب": «ومكيّتها ظاهرة جدا في موضوعها وفي سياقها وفي سماتها كلّها. لهذا رجحنا الروايات الأخرى القائلة بمكيّتها، بل نحن نلمح من سياقها أنها من بواكير ما نزل من القرآن المكي...تتشي بهذا صور النعيم الحسيّة المفصّلة الطويلة، وصور العذاب الغليظ، كما يشي به توجيه الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى الصبر لحكم ربه، وعدم إطاعة آثم منهم أو كفور، مما كان يتنزّل عند اشتداد الأذى على الدعوة وأصحابها في مكة، مع إهمال المشركين وتثبيت الرسول- صلى الله عليه وسلم- على الحق الذي نزل عليه، وعدم الميل إلى ما يدهنون به كما جاء في سورة القلم، وفي سورة المزمل، وفي سور المدثر ، مما هو قريب من التوجيه في هذه

(1) سورة الإنسان، الآية:02.

(2) أنظر: بن عاشور (الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج29، ص369.

(3) دروزة(محمد عزّة)، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2000، ط2، ج6، ص105. وقد ذهب إلى ذلك ابن عباس وابن أبي طلحة وقتادة ومقاتل.

السورة... واحتمال أنّ هذه السورة مدنية- في نظرنا- هو احتمال ضعيف جدا، يمكن عدم اعتباره»¹.

فهي إذاً تذكير للإنسان بأصل خلقه بعد عدم وجوده، وتبنيه له ليُحسن اختيار السبيل. إنّ مَنْ يطلّع على المفهوم العلمي لمفردة (الأمشاج) يدرك سرّ ورود هذه الكلمة في هذه السورة دون غيرها من السور، إنّّه من أبرز أوجه الإعجاز في خلق الإنسان، وآية من آيات الله وقدرته، وهو ما كشفه العلم الحديث وبالضبط علم الأجنّة، وتفصيل ما قلنا آت.

التحليل المعجمي لمفردة الأمشاج:

تتأسس القاعدة الدلالية لهذه المفردة على معنى الاختلاط، يقول "الفراهيدي" (ت/175هـ): « المَشْجُ: اختلاط حُمْرة ببياض، والمَشَج منه، وكلُّ لَوْنٍ من ذلك مَشَج، والجميع أمشاجٌ، ولا يُفْرَدُ، قال أبو ذؤيب:

كَأَنَّ النَّصْلَ وَالْفُوقِينَ مِنْهُ *** خَلَالَ الرِّيشِ سَيْطَ بِهِ مَشِجٌ

والمشيجُ: كل لونٍ مُسْتَنَكَّرٌ خَلطه غيره.»². و"ابن فارس" يرى أنّ هذه المادة اللغوية أصل واحد يدل على « الخَلْطِ. ونطفة أمشاج، وذلك اختلاط الماء والدم. ويُقال إنّ الواحد مَشْجٌ ومَشِجٌ ومَشِجٌ.»³

وينطلق "الأصفهاني" في تحديد معناها انطلاقاً من السياق والمفهوم القرآني، إذ يقول: « قال تعالى: ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان/02] أي: أخلاط من الدم،

(1) قطب(سيد)، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج6، ج29، ص3777.

(2) الفراهيدي (خليل بن أحمد)، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، مصدر سابق، ج4، ص142.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج5، ص226.

وذلك عبارة عما جعله الله تعالى بالنطفة من القوى المختلفة المشار إليها بقوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ سُلَالَةٍ﴾ إلى قوله ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون/12-14] «¹

أما " ابن منظور" فيشير إلى ما سبق بتفصيل أكبر، يقول: « المَشْجُ والمَشِجُ والمَشِجُ والمَشِجُ: كل لونين اختلطا، وقيل: هو ما اختلط من حُمْرَة وبياض، وقيل: هو كلَّ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِطَيْنِ، والجمع أمشاج مثل يتيم وأيتام، ومنه قولُ الهذلي: سيط به مشيح. ومشجتُ بينهما مشجا: خلطتُ؛ والشيء مشيح؛ ابن سيده: والمَشِجُ: ماء الرجل يختلط بماء المرأة. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾؛ قال الفراء: الأمشاج: هي الأخلاط: ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلة... وقال ابن السكيت: الأمشاج الأخلاط: يريد الأخلاط النطفة لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك يُولد الإنسان ذا طبائع مختلفة؛ وقال الشماخ²:

طوت أحشاء مُرْتَجَة لوقتٍ على مَشِجٍ سلالته مهين³

وقال أبو إسحاق: أمشاج أخلاط من مني ودم، ثم يُنقل من حال إلى حال. ويُقال: نطفة أمشاج لماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها. وفي الحديث في صفة المولود: ثم يكون مشيجا أربعين ليلة؛ المشيح: المختلط من كل شيء مخلوط. وفي حديث علي، رضي الله عنه: ومَحَطُّ الأمشاج من مسارب الأصلاب؛ يريد المنى الذي يتولد منه الجنين. والأمشاج: أخلاط الكيموسات الأربع، وهي: المرار الأحمر، والمرار

(1) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص 769.

(2) هو الشماخ بن ضرار الذبياني.

(3) انظر الذبياني (الشماخ)، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تح وشر: صلاح الدين الهادي، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، مصر، (دت)، (دط)، ص 328. والمعنى أن المرتجة أي الأتان أطبقت رحمها على النطفة إلى وقت الولادة.

الأسود والدم والمنّي؛ أراد بالمشج اختلاط الدم بالنطفة. وقال: ابن سيده: وأمشاجُ البدنِ طبائعه...وعليه أمشاجُ غُزُولٍ أي داخلة بعضها في بعضٍ؛ يعني البرودَ فيها ألوان الغُزُولِ...»¹. ويستدرك " الزبيدي" (ت/1205هـ) دلالة أخرى وفحواها أنّ الأمشاج « التي تجتمع في السُرّة»²

ويضيف (المعجم الوسيط) المفهوم الاصطلاحي ف« في علم الأحياء تُطلق الأمشاج على الخلايا الذكرية كالحَيوان المنوي والخلايا الأنثوية كالبيضة قبل أن تتدمجا لتكوين اللاقحة.»³ . وهو فهم خاطئ يكشفه ما يردُّ لاحقاً.

وكما ترى فأغلب اللغويين المذكورين يرون أنّ مفردة (مشج) جمعها (أمشاج) وإلى هذا ذهب "الفراء" (ت/207هـ)⁴ و"الأخفش الأوسط" (ت/221هـ)⁵ و"المبرد" (ت/286هـ) و" ابن السكيت" (ت/244هـ) و"الطبري" (ت/310هـ) ما عدا " الزمخشري" الذي يورد رأياً آخر وهو أنّ هذه الكلمة « كبرمة أعشار وبرد أكياش*، وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويُقال أيضاً نطفة مشج...ولا يصحّ أمشاج أن يكون تكسيراً له بل هما مثلان في الإفراد لوصف المفرد بهما»⁶ . لقد انطلق " الزمخشري" من القاعدة النحوية التي تنصّ على وجوب

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص4207.

(2) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج6، ص215.

(3) أنيس (إبراهيم) وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص870.

(*) بُرد أكياش بمعنى: أعيد غزله مرتين.

(4) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1983، ط3، ج3، ص214.

(5) الأخفش (سعيد بن مسعدة)، معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت-

لبنان، 1985، ط1، ج2، ص722.

(6) الزمخشري (أبو القاسم جار الله)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقرابيل في وجوه التأويل،

تح: خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2009، ط3، ص1163.

مطابقة الصفة للموصوف، وبما أنّ (نطفة) اسم موصوف وارد بصيغة الإفراد فإنّ صفته تكون مفردة. يعلّق " محمد الطاهر بن عاشور " (ت/1393هـ-1973م) على ذلك قائلاً: « والوجه ما ذهب إليه صاحب الكشّاف: أنّ (أمشاج) مفرد... وقال بعض الكاتبين: إنّ خالف كلام سيبويه. وأشار البيضاوي إلى ذلك، وأحسب أنّه لم ير كلام سيبويه صريحا في منع أن يكون (أمشاج) مفردا لأن أثبت الإفراد في كلمة أنعام والزمخشري معروف بشدّة متابعة سيبويه. فإذا كان (أمشاج) في هذه الآية مفردا كان على صورة الجمع كما في الكشاف. فوصفُ نطفة به غير محتاج إلى تأويل، وإذا كان جمعا كما جرى عليه كلام الفراء وابن السكّيت كان وصف النطفة به باعتبار ما تشتمل عليه النطفة من أجزاء مختلفة الخواص، (فلذلك يصير كل جزء من النطفة عضوا) فوصف النطفة بجمع الاسم للمبالغة، أي شديدة الاختلاط. وهذه الأمشاج منها ما هو أجزاء كيميائية نباتية أو ترابية ومنها ما هو عناصر قوى الحياة»¹ وفي الحقيقة هذا الذي نرتضيه، ف(أمشاج) دالة على الجمع باعتبار ما تحويه النطفة. وتعليه سيكون في التحليل الدلالي للمفهوم الاصطلاحي. والذي نميل إليه أنّ المفردة على وزن(أفعال)، الدال على جمع القلة الذي يُشتقّ من الثلاثي الذي على وزن(فعل) كجَدَثَ وأجَدَاثَ وجَمَلَ وأجَمال...وتأويل وصف المفرد (النطفة) بالجمع(أمشاج) هو المفهوم العلمي للنطفة في هذه المرحلة، إذ تتكوّن من ماء الرجل والمرأة وخواصهما وصفاتهما أي الجينات الوراثية، فلا مانع إذا من وصف النطفة بناء على مفهومها وخواصها وسترى تفصيل ذلك في التحليل العلمي لمفردة(أمشاج). واللطفية هنا هو الجمع بين جمع القلة ودلالة(النطفة) وهي الماء القليل لغة

(1) بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق ج29، ص374.

واصطلاحاً كما سترى في تفسير هذه المفردة، وبالتالي وُضِع جمع القلة في موضعه الأصلي ولدلالاته الحقيقية.

إذاً كما ترى البؤرة الدلالية أو إذا شئت الدلالة المركزية لمفردة (مشج) هي **الاختلاط** وهي الدلالة التي انبنت عليها الرؤى في التفاسير المختلفة. واللطفية الأولى هنا أنّ الأخلاط في المَشَج سائلة غير صلبة، أما الثانية فجاءت في (المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم) ففي الفصل المعجمي لـ(مش) ورد أنّ كل ما اجتمع فيه الميم والشين على التوالي دلّ على « النفاذ بانتشار من أثناء الشيء كما يتمثل في رشح الماء من جبل الرّكيّة أي حجرها الذي في قاعها، وكذلك امتشاش الودك من مسام مُشاش العظم في (مشش)...ومفارقة المكان بالمشي وانتشار النسل في(مشى)، وكخيوط أمشاج الغزول التي تمتدّ لتتداخل مع غيرها في (مشج)»¹. ومنه يتأسس المفهوم القرآني لمفردة (أمشاج) لكنّ الخلاف يبدو في نقطتين؛ الأولى هي كون مفردة (أمشاج) جمعاً أم مفرداً؟ والثانية في ماهية الأشياء المختلطة هل هي اختلاط ماء الرجل بماء المرأة أم اختلاط الماء بالدم أم أشياء أخرى؟

التحليل الدلالي لمفردة (الأمشاج) عند المفسرين:

انطلق جُلُّ المفسرين في تفسير هذه المفردة من الأرضية المعجمية لها فكل التفاسير انبنت على الاختلاط، وفي تفسير ذلك يذهب "الزمخشري" (ت/538هـ) إلى أنّ « مَشَجَه ومزجه بمعنى. والمعنى من نطفة قد امتزج فيها المآن. وعن ابن

(1) جبل (محمد حسن حسن)، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم مؤصّل ببيان العلاقات بين

ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مرجع سابق، ص2084.

مسعود: هي عروق النطفة. وعن قتادة: أمشاج ألوان وأطوار»¹. إذا لا خلاف في كون الأمشاج أخلاطا وهو عين ما رآه "الرازي" (ت/604هـ) في تفسير هذه الآية، لكنّ الخلاف - كما ذكرنا آنفا- في ماهية هذه الأخلاط، يقول: «واختلفوا في معنى كون النطفة مختلطة فالأكثر على أنه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة كقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) قال ابن عباس هو اختلاط ماء الرجل وهو أبيض غليظ وماء المرأة وهو أصفر رقيق فيختلطان ويُخلق الولد منهما، فما كان من عصبٍ وعظم وقوة فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة، قال مجاهد هي ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء، وقال عبد الله أمشاجها عروقها، وقال الحسن يعني من نطفة مُشجت بدم وهو دم الحيضة وذلك أنّ المرأة إذا تلقت ماء الرجل وحبلت أمسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم، وقال قتادة الأمشاج هو أنه يختلط الماء والدم أولا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة، وبالجملة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة إلى صفة ومن حال إلى حال. وقال قوم إنّ الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والتقدير من نطفة ذات أمشاج فحذف المضاف وتمّ الكلام، قال بعض العلماء الأولى أنّ المراد اختلاط نطفة الرجل والمرأة لأنّ الله تعالى وصّف النطفة بأنّها أمشاج، وهي إذا صارت علقة فلم يبق فيها وصف أنّها نطفة، ولكنّ الدليل لا يقدر في أنّ المراد كونها أمشاجا من الأرض والماء والهواء

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والحار»¹ . وكلّ هذه المعاني أشار إليها " القرطبي " (ت/671هـ) في (الجامع في أحكام القرآن)².

وكذلك " البقاعي " (ت/885هـ) الذي يرى أنّ أمشاج هي «أخلاق، جمع مشج ومشيج مثل خدن وخدين وأخدان، وخط وخليط وأخلاق، من مشجت الشيء إذا خلطته، لأنّه من مني الرجل ومني المرأة، وكلّ منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف في الرقة والثخن والقوام والخواص تجتمع مع الأخلاق وهي العناصر الأربعة»³.

التحليل العلمي لمفهوم (الأمشاج):

إنّ مفردة (أمشاج) وهي وصف - كما أسلفنا الذكر - لمفردة (النطفة) تحيلنا إلى أولى المراحل المهمّة في تطوّر هذه الأخيرة مشكّلة بدء خلق الإنسان بعد مرحلة الماء الدافق والسّلالة. يحدث ذلك في الأسبوع الأول من الإخصاب أي التقاء الحويّن بالبويضة في قناة فالوب، وهذا بفضل (الأكروزوم) الذي يشكّل طبقة على رأس الحويّن المنوي والذي يحتوي على إنزيمات منها (الهيالورونيداس) و(البروتوليتيك). وبما أنّ البويضة مُحاطة بنسيج داعم يعمل إنزيم (الهيالورونيداس)

(1) الرازي (محمد فخر الدين)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1981، ط1، ج30، ص236-237.

(2) أنظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج21، ص446-448.

(3) البقاعي (برهان الدين)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، 1971، ط1، ج21، ص125.

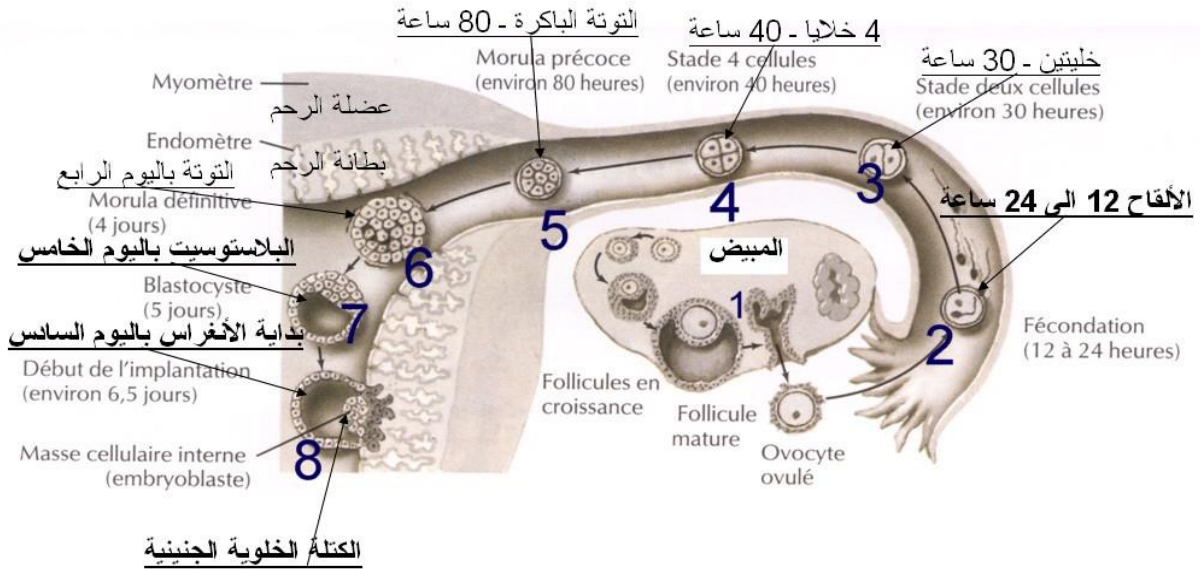
على تفكيك بنيته لتجاوزه ودخول البويضة بينما يقوم إنزيم (البروتوليتيك) بهضم البروتينات الموجودة في النسيج المحيط بالبويضة.¹

يصف " هارون يحي " هذه المرحلة بقوله: « عندما يصل الحوين إلى الطبقة الخارجية للبويضة يرتبط الغشاء الخارجي لرأس الحوين ببروتين خاص يعرفه، ومع بدء هذا الارتباط يبدأ غشاء الغلاف الحافظ (الأكروزوم) بالذوبان وفي الوقت نفسه يبدأ غشاء البويضة بإفراز مادة اسمها (نرتيزيلين) لجذب الحوينات إليها وهذه المادة تزيد من قابلية حركة الحوينات لتأمين تفاعلها مع غشاء البويضة كما تزيد من تأثير الأكروزوم الموجود في رأس الحوين... ثم يقوم الحوين بعد ملامسته للبويضة بإفراز مادة اسمها (مضاد الفرتيزيلين) وهدفها تحييد مادة (الفرتيزيلين) وإزالة أثرها، وبهذا يُوقَف أول حوين يصل إلى البويضة وصول الحوينات الأخرى إليها، وبعد ثانيتين من دخوله يقوم الغشاء بتجديد نفسه... وبعد ثلاثين دقيقة يتحد الحوين والبويضة تماما وفي نهاية هذه الفعاليات يقوم الحوين بنقل المعلومات الجينية التي يحملها إلى البويضة»² . وللإشارة، يحمل الحوين معه ثلاثة وعشرين (23) حاملا وراثيا (كروموسوما)، وتحمل البويضة مثلها، ومن هنا يبدأ خلق الإنسان وبداية تمايز صفاته وجنسه. ويتمام هذه الخطوة تبدأ النطفة بالانقسام إلى خلايا أصغر، فخلال ثلاثين ساعة تنقسم إلى (قسمتين جرثومتين) (Blastomère) ثم إلى أربع خلال ثمانية وأربعين ساعة، ثم ثمانية خلال ستّ وخمسين ساعة. وفي اليوم الرابع تصبح

(1) انظر: Gernigon(Thérèse), **Embryologie generale humaine**, office des publications universitaires, Ben-Aknoun-Alger, 2012, (ED:9), p86-87.

(2) يحي (هارون)، **معجزة خلق الإنسان**، تر: أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، (د.ط)، ص 68.

«كتلة كروية من الخلايا تُعرف بالتوتية (Morula) وفي اليوم الخامس من الإخصاب تُسمى النطفة (كيس الجرثومة) (Blastocyste)».¹



(الشكل 1: يمثل الأسبوع الأول من الإخصاب والنطفة الأمشاج)².

إذا ما نلاحظه أنّ توظيف (أمشاج) (Zygote) في بدء خلق الإنسان يُطلق على النطفة ابتداءً من اليوم الأول للإخصاب إلى اليوم السادس، فـ«بالتلقيح بين الحوين المنوي والببيضة يكون الجنين في شكل نطفة مكوّنة من أخلاط ماء الرجل والمرأة وما فيهما من أخلاط وراثية، فأطلق القرآن عليها (نطفة أمشاج)»³، يعرفها " النذير

(1) Gernigon, **Embryologie générale humaine**, op.cit, p93

(2) المصدر: جونسون (مارشال)، وآخران، **وصف التخلق البشري**، مرجع سابق، ص 26.

(3) المرجع نفسه، ص 26 . تُعرّف أيضا بـ: « after the sperm enters the oocyte, the head of »

the sperm separates from the tail and enlarges to become the male pronucleus. Fertilization is complete when the male and female pronuclei unite and the maternal and paternal chromosomes intermingle metaphase of the first mitotic division of the zygote». Keith L.Moor, T.V.N.Persaud, Mark G.Torchia. **The Developing Human**

Clinically Oriented Emryology. Im: Saunders.2011.9th edttion. P37.

بقاق" بقوله: « فالنطفة الأمشاج إذاً هي نتيجة تلقيح الحُوين المنوي للبيضة وبعد انصهار النواتين تبدأ عملية الانقسام فتحقق معنى الاضطراب والتحرك أو الارتجاف في الخلية الواحدة»¹ . فلماذا أمشاج إذا؟

أولاً: للدلالة على اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

ثانياً: لاتحاد الحُوين المنوي بالبويضة.

ثالثاً: لاختلاط الحوامل الوراثية للأب مع الحوامل الوراثية للأم، وعددها الإجمالي أربعة وستون حاملاً في اليوم السادس.

رابعاً: لانقسام النطفة إلى خلايا متعدّدة والتي يكون عددها اثنان ثم أربعة ثم ثمانية وهكذا حتى تصبح في اليوم السادس (التوتة Morulla) ومع كلّ هذه الانقسامات تحافظ النطفة على وحدتها وشكلها الخارجي ولهذا ترد بصيغة الإفراد. يقول " عبد المجيد الزنداني": « فكلمة (أمشاج) من الناحية العلمية دقيقة تماماً وهي صفة جمع تصف كلمة نطفة المفردة، التي هي عبارة عن كائن واحد يتكوّن من أخلاط متعدّدة تحمل صفات الأسلاف والأحفاد لكلّ جنين... وبالرغم من انقسام النطفة في الداخل إلى خلايا فإن طبيعتها ومظهرها لا يتغيّران عن النطفة لأنّها تملك غشاءً سميكا يحفظها ويحفظ مظهر النطفة فيها»²

ويقول " السيد الجميلي": « وتتكوّن الخلية الحيّة من سيتوبلازم ونواة ثم جدار خلوي يحدّد حدود الخلية ويحيط بها، ويوجد بها أيضا الصبغيات أو الكروموسومات

(1) بقاق(النذير)، إختر جنس مولودك من النطفة، دار الروائع للطباعة والنشر، سطيف- الجزائر، 2013، (دط)، ص93.

(2) جونسون وآخران، وصف التخلق البشري مرحلة النطفة، مرجع سابق ص19-20.

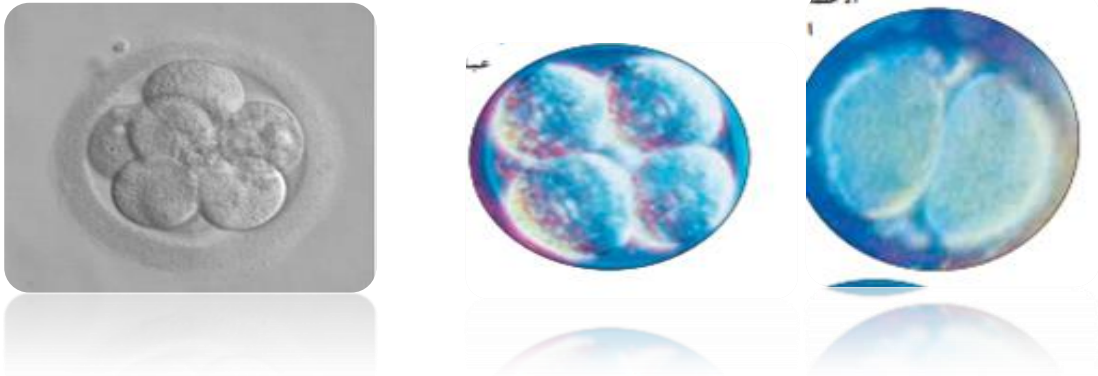
التي تحمل المادة الوراثية على أجسام دقيقة أو جسيمات تُعرف بالجينات وهي تتحكّم في صفات الكائن الحي المختلفة وتقوم بنقلها من الأب للإبن ومن جيل إلى جيل»¹

إدًا الذي حقّق التعالق بين هذه المفردة والمفهوم العلمي الاصطلاحي الذي وصل إليه العلماء أمران:

الأول: هو دلالتها المعجمية وهي دلالة الاختلاط.

والثاني: هو صيغتها الصرفية وهي صيغة الجمع.

فإن مَضِيَّتَ إلى تركيب (نطفة أمشاج) تجده «وصفا معبرًا عن الشكل (قطرة) وعن التركيب المفرد، فهي (نطفة)، وعن الأخلاط المجتمعة في النطفة (أمشاج)»²



*انقسام النطفة الأمشاج إلى خليتين *انقسام النطفة الأمشاج إلى أربع خلايا *انقسام النطفة الأمشاج إلى ست خلايا

الشكل 2: النطفة الأمشاج³

(1) الجميلي (السيد)، الإعجاز الطبي في القرآن، دار الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، (د.ط)، ص 44.

(2) جونسون وآخران، وصف التخلق البشري، مرجع سابق، ص 26.

(3) المصدر: يحي (هارون)، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص 82.

2- الحرت:

التحليل المعجمي لمفردة الحرت:

وردت هذه المفردة في أحد عشر موضعاً* بنسبة أربع عشرة مرّة بصيغ مختلفة؛ (الحَرْتُ، حَرْتُ، حَرْتُمْ، حرثه)، وفي كلّ مواضعها القرآنية، كانت دلالتها العامة تتراوح بين الجمع والاكْتساب، وهو واحد الأصلين للجذر اللغوي (حرت) فمنه «حرت الزرع. والمرأة حَرْتُ الزوج؛ وهذا تشبيهه، وذلك أنّها مزردعٌ ولده، وفي هذا يقول عز وجل: ﴿سَأَوْكُمْ حَرْتُ لَكُمْ فَاتُوا حَرْتَكُمْ أَنِّي شِعْمٌ^ط وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ^ج وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ^ث وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ^١﴾^١، وفي القول المشهور ((أحرتُ لَدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً))، وبدلالة الجمع والكسب سُمِّي الرجل حارثاً. وفي الأحرثة: مجاري الأوتار في الأفواق؛ لأنها تجمعها^٢ وبين دلالة الأصل الثاني وهو «أن يُهزل الشيء»، فحرت ناقته: هزلها؛ وأحرتها أيضاً. ومن ذلك قول الأنصار لما قال لهم معاوية: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا: أحرتها يوماً بدر^٣ وتَشَقُّقُ الدلالة الأولى فَتَنْبَجِسُ منها «دلالة الزرع وقْدْفُك الحَبِّ في الأرض»^٤، ويُدعى المحروث «حَرْتًا، ويحرت لعياله ويحترت، أي: يكتسب»^٥، ومنه العمل

(*) تتوزع هذه المواضع على إحدى عشرة آية، وهي: سورة البقرة/71-205-223. وآل عمران/14-117.

والأنعام/136-138. والأنبياء/78. والشورى/20. والواقعة/63. والقلم/22.

(1) سورة البقرة، الآية:223.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص49. (بتصرف يسير).

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ج1، ص300.

(5) الطناحي (محمود محمد)، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة معجم لغوي ثقافي، المكتبة المكية، مكة

المكرمة، 2008، ط1، ص320.

والكسبُ لِنَيْلِ «ثواب الآخرة والدنيا»¹ وفي التنزيل العزيز ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ^ط وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾² أي «كسبها»³ على سبيل التمثيل لأنه تشبيه «للاقبال على
كسب ما يُعده الكاسب نفعا له يرجو منه فائدة وافرة بإقبال الفلاح على شق الأرض
وزرعها ليحصل له سنابل كثيرة وثمار من شجر الحرث، ومنه قول امرئ القيس:

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومَنْ يحترث حرثي وحرثك يَهْزِلُ⁴»⁵

وبضيف "الزبيدي" عن "أبي عمرو": «الحرث: الجمع بين أربع نسوة، والحرث:
النكاح بالمبالغة، [وهو أيضا] المحجة المكدودة بالحوافر لكثرة السير عليها، والحرث
والحراثة: العمل في الأرض: العمل في: زراعا كان أو غرسا، وبه فسّر الزجاج قوله
تعالى: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا﴾... ومن المجاز: الحرث (تحريك النار)
وإشعالها بالمحراث، ومن المجاز: الحرث (التفتيش)... وفي كلام بعض الأئمة:
الحرث: تفتيش الكتاب وتدبره. والحرث (التفقه)، يُقال: حرث، إذا تفقه، ويُقال: أُحْرُثَ
القرآن، أي ادرسه، وهو مجاز، وحرثت القرآن، إذا أطلت دراسته وتدبره، وفي حديث

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) سورة الشورى، الآية 20.

(3) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج5، ص 215.

(4) أختلف في نسبة هذا البيت، فالأصمعي وابن قتيبة وأبو حنيفة الدينوري نسبوها لتأبط شرا، وقال الزوزني أن
الرواية نسبوها إلى تأبط شرا، والبغدادي نفى أن تكون من شعر امرئ القيس، والبيت مثبت في ديوان امرئ القيس،
انظر: ديوان امرئ القيس، ضب وتص: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2004،
ط5، ص118.

(5) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج25، ص74.

عبد الله ((احرثوا هذا القرآن)): أي فتشوه وثوروه... والحرث اسم (الفرصة) بالضم تكون في طرف القوس يقع فيها الوتر وهي الحرثة بالضم أيضا، والجمع حرث... ومحراث النار: مسحاتها التي تُحرّك بها النار¹ وقياسا على محراث النار « المحراث والمحراث هو آلة الحرث² لآته يحرك الأرض ويقلبها ويهيئها للزرع. لعلك ترى أنّ الدلالة المعجمية لهذه المفردة هي « شقّ السطح الملتئم وإثارته بإخراج بعض ما استوى به ظاهره كُتلا³، فالأرض يُشقّ سطحها وتُقلب بقصد إخراج خيراتها، والقرآن تفتّشه وتتدبره تُخرج لآئه ونفائس مضامينه. وحرثُ النار تقليبُ سطحها لتشعلها وتزيد حرارتها. وحرث المرأة زرع الولد فيها. وكلها أوجه للكسب.

عكس (الزرع) هذه المفردة التي لم ترد في القرآن إلا في سياق الحديث عن النبات والمزروعات وذلك في اثني عشر موضعا* وبنسبة أربعة عشر مرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَحَرْتُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ حَنِ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمَا فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٤﴾ وَزُرُوعٍ وَخَلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ ﴿٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦﴾. تُرى لماذا اختيار مفردة (الحرث) دون غيرها في هذا موضع خلق الإنسان؟ وهل حققت التعاقب مع المفهوم الاصطلاحي العلمي؟ وما العامل الذي حقق ذلك؟

(1) المصدر نفسه، ج 5، ص 214-218.

(2) أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 164.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص 404.

(*) وهي (الأنعام/141)، (يوسف/47)، (الرعد/04)، (إبراهيم/37)، (النحل/11)، (الكهف/32) (الشعراء/148)، (السجدة/27)، (الزمر/21)، (الدخان/26)، (الفتح/29)، (الواقعة/64)

(4) سورة الواقعة، الآية 63-65.

(5) سورة الشعراء، الآية: 148.

(6) سورة الدخان، الآية: 26.

التحليل الدلالي لمفردة (الحرث) عند المفسرين:

ينطلق المفسرون في تفسيرهم لهذه المفردة من دلالة **الزرع**، و« ذلك على سبيل التشبيه، فبالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان كما أن بالأرض زرع ما به بقاء أشخاصهم»¹ ومن التشبيه ينقلها « أبو عبيدة إلى الكناية، قال: والقول عندي فيه أن معنى حرث لكم: فيهنّ تحرثون الولد واللدة»².

ومن هذا المنطلق فسّر "الطبري" (ت/310هـ) هذه الآية والمفردة، إذ يقول: «نساؤكم مُزْدِعُ أولادكم... وإِنَّمَا عني بـ((الحرث)) المزدرع، و((الحرث)) هو الزرع، ولكنهنّ لما كنّ من أسباب الحرث، جُعِلنَّ ((حرثًا))، إذ كان مفهوما معنى الكلام»³، وإلى كون المعنى في هذه الآية مجازا ذهب "الزمخشري" فقد «شُبِّهنَّ [أي النساء] بالمحارث تشبيها لما يُلقى في أرحامهنّ من النطف التي منها النسل بالبذور، وقوله ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِعْمٌ﴾ تمثيل أي: فأتوهنّ كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها»⁴، وهذا عين ما رآه "الرازي" وعلّل قوله ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ بدل (نساؤكم ذوات حرث لكم) بأن « يُسمى موضع الشيء باسم الشيء على سبيل المبالغة كقوله: فإنما هي إقبالي وإدبار، ويُقال: هذا أمر الله أي مأموره، وهذا شهوة فلان أي مُشتهاه»⁵

(1) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص226.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج2، ص820.

(3) الطبري (محمد بن جرير)، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1994، ط1، ج2، ص05.

(4) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص130.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج6، ص75-76.

وينفي "الألوسي" كون الحرث زرعاً، إذ يقول: «والْحَرْثُ إِلقاءُ البذرِ في الأرضِ وهو غيرُ الزرعِ لأنَّه إنباتُه، يرشدك إلى ذلك قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَحَرْتُونَ﴾¹ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ حَسْبُ الزَّارِعُونَ﴾¹

ولم يبتعد المفسرون المحدثون عن هذه الدلالات والمقاصد فـ" سيد قطب" يلتفت إلى أن هذه الآية تُصوِّر جانباً من عدّة جوانبٍ لعلاقة الرجل بالمرأة، وهي مكتملة لآيات أخرى كقوله عزّ وجلّ: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾² وقوله أيضاً ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾³ وهي إشارة إلى التكامل النفسي والوجداني بين الزوجين، بينما تفيد آية الحرث إلى جانب ذلك «الإخصاب والتوالد والنماء»⁴

وفي إشارة "بن عاشور" دقّة وإيجاز، إذ جعل الحرث «شَقُّها [أي الأرض] بألّة تشقّ التراب ليُزرع في شقوقه زريعة أو تُغرس أشجار»⁵ ، وقد سبق وأن أشار إليها " الزبيدي"، إذا الحرثُ شقٌّ لأجل الزرع أو الغرس، وهذه التفاتة ذكيّة ومهمّة، لأنّها تُفرّق بين الوحدات المعجمية الثلاث؛ الحرث والغرس والزرع. ثمّ يقول: « والحرث في هذه الآية مرادٌ به المحروث بقريظة كونه مفعولاً لفعل ﴿فَاتُوا حَرْتَكُمْ﴾ وليس المراد به المصدر لأنّ المقام ينبو عنه، وتشبيهه النساء بالحرث تشبيه لطيف، كما

(1) الألوسي(محمود)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: إدارة الطباعة المنيرية، دار

إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د.ت)، ط2، ج2، ص124.

(2) سورة البقرة، الآية 187.

(3) سورة الروم، الآية: 21.

(4) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج1، ج2، ص242.

(5) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج2، ص371.

شُبِّهَ النسل بالزراع في قول أبي طالب في خطبته خديجة للنبي (ص): ((الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل))¹

إذاً لعلَّ القارئ الكريم يلاحظ أنَّ المفسرين نظروا إلى الحرث من الزاوية المجازية تشبيهاً للإخصاب بحرث الأرض. تُرى كيف نُظر إلى توظيف هذه المفردة من الزاوية العلمية؟

التحليل العلمي لمفهوم (الحرث):

إنَّ الحركية سِمة للنطفة قبل استقرارها في الرحم سواء أكانت نطفة الرجل أم المرأة، وبمجرد إخصابها وتحولها إلى نطفة أمشاج تُكْمَل سيرها إلى الرحم، وبحلول اليوم الرابع يشبهها علماء الأجنة بثمرّة التوت ويسمونها (Morulla) أو (Blastula)، وبحلول اليوم السادس « تنغرس في بطانة الرحم بما يشبه انغراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض... وبهذا الانغراس يبدأ طور الحرث [وهو آخر مرحلة في طور النطفة] ويكون عمر النطفة حينئذ ستة أيام»² (لاحظ الشكل 1 ص 104 من هذا البحث)

يصف "هارون يحي" هذه المرحلة وهذا السلوك بقوله: « يتقدّم [ويقصد الجنين] نحو الرحم ويفتّش هناك عن موضع تكثر فيه الأوعية الدموية ويلتصق به. وعلى مثال البذور المنثورة في التربة والتي تنمو من جانب فوق سطح الأرض وتمدّ جذورها من جانب آخر إلى أعماق التربة، ويستمرّ في النمو وفي نفس الوقت فإنّه ينغرز

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) مارشال وآخرون، وصف التخلق البشري، مرجع سابق، ص 22.

أكثر فأكثر في أعماق النسيج الذي يوفر له الغذاء، حيث يجد أوعية دموية جديدة تمده بغذاء جديد»¹

وجدير بالذكر أنّ علماء الأجنة يوظفون للتعبير عن مفهوم الحرث مصطلح (الانغراس L'implantation) و(التعشيش Nidation)² في هذه المرحلة. والمصطلح الأول أقرب دلاليا إلى مفهوم الحرث.

في هذه المرحلة إذاً تصبح النطفة كرة جرثومية أو خلوية وتتقسم إلى طبقتين: خارجية وداخلية، أما الأولى فتقوم «بإفراز إنزيم يُدعى (هياالورونيداس) ومن مزايا هذا الإنزيم أنّه يستطيع تفتيت الطبقة الحامضية (المتألّفة من حامض الهياالورونيك) الموجودة في جدار الرحم، كما يساعد هذا الإنزيم خلايا الجنين على اختراق غشاء الرحم والدخول إليه. وبفضل ذلك تستطيع بعض خلايا الجنين التهام خلايا الرحم والتوغّل فيه، فينغرز الجنين في جدار الرحم بشكل قوي ومتين»³ (انظر الشكل الموالي)

(1) يحي، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص 89.

(2) انظر: Gernigon, Embryologie Générale Humaine, p106-107. توظّف المصطلحين

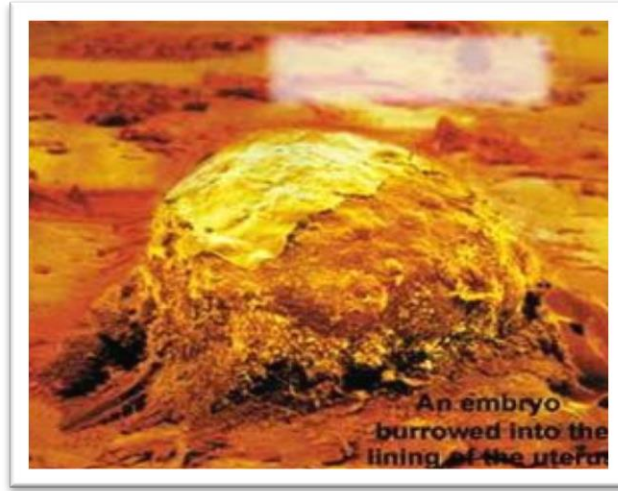
معاً، إذ نقول: La Nidation c'est l'implantation de l'embryon à l'interieur de

l'endomètre utérin prepare par les secretion oestro-progestatives du corps jaune.

وانظر أيضاً: Keith.Moore and others .The Developing Human Clinically Oriented

Embryology.51 ويقول: Implantation of blastocysts usually occurs in the uterine endometrium in the superior part of the body of the Uterus...begins at the end of the first week and is completed by the end of the second week.

(3) يحي، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص 90-91.



(الشكل 3: يمثل انغراس النطفة في جدار الرحم "مرحلة الحرث")¹

إنَّ اختراق غشاء الرحم والتهام خلاياه وَمِنْ ثَمَّ التَّوَعَّل فِيهِ هي عملية الحرث التي تشبه شقَّ سطح الأرض، لأنَّ الإنزيم بتفتيته الطبقة الحامضية (المتألّفة من حامض الهيالورونيك) الموجودة في جدار الرحم، يساعد خلايا الجنين على اختراق غشاء الرحم والدخول إليه، ألا ترى التشابه بين الأمرين؛ الأول يخترق غشاء الرحم لتخترقه النطفة، والثاني يشقّ الأرض ليلقي فيها البذور، ولهذا نرى أنّ (الحرث) أدقّ من (الانغراس) لأنّ هذا الأخير من (غرس) الذي يعني « أثبت الشجر في الأرض... والغريسة: النخلة أول ما تنبت² » و « والفسيلة ساعة توضع في الأرض حتى تعلق³ »، والدليل قول الرسول (ص): «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة،

(1) المرجع نفسه، ص 90.

(2) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج 16، ص 302. (بتصرف يسير جدا)

(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج 5، ص 429.

فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرَسها، فليغرَسها»¹ وهو جذر لغوي لم يرد في القرآن كله. ولأنَّ الحرث شقٌّ ورميُّ بذرٍ بينما الغرس هو تثبيت فسيلة أو شجرة، اختار الخطاب القرآني الحرث. أُرأيت كيف تخدم الدلالة المعجمية ظاهرة التعالق بين المفردة القرآنية والمفهوم العلمي الذي توصل إليه العلماء في هذا الموضوع.

3- دافق:

وردت هذه الكلمة في موضع واحد فقط في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾² من سورة الطارق المكيّة التي يُخاطب فيها الله عزَّ وجلَّ المشركين والكفار الذين كذَّبوا بالبعث والحساب مُقسِّمًا بأنَّه قادر على الإتيان بهم، لأنَّه هو من بدأ الخلق والحياة وهو القادر على بعثهم وحسابهم، لذلك أشار إلى أصل خَلَق الإنسان، وإلى عظمة شأن القرآن، وتأكيد نصرته للرسول عليه الصلاة والسلام وتثبيته لدعائم الإسلام.

وقبل ولوج تفسيرها أردنا أن نشير إلى لطيفة نَحَسَبها مهمة، فالمتأمل لسورة الطارق بدءًا من عتبتها- أي العنوان- يجدها ترسم مشهدا كونيا مليئا بالحركة، فالطَّرْقُ³ ضربٌ بقوةٍ وعنف، والنَّقْبُ دال على الحركة والخروج واختراق الأشياء وكذا الرجوع (نزول الغيث ومعاودته لذلك)، والصدع والدَّفَق، ألا ترى أنَّ كل هذه الأشياء تدلّ على حركة؟ هذه الأجواء الحركية التي عكستها حتى أصوات

(1) الحديث مروى عن أبي وليد عن حماد بن سلمة عن هشام بن زيد ابن أنس بن مالك عن أنس بن مالك.

انظر: البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل)، الأدب المفرد، تخ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، 1989، ط3، ص168 (حديث رقم 479).

(2) سورة الطارق، الآية: 06.

(3) انطلقنا من دلالة الكلمة على الطرق والضرب كما فسرها العلماء المعاصرون وليس من دلالة الطروق أي النزول ليلا.

الفواصل في هذه السورة التي كانت كلها جهريّة، وأكثرها وروداً (القاف) ثم (الراء والدادل) هي أصوات جهريّة شديدة فيها قفلة، في هذه الأجواء إذا وُظفت مفردة (دافق) فماذا تعني؟ وما الذي تكتنزه من دلالات؟ وكيف جسدت ظاهرة التعالق. ولماذا تُستبدل في موضعين آخرين ألا وهما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُؤْلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾¹ وكذا ﴿أَلَمْ خَلَقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾² بمفردة (المهين)، وما دلالة ذلك؟

التحليل المعجمي لمفردة (دافق):

ورد في (معجم العين) للخليل: «دَفَقَ الماءُ دَفْوَاً ودَفَّقُ النطفةُ واندفق الكوزُ، إذا انصبَّ بمرّة... وجاء القومُ دُفْقَةً، أي بدفعة واحدة، قيل:

نزل الفأرُ ببיתי **** رُفْقَةً من بعد رُفْقَهُ

خَلْفًا بعد قِطارٍ **** نزلوا بالدار دُفْقَهُ

وناقة دُفاقٌ: اندفعت في سيرها مُسرعة، ويُقال: ناقة دُفقاء، وجملٌ أدْفَقٌ ودُفاقٌ، وهو شدة بينونة المرفق عن الجنبين، قيل:

بِعَنْتْرِيسَ ترى في وَرْدِها رَفْقًا **** وفي المرافق من حَيْزومِها دَفْقًا

...واندفق الدمع، قال سُلَيْمان:

(1) سورة السجدة، الآية: 08.

(2) سورة المرسلات، الآية: 20.

صَبَا فُوَادَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَّ بِهِ **** حَتَّى تَرْتَرِقَ مَاءُ الْعَيْنِ فَاذْدُقْهَا¹»²

والمعاني نفسها أشار إليها "ابن فارس" في معجمه (المقاييس) محدداً أصلاً واحداً لهذه البنية اللغوية ذات القياس المطرد، ودلالاتها «دَفَعُ الشَّيْءُ قُدُماً. من ذلك: دَفَقَ المَاءُ»³، ويضيف: «سِيلٌ دُفَاقٌ: يَمَلَأُ الوَادِي. ودَفَقَ اللهُ رُوحَهُ، إِذَا دُعِيَ عَلَيْهِ بِالمَوْتِ»⁴. وتقول العرب أيضاً: «الدُّفَاقُ: المَطَرُ الوَاسِعُ الكَثِيرُ. وَفَمَّ أَدْفَقُ إِذَا انصَبَّتْ أَسْنَانُهُ إِلَى قُدَّامٍ...ويقال: هَلَالٌ أَدْفَقُ إِذَا رَأَيْتَهُ مَرْقُونًا أَعْقَفَ وَلَا تَرَاهُ مُسْتَلْقِيًا قَدْ ارْتَفَعَ طَرْفَاهُ»⁵

إِذَا تَلْتَفَّ دَلَالَاتُ هَذِهِ المَفْرَدَةِ حَوْلَ الانصِبَابِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَبِسرعة، أَوْ «انْدَفَاعِ المَحْتَوَى مِنْ جَوْفٍ إِلَى خَارِجِهِ بِقُوَّةٍ»⁶.

أما مهين فمن المادة المعجمية (مهن) و«هي أصل صحيح يدل على احتقار وحقارة في الشيء. منه قولهم مهين، أي حقير»⁷ و«والمهين من الرجال الضعيف»⁸

(1) وردت الأبيات في المعاجم دون نسبة.

(2) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج2، ص36. (بتصرف يسير)

(3) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ص286.

(4) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج2، ص1397. وانظر أيضاً: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص883.

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص664.

(7) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج5، ص283. (مادة: مهن).

(8) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص4290. (مادة: مهن)

التحليل الدلالي لمفردة (دافق) عند المفسرين:

أجمع العلماء على أنّ (دافق) وصف للماء وهو مني الرجل، وعُني به الانصباب، يقول " الزمخشري": « والدَّفَق صَبٌّ فيه دَفْعٌ»¹ ، واتفقوا أنّ اسم الفاعل في هذا الموضوع لا يدلّ على أصل معناه، لكنهم انقسموا فئتين؛ فئة ترى أنّ هذا الاسم المشتق هو بمعنى المفعول، فهو إذاً ماء مدفوق، كما رأى "الطبري"² و"القرطبي"³ و"الشوكاني"⁴ و"الثعلبي" (ت/427هـ)⁵ استناداً إلى رأي "الفراء"، إذ يقول: «أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب: هذا سرّ كاتم، وهمّ ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية»⁶ ، مشيراً إلى أنّ اختيار بنية اسم الفاعل كان لمراعاة الفواصل، يقول: « وأعان على ذلك أنّها توافق رؤوس الآيات التي هنّ معهن»⁷

وأما الفئة الثانية فتنسب الفاعل إلى المصدر، يذهب إلى ذلك كثيرون، منهم "الزجاج" في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) الذي يقول فيه: «المعنى من ماء ذي اندفاق»⁸ وقد نسب ذلك إلى "الخليل" (ت/170هـ) و"سيبويه" (ت/180هـ). وكذا "الزمخشري" الذي

(1) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص1194.(2) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج7، ص500.(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج22، ص206.(4) الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ص1608.(5) الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد)، الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، تح: سيد

كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2004، ط1، ج6، ص430.

(6) الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، ج3، ص255.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(8) الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب،

بيروت- لبنان، 1988، ط1، ج5، ص311.

احتمل أن يكون نسبة إلى مصدره أو نسبة إلى صاحبه على سبيل المجاز، فالمعنى عنده « النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللاين والتامر، أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه»¹. وكثير من المفسرين ذهبوا إلى تفسيره بالإسناد المجازي، ك"البقاعي" الذي يفسر ذلك بقوله: « هو لقوة دفع الطبيعة له كأنه يدفق بنفسه، فهو إسناد مجازي، والدفق لصاحبه»² ونظر بعضهم إلى أنه « استعارة مكنية وتخيلية، كما ذهب إليه السكاكي»³. بينما يميل " بن عاشور" إلى أن اسم الفاعل وُظف بمعناه الأصلي، ف «الأحسن أن يكون اسم فاعل ويكون دفق مطاوع دفته كما جعل العجاج جَبَر بمعنى أنجبر في قوله: قد جبر الدينَ الإلهُ فجبر* . وأنه سماعي...ومعنى (دافق) خارج بقوة وسرعة والأشهر أنه يُقال على نطفة الرجل»⁴

إذاً أكثر العلماء يرون أن الدفق بمعنى الانصباب بقوة وسرعة، واختلفوا حول دلالة اسم الفاعل بين المفعولية والنسب إلى المصدر والمجاز اللغوي، إلا أن التحليل العلمي لمفهوم الدفق - برأينا - سيرجّح كفة على أخرى. فما الذي جاء به العلم في هذه النقطة؟ نتعرف على ذلك بعد أن نُطلع القارئ الكريم على ما ذهب إليه العلماء المفسرون في تفسير (مهين).

(1) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص1194.

(2) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج21، ص376-377.

(3) الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج30، ص97.

(*) الشاعر هو: عبد الله بن رؤبة الملقّب ب"العجاج". والبيت هو:

قد جبر الدينَ الإلهُ ***** وعورَ الرحمنُ من ولّى العورُ

انظر: ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تح: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة الدكتور

مروان عطية، دمشق - سوريا، 1971، (د.ط)، ج1، ص2.

(4) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30، ص262.

لقد أجمع هؤلاء على أنّ الماء الذي خُلِقَ منه الإنسان هو ماء « ضعيف»¹ أو كما فسّره " البقاعي " بكونه ماءً « حقيرا وضعيفا وقليلًا مُرَاقًا مبذولا»². مع أنّنا لا نوافق "البقاعي" وغيره من المفسّرين الذين وصفوا هذا الماء بالحقارة والقذارة³ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد كرّم الإنسان وفضّله على مخلوقاته الأخرى، وصرّح بذلك في مواضع قرآنية كثيرة كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁴ لكن لماذا استبدال الماء الدافق بالمهين ولماذا هذا الاختيار أساسا؟ لأنّه يستحيل أن يكون ضربا «من التّوّع اللفظي»⁵ كما ادّعت الدكتورة " حنان شكري " في كتابها (قراءة نصيّة أسلوبية للآيات الكونية في القرآن الكريم الأرض ومفرداتها نموذجا)

الجواب بسيط، وظّف الخطاب القرآني مفردة (دافق) تماشيا مع أجواء الحركة الشديدة كالطرق والصدع والخروج، فكان توظيف الدفق تماشيا مع ذلك. أما (مهين) فوظّفت في سياق خطابٍ مكّي، إذ تُعدّ سورة السجدة والمرسلات من السور المكية إذا استثنينا ثلاث آيات في السجدة وآية واحدة في المرسلات اختلف فيها العلماء، وإن كان هناك من يعتبرهما مكيتين جميعا. قلنا وردت الكلمة في سياق « توبيخ المشركين على ادّعائهم أنّه [أي القرآن] مُفترى والإنحاء على الذين أنكروا البعث ووعيدهم»⁶

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج17، ص15.

(2) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج15، ص244.

(3) كثيرٌ من المفسّرين ذهبوا إلى تفسير مهين بالحقير والفذر.

(4) سورة الإسراء، الآية:70.

(5) شكري (حنان)، قراءة نصيّة أسلوبية للآيات الكونية في القرآن الكريم، الأرض ومفرداتها نموذجا، مكتبة

الأداب، القاهرة- مصر، 2010، ط1، ص127.

(6) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج21، ص204.

وكانت هذه السورة دعوة إلى «الإخبات وترك الاستكبار»¹ . وكذلك سورة المرسلات نزلت هي الأخرى « للاستدلال على وقوع البعث عقب فناء الدنيا...والاستدلال على إمكان إعادة الخلق...ووعيد منكريه بعذاب الآخرة ووصف أهواله»² ، في سياق التوبيخ وكسر عجرفة الكفار وتكبرهم وُظفت (مهين) لتذكير هؤلاء بأنهم خُلِقوا من ماء مهين ضعيف لا يُعبأ به. لكنّ الإعجاز في هذه المفردة وغيرها من المفردات القرآنية لا يكمن فقط في كونها استجابة لسياق أو موقف كالذي رأيناه الآن ولكن استجابتها لحقيقة علمية يتميّز بها هذا الماء أيضا، وهنا موطن الإعجاز وتفرد التوظيف القرآني للغة عن التوظيف الإنساني.

التحليل العلمي لمفردة (دافق)³:

إنّ ورود هذه المفردة بصيغة الفاعل لم يكن اعتباطا، فهو « إشارة على أنّه أي الماء المنوي] يتدقّق ويتحرّك ذاتيا اعتمادا على ذيله [ويقصد الحوين المنوي] خارجا من مكان يقع بين موقعين رئيسيين الصلب والترائب»⁴

والماء المقصود هنا هو المنوي الذي جاءت كلمة (دافق) لتصفه، وقد أكّد العلماء أنّ « المنويات التي يحتويها ماء الرجل لا بدّ أن تكون حيوية متدفّقة متحرّكة وهذا شرط

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج15، ص222.

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج29، ص419.

(3) استفدنا في التحليل العلمي لهذه المفردة من: ، (الماء الدافق تركيبه وخصائصه)، لـ"دسوقي عبد الحليم"

أستاذ التكنولوجيا الحيوية المشارك، قسم العلوم البيولوجية، بجامعة قطر. وحصة تلفزيونية لد/ سمير تقي الدين

بعنوان (البرهان في إعجاز القرآن). حلقة: الماء الدافق (2) أسرار وإعجاز. بتاريخ: (2015/12/18) على

الساعة: 23:00. مسجلة في: <https://www.youtube.com/watch?v=hOQP09jwb-w>. تاريخ

التصفح: 2017/05/06.

(4) بقاق، اختر جنس مولودك من النطفة، مرجع سابق، ص154.

للإخصاب»¹ وهو ما يميّزها عن الإفرازات الأخرى عند الذكر والأنثى. لكن ما الذي يجعله متدفقا؟ إنها عوامل كيميائية وميكانيكية، فلنتعرّف عليها.

كيميائيا هذا المنى مكوّن من حوالي 90% من الماء والنسبة المتبقية تُكوّن منها الحيوانات المنوية نسبة تتراوح من 1% إلى 5% بينما تمثّل مكوّنات متنوعة أخرى ما بين 1% إلى 10% وهي: الفوسفات (0.09 ملغ/مل) والسترات (8.13 ملغ/مل) والبوتاسيوم (1.75 ملغ/مل) والجلوكوز (1.02 ملغ/مل) والفركتوز (2.72 ملغ/مل) وحامض اللاكتيك (0.62 ملغ/مل) واليوريا (0.45 ملغ/مل) والبروتينات (5.00 غ/مل) والكالسيوم (1.01 ملغ/مل) والماغنسيوم (0.92 ملغ/مل) والزنك (0.34 ملغ/مل)².

لكن السؤال المطروح لماذا اختيار الماء دون غيره من السوائل في تشكيل المنى؟ ولماذا بنسبة 90%؟

ذلك لأنّ الماء ((مذيب عام)) يسمح لأغلب المواد بأن تُذاب فيه دون أن تتفاعل معه، عكس السوائل الأخرى، لهذا فالمكوّنات التي ذكرناها آنفا لا تتفاعل مع الماء وتبقى مشكلة مصدرا للطاقة للحيوانات المنوية، كالجلوكوز والفركتوز، ضيف إلى ذلك التوتر السطحي للماء المنوي، فالماء عموما يتميز بأعلى قوّة توتر سطحي بين كل

(1) مارشال وآخران، وصف التخلّق البشري، ص17. وانظر أيضا: Inderbir Singh, Human Embryology, Jaypee Brothers Medical Publishers LTD. New Delhi.India. Tenth edition.2014.P18.

يُوصف فيه الحوين بأنّه خلية سباحة متحركة» **A spermatozoon is a highly specialized, free swimming actively motile cell**

(2) انظر: Bruce M. Carlson, MD, PhD. Human Embryology and

Developmental Biology. Saunders, Elsevier. Fifth Edition. 2014. P26.

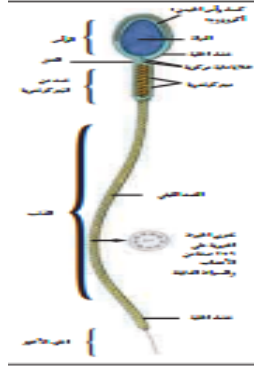
السوائل، ولأنه يُسهم في تكوين المنى بنسبة 90% فللمنى أيضا توتر سطحي عالٍ، يجعله ينسكب على شكل قطرات بدل الانتشار على السطح، ولهذا - بالإضافة إلى أسباب أخرى- يسميه الله في مواضع متعدّدة في النص القرآني بالنطفة وهي القطرة من الماء.

إذاً خاصية التوتر السطحي هي ميزة للماء المنوي تساعد على التدفق والجريان داخل أنابيب التبويض الأنثوية.

من بين ما يكفل أيضا تدفق هذا السائل ذاتيا هو احتوائه على عناصر معدنية بعضها ذو شحنة سالبة كالسترات والفوسفات والأحماض، وبعضها الآخر يحمل شحنات ايجابية مثل البوتاسيوم والكالسيوم والصوديوم والزنك، لهذا تُحدث تعادلا كهربائيا وترابطا فيما بينها يساعد على تدفق الماء المنوي وعدم تفاعله مع أسطح خلايا رحم المرأة التي تحمل شحنات سالبة، فيمتنع الانجذاب الكهربائي المغناطيسي، فلو كانت كل الشحنات المتواجدة في الماء المنوي سالبة أو موجبة فقط لحدث إما تنافر أو تجاذب كلي فنتبعثر حركة المنى، ويفقد تدفقه ومن ثمّ يمتنع الإخصاب.

ولعلك لاحظت أيضا أنّ البروتينات تشكّل أكبر نسبة في المنى تصل إلى 5% ، ذلك لأنها تُعدّ مصدرا للأحماض الأمينية التي تُغذي الحيوانات المنوية لتستطيع مواصلة رحلتها لإخصاب البويضة. ومن العوامل الكيميائية أيضا احتواء هذا الماء على مادة(البروستاجلاندين) التي تؤدي إلى تقلّصات الرحم فتمتصّ الماء المنوي إلى داخله ثم قناتي (فالوب). بالإضافة إلى بعض الإنزيمات التي تمنع تجلّط هذا الماء وتسمح باندفاقه وسيولته، هذا على مستوى تركيب المنى الكيميائي.

أما على مستوى تصميم الحُوين فذاك إعجاز آخر يدل على تصميم دقيق. إنَّ ما يساعد الحُوين المنوي هو جسمه الذي يتكوّن من رأس وعنق وذيل، ويُعدّ العنق مصنعا للطاقة وذلك عن طريق (الميتوكوندريا الحلزونية) التي تنتج مركبا كيميائيا يُسمى (الأدينوسين ثلاثي الفوسفات ATP) وذلك بتكسير (الجلوكوز) و(الفركتوز) الموجودين في المنى أثناء عملية بيوكيميائية تُسمى (دورة جليكوليس) وكذلك استثمار (السترات) في دورة تُسمى (دورة حامض السيتريك) لأكسدة بعض المواد الأخرى، وتتمّ هذه التفاعلات من خلال مادة بروتينية تُسمى (إنزيم الداينين)، كلّ ذلك يساعد الماء المنوي على التدقّق والحركة اللازميتين ويعطي القوة لذيل الحُوين للحركة من أجل تحقيق عملية الإخصاب التي يتم من خلالها بدء خلق الإنسان. ولا يقتصر الدفق على ماء الرجل فقط فماء المرأة أيضا يتّسم بذلك ووفق معطيات كيميائية وميكانيكية أخرى.



(الشكل 4 يمثّل بنية الحيوان المنوي)1

إذا نرى أنّ صيغة اسم الفاعل كانت مقصودة بذاتها، لأنّ الماء المنوي دافق هو بذاته ليس مدفوقا. يقول "سمير تقي الدين": «كل هذا التحليل يقصد تحليل

(1) المصدر: يحي، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص42.

مكونات المنى] يخدم مفردة (دافق) بصيغة اسم الفاعل وليس المفعول، نُسبَ إلى السائل بمكوناته»¹ وليس الأمر مجازاً كما ظنَّ كثير من المفسرين. والعلم أثبت ذلك وصار نصَّ الآية صريحاً لا يقبل التأويل، صحيح أنهم - أي المفسرين - انطلقوا من واقع لغوي عربي، كأن يُوظف اسم الفاعل بدلالة المفعول لكنَّ ذلك قليل وعدول عن الأصل ومتى كشف العلم عن دقة اللفظة مفردة كانت أو غيرها فالمرجَّح هو استبعاد التأويل.

أما وَصَفُ هذا الماء بالمهين فلخصائص أثبتها الطبُّ، ومنها:

أولاً: لأنَّ هذا الماء لا يُصنَّع إلا في الخصية ، وهذا العضو موجود خارج جسم الرجل لأنَّه لو تعرَّض لحرارة الجسم العادية (37 درجة مئوية) لامتنع عن إنتاج النطف، ووجود هذا العضو خارج الجسم يؤدي إلى توالد النطف في درجة حرارة تتراوح بين 33 و 34 درجة مئوية. وفي الحقيقة هذا مظهر من مظاهر الضعف فهذا الماء لا يتحمَّل حتى درجة الحرارة العادية لجسم الإنسان.

ثانياً: إنَّ الدفقة الواحدة من المنى تحمل الملايين من النطف لكنَّ الكثير منها يموت في طريقه إلى لقاء البويضة، فلا ينجو منها إلا بضع مئات ثم واحد فقط الذي يلقِّح البويضة، وهذا دلالة على ضعفه، وعدم تحمُّل كل الحويئات المنوية مشاق رحلتها إلى مكان الإخصاب.

(1) تقي الدين (سمير)، البرهان في إعجاز القرآن، حصة تُبثُّ على قناة الرحمة، حلقة: الماء الدافق (2) أسرار

وإعجاز - بتاريخ: 2015/12/18. مسجلة

في الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=hOQP09jwb> وقت التصفّح: 2016/07/22.

ثالثاً: ذهب كثير من العلماء إلى أنّ خلق الإنسان من خلية واحدة تنقسم على نفسها ملايين المرات تحت سيطرة الشريط الوراثي مسألة هامة تُقرّ بدء الإنسان بماء مهين إلى أن يصبح جسماً معقّداً التركيب، بل أكثر من ذلك يذهب الدكتور " منصور العبادي أبو شريعة" وهو أستاذ بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية إلى أنّ الماء المهين « ما هو إلا شريط الحامض النووي أي الشريط الوراثي] وهو ممّا يحمله معه ماء الرجل وماء المرأة أثناء تداخلهما في عملية الإخصاب] لمدى ضعفه، فقد تمكّن علماء الأحياء بالاستعانة بالميكروسكوبات الالكترونية من التعرّف على بنية هذا الشريط وتبيّن لهم مدى ضعف تركيبه، ولتوضيح مدى ضعف هذا الشريط نورد بعض أبعاده في الإنسان حيث يبلغ طوله الكلي ما يقرب من المترين موزّعا على ستة وأربعين كروموسوما، أما عرضه فيبلغ نانومتريْن اثنين فقط (النانومتر جزء من ألف مليون جزء من المتر) أي أنّ فُطر شعرة الإنسان يزيد بخمسين ألف مرّة عن فُطر هذا الشريط. إنّ نسبة عرض هذا الشريط إلى طوله نسبة متدنّية جدا لا يمكن أن تجدها في أيّ شريط طبيعي أو صناعي مما يعني أنّه شريط بالغ الضعف بحيث لو تمّ تكبيره ليُصبح فُطره بفُطر شعرة الإنسان فإنّ طوله سيبلغ حينئذ مائة كيلومتر»¹

4- سُلالة:

لم ترد هذه المفردة إلا في موضعين في القرآن الكريم وكلاهما في موضوع خُلُق الإنسان، الموضع الأول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ

(1) العبادي(منصور أبو شريعة)، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، بحث علمي منشور في موسوعة

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. تاريخ النشر: 2010/06/21 . <http://www.quran-m.com> . تاريخ

التصفح: 2017/05/01

1 ﴿١٢﴾ من سورة (المؤمنون) وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾¹

2 ﴿٨﴾ من سورة (السجدة)، أما الأولى فهي سورة مكية، ومقصدها المحوري هو «تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه»³. تقف هذه السورة في وجه المشركين والمكذّبين لتكبرهم على هذه الحقيقة - الإيمان والوحدانية - مساندةً للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومُبيّنةً عاقبة هؤلاء خلال التذكير بمعاناة الرّسل الذين سبقوا في إرشاد أقوامهم ونصر الله وعرض عاقبة المكذّبين. ولا تختلف المقاصد العامة لسورة السجدة عما أوردنا فهي الأخرى مكية، تعالج أمر العقيدة؛ «عقيدة الدينونة لله الأحد... والتصديق برسالة محمد... والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء، تقدّم كلّ ذلك رفقة مؤثرات موقظة للقلب، منيرة للروح، مثيرة للتأمل والتدبّر، كما تقدّم أدلة وبراهين معروضة في صفحة الكون ومشاهده، وفي نشأة الإنسان وأطواره، وفي مشاهد من اليوم الآخر حافلة بالحياة والحركة، وفي مصارع الغابرين وآثارهم الناطقة بالعبرة لمن يسمع لها ويتدبّر منطقتها»⁴

في هذه الأجواء ترد هذه المفردة وفي سياق خلق الإنسان فما دلالة هذه المفردة يا ترى؟ ولماذا اختارها في هذين الموضوعين؟ ثمّ ما علاقتها بالمفاهيم الاصطلاحية التي توصل إليها العلماء في علم الأجنّة؟ لنجيب عن ذلك لا بدّ من الانطلاق من الدلالة المعجمية لها.

(1) سورة المؤمنون، الآية:12.

(2) سورة السجدة، الآية:08.

(3) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج18، ص06.(4) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج6، ج21، ص2803. (بتصرّف يسير جدا)

التحليل المعجمي لمفردة (سلالة):

يقول " الخليل " :«السَّلُّ: إخراجك الشَّعر من العجين ونحوه من الأشياء. والانسلال: المُضَيِّ والخروج من بين مَضيق أو زِحام. وسَلَّلْتُ السَّيْفَ فأنسلَّ من غمده. والسَّلُّ: داء يأخذ الإنسان ويقتل، وسَلَّ الرَّجُلُ وأسَلَّهُ اللهُ إسلا لا فهو مَسْلُول. والإسلال: السرقة الخفية. والسَّلُّ والسَّلِيل والسَّلان: جماعة أودية بالبادية. والسَّلِيل والسَّليلة: المَهْرُ والمُهرة. والسَّلِيل: دماغ الفرس. والسَّلِيل: الولد، سُمِّي سليلا، لأنه خُلِقَ من السلالة...»¹

ويجمع " ابن فارس " دلالة هذه المادة المعجمية في أصل لغوي واحد، « وهو مدّ الشيء في رفق وخفاء، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه. فمن ذلك سَلَّلْتُ الشيء أسلَّهُ سَلًّا. والسَّلَّة والإسلال: السرقة. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين كتب ((لا إغلال ولا إسلال)). فالإغلال: الخيانة. والإسلال: السرقة. ومن الباب: السليل: الولد؛ كأنه سُلَّ من أمّه سَلًّا. قالت امرأة من العرب في ابنها:

سُلَّ من قلبي ومن كبدي **** قمرا من دونه القمر²

ومما حُمِلَ عليه: السَّلْسِلَة، سُمِّيَتْ بذلك لأنها ممتدّة في اتّصال. ومن ذلك تسلسل الماء في الحلق، إذا جرى..قال بعض أهل اللغة: السلسلة اتّصال الشيء بالشيء...والسَّال: مسيل في مضيق الوادي، وجمعه سُلان، كأنّ الماء ينسلّ منه أو

(1) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج2، ص267-268. (باب السين. مادة: سلل)

(2) ورد البيت في المعاجم المعتمد عليها دون نسبة.

فيه انسلالا...والمسلة معروفة؛ لأنها تسلّ الخيط سلا. والسلاءة من الشوك من هذا أيضا، لأنّ فيها امتدادا. ومنه السلال من المرض، كأنّ لحمه قد سلّ سلا منه»¹.

ومن المعاني التي يشير إليها " الزبيدي" ولم ترد في (العين): «...والنُطفة سلالة الإنسان...وقال الفراء: السلالة الذي سلّ من كل ثرية، وقال أبو الهيثم: ما سلّ من صلب الرجل وترائب المرأة، كما يُسلّ الشيء سلا. ورؤي عن عكرمة، أنّه قال في السلالة: الماء يُسلّ من الظهر سلا. والسلالة: سمكة طويلة لها منقار طويل. والسليل: الشراب الخالص، كأنّه سلّ من القذى حتى خلص، ومنه الحديث ((اللهم اسقنا من سليل الجنة))، أي: صافي شرابها، وقيل: هو الشراب البارد، وقيل: الصافي من القذى والكدر، وقيل السهل في الحلق...وسلّ البعير وغيره في جوف الليل: إذا انتزعه من بين الإبل...والإسلا: الرثوة...والسلّة: شقوق في الأرض تسرق الماء»²

لعلّك تلاحظ أنّ دلالات هذه المفردة تتمحور حول إخراج الشيء من الشيء، فانت تُخرج الشيء من ضيق وازدحام، وذلك برفق ولطف وتدرّج كما يُسلّ الماء من شقوق الأرض بانسيابية، وأحيانا بخفاء كما يفعل السارق والمرتشى حتى لا يُكتشف أمرهما. والسلالة من الماء ما خلص منه صافيا من كدر سائغا في الحلق. والسلالة تُطلق على الشيء الدقيق الرقيق فيه امتداد وطول، كشوكة النخل والمخيط والسمكة الطويلة ذات المنقار الطويل.

تأمل كيف تخدم البنية الصوتية هذه الدلالات، إنّ صوت السين بصفة الهمس والرخاوة والاستفالة يدل على الانسيابية والرفق والليونة، فمعروف أنّ صوته «

(1) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج3، ص59-60. (مادة: سل)

(2) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج29، ص208-209-210. (مادة: سل).

التماسك النقي يوحى بإحساس بين النعومة والملاسة، وإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وإحساس سمعي هو أقرب للصفير، وليس في صوته ما يوحى بأيّ إحساس ذوقي أو شمّي أو مشاعر إنسانية¹ فخذ مثلاً: سال، سكب، سار، سرى... واللام صوت متوسط مائع من صفاته الاستقالة والذقية، خفيف على اللسان، وهو صوت « يوحى بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق»². ألا ترى كيف أسهمت البنية الصوتية في أداء دلالة الليونة والانزلاق والانسايية الموجودة في الجذر (سل).

ثم انظر إلى البنية الصرفية للمفردة، إنّها على وزن (فُعَالَة) وهذا الوزن معروف بدلالاته على القلّة، كقُلامَة وقُمامَة ونُحاتَة. فما علاقة كل هذه المعطيات بالمفهوم العلمي لهذه الوحدة اللغوية؟

التحليل الدلالي لمفردة (السُّلَالَة) عند المفسّرين:

اختلف العلماء في المقصود بالإنسان في الآية الأولى؛ هل هو آدم - عليه السلام - أم هو وبنوه عامة، وي طرح "الرازي" هذا الاختلاف ويبسط آراءه قائلاً: « واختلف أهل التفسير في الإنسان، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل: المراد منه آدم عليه السلام فأدم سلّ من طين وخُلقت ذريته من ماء مهين، ثم جعلنا الكناية راجعة إلى الإنسان الذي هو ولد آدم والطين هنا اسم آدم عليه السلام، والسلالة هي الأجزاء الطينية المبنوثة في أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المنى صارت منياً، وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى (وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم

(1) عباس (حسن)، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، 1998، (د.ط)، ص 110-111.

(2) المرجع نفسه، ص 254.

جعل نسله من سلالة من ماء مهين) وفيه وجه آخر، وهو أنّ الإنسان إنما يتولد من النطفة وهي إنما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك إنما يتولد من الأغذية، وهي إما حيوانية وإما نباتية، والحيوانية تنتهي إلى النباتية، والنبات إنما يتولد من صفو الأرض والماء، فالإنسان بالحقيقة يكون متولداً من سلالة من طين، ثم إنّ تلك السلالة بعد أن تواردت على أطوار الخلق وأدوار الفطرة صارت منياً، وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه إلى التكاليف»¹. يبدو أنّ أقرب الآراء إلى الصواب رأي ابن عباس وعكرمة، إذ خُلِقَ «جوهر الإنسان أولاً من طين، لأنّ الأصل آدم، وهو من طين خالص وأولاده من طين ومني»². وإلى هذا أيضاً ذهب " القرطبي " فـ«الأصل آدم، وهو من طين خالص، فأما ولده، فهو من طين ومني»³. فالحديث عن خلق الإنسان من طين هو الحديث عن أصل خلقه أي خلق آدم عليه السلام. ما يؤكّد ذلك إيراد هذا المعنى - أي خلق الإنسان من طين - صراحة وبهذه الصيغة في ثمانية مواضع⁴ في القرآن الكريم.

وفي تفسير ﴿سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ يقول: «أسلناه منه، فالسلالة هي المُسْتَلَّة من كل

تربة، ولذلك كان آدم خُلِقَ من تربة أُخِذت من أديم الأرض»⁵

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج23، ص85.

(2) الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ص970.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج15، ص18-19.

(4) المواضع هي (الأنعام/2) و(الأعراف/15) و(المؤمنون/12) و(السجدة/7) و(الصفافات/11) و(ص/71)

و(ص/76) و(الإسراء/61).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج15، ص18-19.

الآية كما التفسير واضحان في كَوْن الإنسان من سُلالة من الطين، والسُلالة هنا بمعنى «الخلاصة»¹، وفصل " الثعلبي " طبيعة هذه الخلاصة، فهي « صفوة ماء آدم الذي هو من الطين ومنّيّه»² .

وأما الآية الثانية فالسُلالة كانت من ماء مهين، والماء هاهنا قد سبق الحديث عنه وهو منّي الرجل أو كما أسماه "الرازي" وكثير من المفسرين «النطفة»³ ، وهناك إشارة مهمة سواء أكان الأمر متعلقاً بالآية الأولى أم الثانية، هناك بعض المفسرين ذهبوا إلى أنّ السُلالة هي نسلُ آدم عليه السلام، لكن ينتفي هذا في الموضوعين المدروسين فالآية الثانية صريحة وواضحة تُبطل هذا الفهم، فالمقصود بالنسل ذرية آدم وقد خُلِقوا - الذرية - من خلاصة من ماء مهين. هذا الأخير هو « نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة»⁴ . وكذلك " البقاعي " يرى أنّ نسل ابن آدم « مُنْتَزَعٌ من ماء مهين»⁵

نتيجة القول إذاً أنّ الإنسان خُلِق من خلاصة من طين في خلقه الأول، وهو خلق سيدنا آدم -عليه السلام- وخلاصة سُلت من ماء مهين في خلق ذرية آدم عليه السلام، فاجتمع في الذرية الماء والأصل ألا وهو الطين. ثمّ إنّ المتأمل للنص القرآني، يجد أنّ الإنسان حيناً خُلِق من تراب وآخر من طين، ومرة من صلصال من حمأ مسنون وأخرى من صلصال كالفخار... وهكذا، ولا تعارض في الأمر ولا اضطراب، لأنّ النصّ القرآني نصٌّ فريدٌ يتطلّب قراءة دائرية تشمله ككل بحكم أنّه «

(1) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص704.

(2) الثعلبي، تفسير الثعلبي، مصدر سابق، ج04، ص320.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج25، ص174.

(4) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة

الصفاء، 2004، ط1، ج6، ص163.

(5) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج15، ص244.

نص دائري يلتقي آخره بأوله»¹ . وذكرُ هذه الأنواع من التراب أو الطين هي ذكرٌ لمراحل خلقه في الطور الأول يبيتها الله في مواطن متفرقة في النص القرآني، يقول "الشنقيطي": « فاعلم أن الله جل وعلا أوضح في كتابه أطوار هذا الطين الذي خلق منه آدم، فبين أنه أولاً تراب، بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾²... ثم أشار إلى أن ذلك التراب بُلّ فصار طيناً يعلق بالأيدي في مواضع أخر، كقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾³ وبين أن ذلك الطين أسودّ ، وأنه متغيّر بقوله هنا ﴿مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾⁴ وبين أيضاً أنه ييس حتى صار صلصالاً، أي: تسمع له صلصلة من ييسه بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾⁵... والعلم عند الله تعالى »

هذه الظاهرة تحيلنا على سرّ من الأسرار الكامنة في النص القرآني وهو بثّه لتفاصيل القضية الواحدة أو الموضوع الواحد في مواضع متفرقة ولا يمكنك أن تركب الصورة العامة لهذه القضية أو تكتمل إلا بعد تقصي هذه التفاصيل والجزئيات من النص كلّ، وهذا يفرض عليك قراءة منفتحةً مفتوحةً للنص كلّ، فالقراءة الجزئية التفكيكية ثم إصدار أحكام على هذا النص أو مواضيع أخرى من خلاله أمرٌ مرفوض جملةً وتفصيلاً .

(1) عيد(محمد عبد الباسط)، النص والخطاب؛ قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، 2009،

ط1، ص19

(2) سورة آل عمران، الآية:59.

(3) سورة الصافات، الآية:11.

(4) سورة الحجر، الآية:26.

(5) سورة الحجر، الآية:26.

لكن كيف نظر العلماء إلى قضية خلق الإنسان من سلالة من طين ومن ماء مهين؟ وكيف فسروا ذلك علمياً؟ وهل هناك تلاؤم بين التحليل العلمي ودلالة هذه المفردة؟

التحليل العلمي لمفردة السلالة

نتحدّث أولاً عن خلق الإنسان من سلالة من طين، فقد أثبت العلماء حديثاً أنّ جسم الإنسان « أشبه بمنجم صغير»¹ لما يحتويه من عناصر ترابية، وهي العناصر نفسها التي تدخل في تكوين التراب، هذه المكونات هي:

- أوكسجين (O) وهيدروجين (H)، نجدهما في جسم الإنسان بشكل ماء بنسبة تتراوح ما بين 65% إلى 70% من وزن الجسم.
- كربون (C) وهيدروجين وأكسجين والتي تشكّل أساس المركبات العضوية من سكريات ودُسم وبروتينات وفيتامينات وهرمونات.
- مواد جافة وهي الكلور (CL) و الكبريت (S) والفوسفور (P) والمغنزيوم (MG) والبوتاسيوم (K) والصوديوم (NA). تشكل هذه في مجموعها نسبة تتراوح ما بين 60% إلى 80%
- ونجد عناصر أخرى بنسب أقل وهي: الحديد (FE) والنحاس (CU) واليود (I) والمغنيز (MN) والكوبالت (CO) والتوتياء (ZN) والمولبيديوم (MO)
- كما نجد عناصر أخرى بنسب قليلة جداً وهي الفلور (F) والألمنيوم (AL) والبور (B) والسلينيوم (SE) والكادميوم (CD) والكروم (CR). والجدول التالي يمثّل العناصر السابقة وبنسب تواجدها في جسم الإنسان:

(1) العبادي(منصور أبو شريعة)، ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين، مرجع سابق، تاريخ

الزيارة(2015/07/15) على الساعة:23:00

Element	Symbol	Main Function	%	Weight
Macro-minerals				Gram
Oxygen	O	Respiration of cells/tissues, a component of water	65.0	43,000
Carbon	C	Organic structure	18.5	12,000
Hydrogen	H	Component of water/tissue	9.5	6,300
Nitrogen	N	Component of protein/tissue	3.3	2,000
Calcium	Ca	Bones and teeth	1.5	1,100
Phosphorus	P	Bones and teeth	1.0	750
Potassium	K	Intracellular electrolyte	0.35	225
Sulfur	S	Amino acids (hair and skin)	0.25	150
Chlorine	Cl	An electrolyte when in the form of chloride	0.15	100
Sodium	Na	Intracellular electrolyte	0.15	90
Magnesium	Mg	Electrolyte of metabolism	0.05	35
Silicon	Si	Connective tissue/bone	0.05	30
Macro-minerals			%	Miligram
Iron	Fe	Carrier of hemoglobin/oxygen	0.01	4,200
Zinc	Zn	Content of enzyme/DNA synthesis, immunity support	0.01	2,400
Copper	Cu	Enzyme cofactor	0.01	90
Boron	B	Bone structure	0.01	68
Cobalt	Co	Essence of B12 vitamin	0.01	20
Vanadium	V	Fat metabolism	0.01	20
Iodine	I	Thyroid hormone	0.01	15
Selenium	Se	Enzyme, antioxidant, immunity support	0.01	15
Manganese	Mn	Metallic enzymes	0.01	13
Molybdenum	Mo	Enzyme cofactor	0.01	8
Chromium	Cr	Glucose-tolerant facto	0.01	6

(جدول 2: يمثل العناصر الترابية في جسم الإنسان)¹

لا تُعدّ هذه العناصر هي المكوّنات الكلية للتراب أو الطين « فهناك أكثر من مئة عنصر في الأرض»¹، وهنا بالضبط مَكْمَن الإعجاز، إنّه في توظيف كلمة (سلالة)

(1) Environmental and Evolutionary Biology II, The Life System.

<https://eesc.columbia.edu/courses/ees/life/lectures/lect21.html>.

للدلالة على أنّ ما يكوّن جسم الإنسان هو خلاصة من عناصر التراب وليست كلّها.

أما سلالة من ماء مهين، فذلك إعجاز علمي ولغوي آخر دعنا نتعرّف عليه، وما لديك الآن أنّ السلالة هي الخلاصة، وهي هنا من الماء أي المنى، فماذا تقول الحقائق العلمية في علم الأجنة؟

أولاً يُؤثّر عن الرسول - صلى الله عليه وسلّم - في هذا الموضوع قوله: « ما من كل الماء يكون الولد»² ، وهذه حقيقة علمية أثبتها الخبراء في علم الأجنة، فمعلوم أنّ الدفقة الواحدة من المنى تتكوّن من ملايين النطاف، يقول "بروس كارلسون": « 2 إلى 3 مل من الدفقة تحوي 40 إلى 250 مليون حُويّن منوي»³ وكثير من المصادر تشير إلى عدد أكبر يصل إلى 300 مليون حويّن⁴ ، هذه الحويّنات تسبح في سائل منوي يسمح بحركتها.

يقول " محمد علي البار": « ونحن نعلم الآن أنّ جزءاً يسيراً جدّاً من المنى هو الذي يخلق الله منه الولد فالدفقة الواحدة من المنى تحمل مائتي مليون حيوان منوي والذي يلقّح البويضة هو حيوان منوي واحد فقط»⁵ ، لأنّه من هذا العدد الكبير ينجح القليل فقط في إنهاء رحلته من المهبل إلى قناة الرحم للوصول إلى البويضة، فالكثير منها يموت في طريقه لعوامل كثيرة، ولا يلقّح البويضة إلا واحد من الحويّنات، بل

(1) دياب وقرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص73.

(2) عطية (محمد عطية)، الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان -

الأردن، 2010، ط1، ص169.

(3) Bruce M. Carlson. **Human Embryology and Developmental Biology**, op.cit, P26.

(4) انظر.: Gernigon, **Embryologie générale humaine**, op.cit, p83.

ورد في الكتاب: « Une éjaculation normale dépose dans le vagin 200 à 300 millions de spermatozoïds »

(5) البار (محمد علي)، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة -

السعودية، 1983، ط4، ص111.

أكثر من ذلك، حتى الحوين الذي يصل إلى البويضة بمجرد دخوله إليها « ينفصل عنه ذنبه ويبقى في الخارج... ويملك هذا الحوين درعا حول رأسه، وتحت هذا الدرع يوجد درع ثان، وتحت هذا الدرع الثاني يقع الحمل الذي ينقله الحوين... يحفظ هذا الدرع الحمل الثمين الذي يحمله الحوين (وهو المعلومات الجينية)... وينفتح هذا الدرع الواقي حول رأس الحوين في أثناء عملية إخصاب البويضة وتحرر الإنزيمات»¹.
 إذاً هو إخراج شيء من شيء واستلال يلي استلالاً؛ نطفة من ماء ثم ما يقارب الألف حوين من بين الملايين التي تتزاحم في عنق الرحم، ثم حوين من بين كل الحوينات ثم يُستلّ رأس الحوين عن ذنبه ثم يُنتزع الدرع وينفتح ما تحته لئُستل منه الإنزيمات، كل ذلك برفق ولطف لا تكاد المرأة تشعر به... إذاً هو خلاصة الخلاصة أي هو السلالة التي عبّر بها الخطاب القرآني، هذه هي دقة المفردة القرآنية، وعبقريتها إن شئت، والذي أسهم في ذلك هو دلالتها الصرفية والمعجمية وقيمة أصواتها التعبيرية.

ثم تأمل الأمر من ناحية ثانية، ألا ترى أنّ الدلالة المعجمية لهذه المفردة تدل على الشيء الدقيق الرقيق فيه امتداد وطول، كشوكة النخل والمخيط والسمة الطويلة ذات المنقار الطويل؟

هذه الصفات كلّها يتمييز بها الحوين؛ ألا يشبه السمكة الدقيقة الرقيقة السابحة في الماء؟ يقول " النذير بفاق" في إشارة لطيفة جداً عن هذه الكلمة التي: «تحمل معانٍ عديدة ومجمعة، وهي تشير إلى البيضة وإلى الحوين المنوي في آن واحد فهي تعني القليل من الماء (قطرة) وتشبه السمكة الطويلة (رأس وجذع وذيل) هذا من حيث الشكل، وكذلك الشبه من ناحية الحركة والمظهر الخارجي المتمثل في

(1) يحي، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص70-71.

الانسياب بأعجوبة والانسال برفق وخفاء لأنّها تسبح في مني الرجل الغليظ»¹
(انظر الشكل 5)



(الشكل 5 يمثل الحوين المنوي)²

ولكن جدير بالذكر أنّ الماء في هذا الموضع لا يُطلق على الحوين المنوي فقط بل البويضة أيضاً، إذ ينطبق عليها مفهوم السلالة لأنّ «مبيض الطفلة وهي لا تزال جنينا في بطن أمّها يحتوي على ستة ملايين بويضة... فإذا ما خرجت إلى الدنيا مات الكثير منها... وتستمرّ هذه البويضات في اندثارها حتى إذا بلغت الفتاة المحيض لم يبق منها إلا ثلاثين ألفاً. وما ينمو منها ويخرج من المبيض لا يزيد عن أربعمئة بويضة في حياة المرأة كلها... وفي كل شهر تنمو مجموعة من البويضات ولكن يد القدرة تختار واحدة منها فقط لتكمل نموها وتخرج لملاقاة الحيوان المنوي»³
إذاً لهذا كلّهُ أُختيرت هذه المفردة دون سواها من المفردات العربية جميعاً، وتمّ توظيفها في النص القرآني للتعبير عن هذه الدلالة.

5- العلقّة:

وظّف الله - عزّ وجلّ - هذه الكلمة في خمسة مواضع، كلّها في موضوع خلق الإنسان، وهي كالتالي:

(1) بقاق، اختر جنس مولودك من النطفة، مرجع سابق، ص 192-193.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، مرجع سابق، ص 112.

- ﴿حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾¹
- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ﴾²
- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾³
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ﴾⁴
- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾⁵

والملاحظ أنّ كلّ هذه السور التي وردت فيها هذه اللفظة وبالتالي موضوع خلق الإنسان هي سور مكية إذا استثنينا سورة الحج فهي مكيّة، وبعض آياتها وهي ست نزلت بالمدينة كما يورد " الثعلبي"⁶، قلنا ذكر موضوع الخلق في هذه السور في معرض الدعوة إلى التوحيد وإثبات البعث عن طريق دعوة المجادلين إلى التدبّر في « كيف تنشأ الحياة، ولينظروا في أنفسهم، وفي الأرض من حولهم، حيث تنطق لهم الدلائل بأنّ الأمر مألوف ميسور، ولكنهم هم الذين يمرون على الدلائل في أنفسهم وفي الأرض غافلين»⁷

(1) سورة العلق، الآية:02.

(2) سورة الحج، الآية:05.

(3) سورة المؤمنون، الآية:14.

(4) سورة غافر، الآية:67.

(5) سورة القيامة، الآية:38.

(6) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج4، ص281.(7) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج4، ج17، ص2409.

التحليل المعجمي لمفردة (علقة):

سبق وأن أشرنا إلى المعنى اللغوي للجزر اللغوي (علق) وما يحمله من دلالات¹ تتبني كلها على معنى الترابط والتلازم الشديدين الذي يتحقق بنشوب الشيء بالآخر، وتشبّثه به، كما ينشب الثوب بالشوك أو كما تفعل العلقة؛ الدودة الصغيرة التي تعلق بالبدن وتمصّ الدم.

التحليل الدلالي لمفردة (علقة) عند المفسرين:

أجمع العلماء المفسرون القدماء وكثير من المحدثين أنّ العلقة هي الدم الغليظ الجامد، وقيل أيضاً: الشديد الحمرة، من بين من ذهب إلى ذلك " الرازي"² وكذلك " ابن عطية"³ و"الزمخشري"⁴ " أما الثعلبي " فيعرّفها بقوله: «هي الدم العبيط الجامد وجمعها علق»⁵، وهي قطعة دم « ليس فيها أهلية للسلان»⁶

ويلمّح " سيد قطب" إلى معنى التعلق في تفسيره لهذه الآية وحديثه عن اتحاد الحوين والبويضة حين يقول: « ويتّحد بها فتعلق في جدار الرحم»⁷

التحليل العلمي لمفهوم (علقة):

سبق وأن تحدّثنا عن الأمشاج والحرث والماء الدافق والسّلالة والتي تُعدّ وعلى التوالي أطواراً للمرحلة الأولى من خلق الإنسان وتُدعى مرحلة النطفة، أما العلقة فهي

(1) عد إلى صفحة 62 من هذا البحث.

(2) الرازي، تفسير الرازي، مصدر سابق، ج23، ص09.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مصدر سابق، ص1300.

(4) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص690.

(5) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج4، ص283-284. والعبيط بمعنى: الدم الطري

(6) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج17، ص09.

(7) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج4، ج17، ص2409.

الطور الأول من المرحلة الثانية في خلق الإنسان وهي مرحلة التخليق، فأثناء عملية الحرث التي تحدّثنا عنها فيما سبق¹ تبدأ الخلية الجرثومية في الانغراس في بطانة الرحم والتغيّر المورفولوجي لتمهّد لطور العلقّة، وهنا إشارة إلى أمرين؛ الأول يخص الجانب المورفولوجي وهو تحول الجنين من الشكل المستدير الذي كان عليه في مرحلة النطفة - والأشكال السابقة توضّح ذلك - إلى شكل دودة العلقّة في استطالته. أما الثاني فهو التشبّب بجدار الرحم وما يليه من سلوكات. وهذا ما سنوضّحه في الخطوة التالية.

يقول "هارون يحيى": «والجنين يتعلّق بجدار الرحم تماما كما ورد في الآية ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ واستعمال القرآن منذ أكثر من ألف سنة هذه الكلمة في إيراد هذه الصفة للجنين النامي في بطن الأم والكشف عن هذه المعلومات قبل عدّة عصور وفي عهد لم يكن مستوى العلم يسمح بالوصول إلى هذه الحقيقة يُعدّ بلا شك - إحدى معجزات القرآن»²

ففي اليوم السابع أو الثامن تظهر طبقتان؛ داخلية (Embryoblast) وهي خلايا دائمة للجنين طوال حياته، وخارجية (Trophoblast) وهي خلايا مساعدة تبقى مع الجنين حتى الولادة، مهمتها تقديم جميع المساعدات للجنين في الرحم، وفي هذا اليوم «تبدأ هذه الخلايا بالنمو ويتكوّن امتدادات لها في جميع الاتجاهات، وغاية هذا التغيّر هي مساعدة الخلايا للنفاذ إلى الداخل من خلال جدار الرحم. وفي أثناء هذا الدخول تتواجه مع الشعيرات الدموية للأم فنقوم باختراق سطحها الخارجي، وهكذا يكون نسيج

(1) انظر: صفحة 108 من هذا البحث.

(2) هارون، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص93.

الجنين قد ارتبط بدم الأم في خلال اليوم السابع أو الثامن من أيام الحمل... وبتقدّم الأسابيع تقوم بعض هذه الخلايا الخاصة بتكوين سدّ أمام دم الأم. ولهذا السدّ الذي يُدعى المشيمة (Placenta) بنية خاصة جدًّا؛ فعندما ندقّق عن قرب نرى أنّ خلايا تروفوبلاست بتكوينها هذا السدّ تقوم بوظيفة حاجز أمام دم الأم. وهذه نقطة هامة جدًّا، لأنّ الجنين أصبح الآن في ارتباط وثيق مع أنسجة الأمّ ويتغذى بالمواد الموجودة في دمها»¹

كلّ هذه التغيّرات تحدث في زمن قصير جدا لا تتجاوز في العادة يوما كاملا، يقول "عبد الحميد دياب": «وتستمر عملية العلق مدة (24) أربع وعشرين ساعة، وبذلك تنتهي مرحلة تشكّل العلقة. وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة بالعلق إلا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقا - وليس التصاقا - بواسطة تلك الاستطالات التي غرستها في مخاطية الرحم»²

والمُعجز في الأمر أيضا أنّ الجنين منذ بدء خلقه يُعدّ جسما غريبا عن الأم ومن المفترض أنّ الجهاز المناعي يهاجمه لكن «قبل أن يتعلّق الجنين برحم الأم ويلتصق به تقوم خلايا تروفوبلاست (Trophoblast) التي تتكوّن قرب رحم الأم بتشكيل مصفاة من نوع خاص بين الأوعية الدموية للأم وبين الجنين، ولا تستطيع الخلايا الدفاعية عبور هذه المصفاة، وبذلك يُصان الجنين من بطش الخلايا الدفاعية التي تكون آنذاك في حالة استنفار بسبب إعلان حالة الطوارئ في الجسم. بل يقوم بعض هذه الخلايا الدفاعية بمساعدة نقل وتوصيل المواد الغذائية والأكسجين إلى الجنين، كما

(1) المرجع السابق، ص 107-108.

(2) دياب وقرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 81.

تقوم بإنتاج بعض الإنزيمات لتخفيض ضغط الأم عن الجنين حتى لا تتوقف دورته الدموية¹

ولا بد هنا من إشارة مهمة وهي أنّ النطفة تكون محاطة بالدم المتجمّد، « وهذا ما يفسّر لنا لماذا توهم الأقدمون ومنهم مفسّرو القرآن القدامى أنّ العلقة هي دم غليظ متجمّد... ذلك لأنّ حجم الكرة الجرثومية في ذلك الوقت لا يزيد عن نقطة الحبر هذه(.) وبما أنّ الدم المتجمّد يحيط بها من كل جانب فإنّنا نعدّهم إذا وصفوا العلقة بالدم الغليظ المتجمّد»²



(الشكل 6: يمثل النطفة وقد أحاط بها الدم بعد ثمانية أيام)³

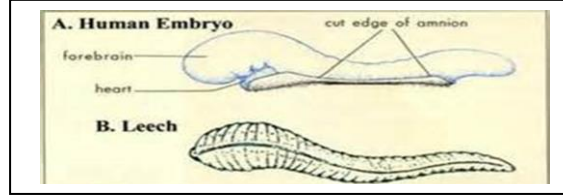
والشيء الثاني المورفولوجي هو استطالة شكل النطفة بعد أن كان شكلها مستديرا فتشبه حينذاك دودة العلق التي شبّهها بها العلماء والتي يدل عليها هذا الجذر اللغوي، يقول " عبد المجيد الزنداني": « أما إذا أخذنا المعنى الحرفي للعلق (دودة عالقة) فإنّنا نجد أنّ الجنين يفقد شكله المستدير ويستطيل حتى يأخذ شكل الدودة، ثم يبدأ في التّغذي من دمّ الأم، مثلما تفعل الدودة العالقة، إذ تتغذى من دمّ

(1) هارون يحي، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص 107. (بتصرف يسير)

(2) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، مرجع سابق، ص 213.

(3) يحي، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص 96.

الكائنات الأخرى، ويحاط الجنين بمائع مخاطي تماما كما تحاط الدودة بالماء»¹
(انظر الشكل7)



(الشكل7: يمثل تغيّر شكل العلقة في حوالي اليوم الخامس عشر)²

إذاً كما ترى لقد لعبت الدلالة المعجمية دورها في إحداث التعالق بين هذه المفردة والمفهوم الاصطلاحي الذي تدل عليه. لذلك نضمّ صوتنا إلى الأستاذ "حسن عزّ الدين الجمل" الذي يقترح تجديد تفسير هذه الكلمة بكونها « جنين يعلق بجدار الرحم وكأّنه علق أو دود»³ بدل «الدم الجامد الغليظ»⁴

6- قرار:

وُظِّفَت هذه المفردة في النص القرآني تسع مرات، نكرة في بعض المواضع ومعرفة في أخرى، ولم يقتصر توظيفها في موضوع خلق الإنسان، إذ يصف بها الخطاب القرآني الآخرة، يقول تعالى: ﴿يَقَوْمٍ إِنَّمَا هَٰئِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ

(1) جونسون وآخران، وصف التخلق البشري، مرجع سابق، ص33.

(2) المصدر: المرجع نفسه، ص35.

(3) الجمل، مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، مصدر سابق، مج1، ص08.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٦٠﴾¹ ، وحينما تُوصف بها الأرض، يقول عز وجل: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾²

وفي موضوع خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وردت هذه المادة المعجمية مرتين بهذه الصيغة أي المصدر، وذلك في قوله عز وجل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾³ و﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾⁴ ومرة واحدة بصيغة المضارع ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا دَشَاءٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ^٥ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَّقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^٦ ، ومرة بصيغة المصدر الميمي^٦ في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾⁷

(1) سورة غافر، الآية:39.

(2) سورة النمل، الآية:61.

(3) سورة المؤمنون، الآية:13.

(4) سورة المرسلات، الآية:21.

(5) سورة الحج، الآية:05.

(6) قرأها الجمهور بفتح القاف على أساس أنها مصدر ميمي، وقرأها بعض العلماء كـ"ابن كثير" بكسر القاف

على أساس أنها اسم فاعل.

(7) سورة الأنعام، الآية:98.

أما مفردة (القرار) فلعلَّ القارئ الكريم يلاحظ أنها موصوفة بصفة (مكين) وهذا له دلالة تُبينها فيما بعد، وأمّا اختيار المضارع في قوله ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ «لما لها من دلالة على الاستمرار والتواصل، فعملية التناسل والخلق وتكوّن الأجنّة قائمة مستمرة إلى ما شاء الله، وهذه القدرة المطلقة المستمرة، يناسبها التعبير بصيغة المضارع دون غيرها، كما أنّها تتواصل وتتناغم مع الأفعال الواردة في النص السابق لها، مثل (النبين) واللاحق مثل (نشأ، نخرجكم)»¹

وآثر الخطاب القرآني (مستقرّ) في ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ لأنّ «الوصف بالمصدر للمبالغة في الحاصل به، أي فتفرّع عن إنشائكم استقرار واستيداع لكم»²

ومع إجماع المفسّرين على أنّ المستقرّ والمستودع متقابلان إلا أنّهم اختلفوا في دلالتهما، فمنهم من رأى أنّ المستقرّ كينونة الإنسان فوق الأرض أما المستودع ففي القبر كابن مسعود ومن تبعه في الرأي، ومنهم من ذهب إلى أنّ المستقرّ في رحم المرأة والمستودع في صُلب الرجل كابن عباس ومن رأى رأيه، يجمع ذلك "الطبري" في نظرة محتوية لكل هذه المعاني، إذ يقول: «ولا شك أنّ من بني آدم مستقرا في الرحم، ومستودعا في الصلب، ومنهم من هو مستقرّ على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر، مستودع على ظهر الأرض. فكل (مستقر) أو (مستودع) بمعنى من هذه المعاني، فداخل في عموم قوله ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ومراد به، إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنّه معنيٌّ به معنى دون

(1) شكري (حنان)، قراءة نصية أسلوبية للآيات الكونية في القرآن الكريم، الأرض ومفرداتها نموذجاً، مرجع

سابق، ص 105.

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 7، ص 396.

معنى، وخاص دون عام»¹. لكنّ السؤال المطروح لماذا يعدل الخطاب القرآني عن توظيف (الرحم) أو (الأرحام) وقد وظّف المفردتين في مواضع أخرى² إلى توظيف القرار مع وصفه بالمكانة. للإجابة عن ذلك لنتعرّف أولاً على دلالة (القرار) معجمياً.

التحليل المعجمي لمفردة (قرار):

(قرار) من المادة اللغوية (قرر)، وقد ورد في (العين) أن «القرّ: البرد، وليلة قرّة ويوم قرّ وطعام قارّ... والقرّة: كلّ شيء قرّت به عينك، وقرّت العين قرّاً قرّة نقيض سَخَنَ. والقرار: المُستقرّ من الأرض. وأقرّزته في مقرّه ليقرّ، وفلان قارّ أي ساكن. وما يتقارّ في مكانه وقرّ أي ما يستقرّ. والإقرار: الاعتراف بالشيء. والقرارة: القاع المستدير... وقول الله ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي ما وُلد من الخلق على ظهر الأرض والمستودع: ما في الأرحام... وفي حديث ابن مسعود (قاروا الصلاة). ويوم القرّ اليوم الثاني من النحر، يقرّ الناس فيه بمئى»³

وجمع " ابن فارس " دلالات هذه المادة المعجمية في أصلين صحيحين « يدل أحدهما على برد والآخر على تمكّن. فالأول القرّ، وهو البرد. ويوم قارّ وقرّ، قال امرؤ القيس:

(1) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج3، ص311.

(2) وردت بصيغة (رُحْمًا) في سورة الكهف، الآية:81. وبصيغة الجمع في: آل عمران/06. النساء/01. الأنعام/143 و144. الأنفال/75. الرعد/08. الحج/05. لقمان/34. الأحزاب/06. محمد/22. الممتحنة/03. البقرة/228. والقرار المكين وصف للرحم وهي ما نتحدّث عنه في هذه الجزئية واسمها أصل لغوي يدل على (الرقة والعطف والرأفة) كما يرى "ابن فارس" بل أشنق اسم هذا العضو من اسم الله الرحمن الرحيم تعظيماً من الله لصلة الرحم ورد عن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «قال الله: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشقت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بنته.

(3) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج3، ص374-375. (مادة: قرر).

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا تحرق الأرضُ واليومُ قرٌّ¹

والقرّة: قرّة الحمى حين يجد لها فترة... وقولهم: أقرّ الله عينه، زعم قومٌ أنّه من هذا الباب، وأنّ للسُّرور دمة باردة، وللغمّ دمة حارة، ولذلك يُقال لمن يُدعى عليه: أسخن الله عينه. والقُرور: الماء البارد يُعْتَسَل به. والأصل الآخر التَمَكُّن، يقال قرٌّ واستقرّ. ومن الباب: صَبَّ الماء في الشيء... وصَبَّ الكلام في الأذن... والقرقر: القاع الأملس. ومنه القرارة: ما يلتزق بأسفل القدر كأنه استقرّ في القدر. ومن الباب - وهو قياس صحيح - الإقرار: ضدّ الجحود، وذلك أنّه إذا أقرّ بحق فقد أقرّه قراره. وقال قوم في الدعاء: أقرّ الله عينه: أي أعطاه حتى تقرّ عينه فلا تطمح إلى من هو فوقه...² إذا «القرار في المكان: الاستقرار فيه... وأقرّه في مكانه فاستقرّ... وأقرّت الناقة، إذا ثبت حملها... وفلان ما يتقار في مكانه، أي ما يستقرّ. واقتّر ماء الفحل في الرحم، أي استقرّ»³. والقرار «مُسْتَقَرُّ الماء في الروضة/ بطون الأرض التي يستقرّ الماء فيها، وبتاء: كل مطمئن مستدير.. اندفع إليه الماء فاستقرّ فيه» ولذلك دلّ معناه المحوري على] ثبات ما شأنه التسيب وامتساكه في قاع عميق مستدير»⁴. إنّ الذي ساعد على أداء دلالة الثبات في قاع أو سطح أو بطن هو قوة صوت القاف الشديد الانفجاري الذي يتمييز بالاستعلاء والقفلة، مما جعله «يجمع بين أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة»⁵، وجهر صوت الراء الذي يليه

(1) القيس، ديوان امرئ القيس، مصدر سابق، ص 68.

(2) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج 5، ص 08، (مادة قر).

(3) الجوهري (اسماعيل بن حماد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1979، ط 2، ج 6، ص 790-791.

(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 1754.

(5) عباس (حسن)، خصائص الحروف العربية، مرجع سابق، ص 144.

وإن كان متوسطا ذلقا، ثم أضاف الخطاب قوّة على دلالة هذه الوحدة المعجمية بأخرى وهي (مكين) وهي صيغة مبالغة على وزن (فعليل) من الجذر اللغوي (مكن) التي تدل على «الرسوخ والثبات والثقل اللازم لتجمّع أشياء راسخة في الباطن، ومنه (المكانة) وقوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ القرار مكان الاستقرار والمراد الرحم. والمكين المتمكّن، وُصِفَ القرار به لتمكّنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال، أو لتمكّن من يحلّ فيه»¹. أما دلالة اجتماع (الميم والكاف) فهي «جذب المائع أو ما يشبهه أو أخذه إلى الجوف بقوة وتمكّن»². ففي اجتماع هذين الأصلين - القرار والمكين - شدة القوّة والثبات.

التحليل الدلالي لمفردة (قرار) عند المفسرين:

أجمع المفسرون في تفسير (قرار مكين) على دلالاته على الرحم، وإنما كُتِيَ عليه بذلك لأنّه «مكان حريز»³ و«مانع من الأشياء المفسدة»⁴ و«هَيئ له [للجنين] ليستقرّ فيه إلى

بلوغ أمره»⁵ و«تمكّنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال»⁶. ويرى " الطاهر بن عاشور " أنّ « المكين الثابت في المكان بحيث لا يقلع من مكانه، فمقتضى الظاهر

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص2104.

(2) المرجع نفسه، ص2105.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج21، ص504. وانظر أيضا: الثعلبي، الكشف والبيان،

ج4، ص320. والزمخشري، الكشاف، ج18، ص704.

(4) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج13، ص115.

(5) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص353.

(6) الأندلسي (أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي)، البحر المحيط في التفسير، بعناية: محمد صدقي جميل،

دار الفكر، بيروت - لبنان، 2005، (د.ط.)، ج7، ص551.

أن يُوصَفَ بالمكين الشيء الحالُّ في المكان الثابت فيه. وقد وقع هنا وصفاً لنفس المكان الذي استقرَّت فيه النطفة على طريقة المجاز العقلي للمبالغة، وحقيقته مكين حالُّه»¹، وإن كُنَّا نرى أنَّ وصف مكين ليس للجنين الحالِّ بالرحم ولكن للرحم نفسه، والآية واضحة لا تحتاج إلى تأويل وليست من باب المجاز حتى أنَّ جل التفاسير السابقة لم تُشير إلى ذلك. والتحليل العلمي يثبت دلالة التركيب العلمية البعيدة عن المجاز. إذًا ما وصف به الخطاب القرآني الرحم هو أنه مكين ثابت قوي، فهل يثبت التحليل العلمي ذلك ويؤيِّده؟

التحليل العلمي لمفهوم (قرار):

يصف العلماء رحم المرأة بأنه الملاذ الآمن للجنين لعدَّة خصائص تشريحية وميكانيكية وهرمونية، تجعل الآية الأنفة دالة على علاقته بين الجنين والرحم، تشير إليها كلمة (قرار)، فالرحم (مكان لاستقرار الجنين)، أما مكين فهي تشير إلى العلاقة بين الرحم وجسم الأم للدلالة على القوة والمتانة»². نحاول أن نفصل هذا بتبيين الخصائص المذكورة وتفصيلها.

فتشريحياً الرحم «عضو مجوّف له جدار مكوّن من عضلات متينة، ولا يزيد حجمه عن خمسين سنتمترًا مكعباً»³ فمن الزاوية التشريحية يتحقق القرار والتمكين بثلاثة أشياء؛ بنية الرحم والأربطة والجدار العظمي الذي يحيط به.

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج18، ص23.

(2) مارشال وآخران، وصف التخلّق البشري، مرجع سابق، ص24. (بتصرّف يسير)

(3) يحيى، معجزة خلق الإنسان، مرجع سابق، ص87.

ويقع هذا العضو - أي الرحم- « في الحوض بين المثانة من الأمام والمستقيم من الخلف، ويتألف من ثلاثة أقسام تشريحية، هي الجسم والعنق والمنطقة الواصلة بينهما وتُسمى المضيق»¹

و« يحيط بالرحم جدار عظمي قوي جدا، يُسمى الحوض، ويتألف الحوض من مجموعة عظام سميكة هي العجز والعصعص من الخلف، والعظمين الحرقفين من الجانبين ويمتدان ليلتحمما في الأمام على شكل عظم العانة، هذا البناء العظمي المتين لا يقوم بحماية الرحم من الرضوض والضغوط الخارجية من الجوانب كافة فحسب، وإنما يطلب منه أن يكون ببناء وترتيب تشريحي يرضى عنه الجنين، بحيث يكون ملائما لنموه متناسبا مع حجمه وشكله، وأن يسمح له عندما يكتمل نموه ويكبر آلاف المرات بالخروج والمرور عبر فتحته السفلية إلى عالم النور وبشكل سهل»²

أما الأربطة الرحمية ف« تمتد من أجزاء الرحم المختلفة لترتبط بعظام الحوض أو جدار البطن، تقوم بحمل الرحم، وتحافظ على وضعيته الخاصة الملائمة للحمل والوضع، حيث يكون كهرم مقلوب، قاعدته في الأعلى وقمته في الأسفل، وبينثني جسمه على عنقه بزاوية خفيفة إلى الأمام، كما تمنع الرحم من الانقلاب إلى الخلف أو الأمام ومن الهبوط إلى الأسفل بعد أن يزداد وزنه آلاف المرات. هذه الأربطة هي: الرباطان المدوّران، والرباطان العريضان، وأربطة العنق الأمامية والخلفية، ولندرك أهمية هذه الأربطة يكفي أن نعلم أنها تحمل الرحم التي يزداد وزنها من (50) غ قبل الحمل إلى (5325) غ مع ما تحويه من محصول الحمل»³

(1) اللوح، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 186-187.

(2) دياب وقرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 89.

(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ضِفْ إلى كل ذلك أنّ الرحم أي هذا القرار يتكوّن من ثلاث طبقات «خارجية من البريتون وداخلية تكوّن غشاء الرحم، وبينهما الطبقة العضلية التخينة والمكوّنة ذاتها من ثلاث طبقات من العضلات»¹

أما ميكانيكيا فبعد الشهر الثالث يبدأ الرحم بالارتفاع بشكل واضح إلى البطن، هنا يتدخّل عامل آخر للحماية، إنّه «السائل الأمنيوسي، الذي يفرزه الغشاء الأمنيوسي، هذا السائل يحيط بالجنين من كل الجهات. وتزداد كميته بشكل واضح حتى تصبح حوالي (1000) سم³ في الشهر السادس، ثم تميل إلى النقصان تدريجيا، وتقدر وسطيا بـ (500 - 600) سم³ في نهاية الحمل، هذا السائل يقوم إضافة لوظائفه الكثيرة بوظيفة هامة، هي حماية الجنين من الصدمات الخارجية، حيث يمتص قوة الصدمات بتوزيعها على سطح أوسع، كما يشارك في حماية جدار البطن والأغشية الثلاثة، وجدار الرحم ذاته»². كلّ هذه الصفات تجعل الرحم « أقوى عضلة عند المرأة على الإطلاق»³

وأما هرمونيا فإنّ الرحم « يستقر نتيجة إفراز هرمون الحمل البروجسترون، إذ أنّ هذا الهرمون يجعل انقباضات الرحم بطيئة ومنتدة»⁴، يؤدي هذا الهرمون دوره بمعية « المنميات التناسلية (Gonadotrophin)، وهرمون الجريبين (Ostrogen)»⁵

فتأمل إذا كيف تكتنز كلمتا (القرار) و(المكين)، هذه المفاهيم العلمية دون تقصير في الدلالات ودون زيادة وحشو أو خلل في المعنى.

(1) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، مرجع سابق، ص 56.

(2) المرجع السابق، ص 91.

(3) بقاق، اختر جنس مولودك من النطفة، مرجع سابق، ص 133.

(4) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، مرجع سابق، ص 56.

(5) دياب وقرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 90.

7- المضغة:

ورد ذكر (المضغة) في النص القرآني ثلاث مرات في موضعين؛ الأول قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ¹ والثاني ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا²

التحليل المعجمي لمفردة (المضغة):

أصل هذه الوحدة اللغوية واحد ألا وهو (مضغ) ويعني «المضغ للطعام»³، يقول الخليل: «المضاغ: كل ما يُمضغ. والمضاعة ما يبقى في الفم مما تمضغه. والمضغة: قطعة لحم. وقلب الإنسان مضغة من جسده. والمضغة: كل لحم يُخلق من علقة...»⁴

وجاء في (الصاح): «مَضَغَ الطَّعَامَ يَمَضُغُهُ وَيَمَضُغُهُ مَضُغًا. والماضغان: أصول اللحيين عند منبت الأضراس»⁵. لعلك ترى أنّ هذه الوحدة المعجمية تدل على «انضغاط النسيج اللحمي بعضه في بعض فيشتد كمضيغة القوس تكون لينة عند شدّها على طرف القوس، ثم تجفّ فتبلغ غاية المتانة. ومن ذلك المضغة التي يُخلق منها الإنسان بعد أن تتحوّل من مضغة إلى عظم، ومنه إطلاق المضغة على

(1) سورة الحج، الآية: 05.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 14.

(3) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج5، ص330، (مادة: مضغ).

(4) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج4، ص149.

(5) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، ج4، ص1326. (مادة مضغ).

القلب واللسان فهي تسمية بالمادة. ومن هذا الأصل المَضغ: لَوْكُ الطعام، ويتمّ بضغته شديدا...»¹

والمُلاحَظ هنا التركيز في دلالة هذه المفردة على كون المُضغَة قطعة من اللحم تتعرّض لانضغاط شديد في نسيجها اللحمي، وهو ما دلّت عليه المعاجم باللّوك. لكن هناك جزئية لم تُذكر تشكّل هي الأخرى الدلالة المعجمية لهذه المفردة وهي صِغَرُ حجم المادة الممضوغة، يقول « خالد بن جنبة: المُضغَة من اللّحم قدر ما يُلقَى الإنسان في فيه»² والدليل على ذلك دلالة هذه الكلمة على صِغَارِ الأمور، يقول " الخليل: « والمُضغ من الأمور صِغَارُها»³ ، كما أنّ بنيتها الصرفية (فُعْلَة) تدل على القلّة، ألا ترى أنّ (جُرْعَة) الماء: حُسوة منه ملء الفم، وجرعة الدواء: مقدار قليل منه. وكذلك النُطفة فهي الماء القليل. والنُطْلَة: الجرعة، والشئ اليسير.

على هذه الخلفية تتأسس الدلالة الأساسية لهذه الوحدة على كونها قطعة لحم صغيرة على قدر ما يُوضَع في الفم أو يُمضَغ متعرضة لانضغاط، ولهذا قال "ابن منظور": « والمُضغ جمع مُضغَة، وهي القطعة من اللحم قَدْر ما يُمضَغ، وسماها مُضغًا على التشبيه بمُضغَة الإنسان في خلقه، يذهب بذلك إلى تصغيرها وتقليلها...»⁴

-
- (1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 2089-2090، (مادة مضغ).
 (2) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 6، ص 4222. (مادة مضغ).
 (3) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج 4، ص 149. وانظر أيضا: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 488.
 (4) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 6، ص 4222. (مادة مضغ).

التحليل الدلالي لمفردة (المضغة) عند المفسرين:

انطلق المفسرون في تفسير هذه المفردة من دلالتها المعجمية، فلم يزد تفسيرهم - وبإجماع - عن « لحمة صغيرة قدر ما يُمضَغ »¹ . ويضيف " الطاهر بن عاشور " « وهو بوزن فُعْلَة بمعنى مفعولة بتأويل: مقدار ممضوغة »²

التحليل العلمي لمفهوم (المضغة):

هذه المفردة تصف الجنين وهو في الطور الثاني من مرحلة التخليق ألا وهو طور المضغة الذي يلي العلقة، ويسبق طور العظام واللحم، وكما آنفنا الذكر فمرحلة التخليق تُعرَف بتسارع تطور الجنين وتكاثر خلاياه، وهو السبب في توظيف حرف العطف (الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب. والتغيرات سريعة جدا تحدث على مدار كل يوم. (انظر الجدول 2)

تصف هذه المفردة إذا الجنين بداية من اليوم الواحد والعشرين من الإخصاب، إذ تظهر بهذه الكتلة اللحمية « جملة شقوق تقسمها إلى قطاعات تسمى الكتل البدنية وتتوالى الكتل البدنية (Somites) في الظهر على كل جانب من محور الجنين حتى ليبلغ عددها عند اكتمالها 42 إلى 45 كتلة على كل جانب؛ من القمة إلى المؤخرة. وتُعرَف الكتل الأربع الأولى العليا والتي في منطقة الرأس باسم الكتل المؤخرية (Occipital Somites) تليها 8 عنقية (Cervical) تليها 12

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج23، ص09. وانظر أيضا: البقاعي، نظم الدرر، ج13، ص09. نظر أيضا: الثعلبي، الكشف والبيان، ج4، ص284. والزمخشري، الكشاف، ص690. وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1300. والشوكاني، فتح القدير، ص953.

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، ص197.

صدرية (Thoracic) تليها 5 قطنية (Lumbra) تليها 5 عجزية (Sacral) تليها 8 إلى 10 عصصية (Coccygeal)»¹. ويلخّص الجدول التالي تطورات المضغة:

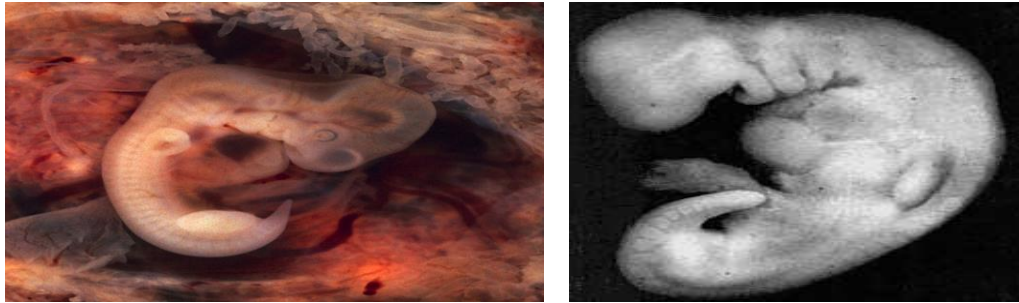
العمر بالأيام	عدد الفلقات	الطول (ملم)	الخواص الرئيسية
21-20	3-1	3.0-1.5	ظهور شق عصبي عميق والفلقات الأول، وضوح ثنية الرأس.
23-22	12-4	3.5-2.0	الجنين مستقيم أو ذو انحناء بسيط، ويكون الأنبوب العصبي في طريقه إلى التكون أو تكون فعلاً مقابل الفلقات ولكنه يكون مفتوحاً بصورة كبيرة عند المسام العصبية المتقاربة والذيلية.
25-24	20-13	4.5-2.5	يكون الجنين منحنى الشكل بسبب ثنيتي الرأس والذيل، وتبدأ المسامة العصبية المتقاربة في الإنغلاق، ويظهر قرص الاذن . وتتكون الحويصلة البصرية.
27-26	29-21	5.0-3.0	ظهور براعم الطرفين العلويين، بدء انغلاق المسامة العصبية الذيلية أو انغلاقها، ظهور ثلاثة أزواج من الأقواس الخيشومية إمكانية، تمييز بروز القلب، ظهور فتحتي الأذنين
30-28	35-30	6.0-4.0	يكون شكل الجنين على هذا النحو C ويكون برعما الطرفين العلويين على شكل زعنفة، وتظهر أربعة أزواج من الأقواس الخيشومية، ويظهر برعما الطرفين السفليين، وتظهر حويصلتا الأذنين، ويمكن تمييز قرصي عدستي العينين، ويظهر ذيل رقيق.
32-31	/	7.0-5.0	يتخذ الطرفان العلويان شكل المجذاف، وتظهر فتحتا العدستين والأنف مع ظهور قرصي العينين.
36-33	/	9.0-7.0	تكون صفحتي اليدين، ظهور حويصلي عدستي العينين، بروز فتحتي الأنف، الطرفان السفليان على شكل مجذاف. ظهور جيب عنقي.
40-37	/	11-8.0	تكون صفحتا القدمين. ظهور الصباغ في الشبكية، نمو بروزتي الأذنين.
43-41	/	14.0-11.0	ظهور أطراف الأصابع. نمو بروزتي الأذنين بشكل يحدد ملامح صيوان الأذن، بدء استقامة الجذع. بروز الحويصلات المخية.

(جدول 3 يوضّح التحول السريع للجنين في طور المضغة)²

(1) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، مرجع سابق، ص 247.

(2) مارشال وآخران، وصف التخلّق البشري، مرجع سابق، ص 33.

ظهور الفلقات في قطعة اللحم هذه « يعطي مظهرًا يشبه مظهر طبع الأسنان في المادة الممضوغة، وتبدو أنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان في شكل مادةٍ مُمضغ، وكما أنّ المادة التي تلوكها الأسنان يحدث بها تغضن وانتفاخات وتثنيات فإنّ ذلك يحدث للجنين تماما، إذ تتغير أوضاع الجنين نتيجة تحولات في مركز ثقله مع تكوّن أنسجة جديدة، ويشبه ذلك تغير وضع وشكل المادة حينما تلوكها الأسنان، وكما تستدير المادة الممضوغة قبل أن تُبلع، فإنّ ظهر الجنين ينحني ويصبح مقوّسا شبه مستدير مثل حرف (C) ويكون طول الجنين حوالي (1سم) في نهاية هذه المرحلة، وذلك مطابق للوجه الثاني من معاني كلمة مضغة وهو (الشيء الصغير من المادة) وهذا ينطبق على حجم الجنين الصغير، لأنّ جميع أجهزة الإنسان تتخلق في مرحلة المضغة ولكن في صورة برعم»¹ (انظر الشكل 8)



(الشكل 8: يمثل المضغة)²

إذا هكذا تُسهم الدلالة المعجمية والبنية الصرفية لمفردة (المضغة) وهو بناؤها على وزن (فُعْلَة) في تحقيق المفهوم العلمي لهذه الكلمة.

(1) جونسون وآخران، وصف التخلق البشري، مرجع سابق، ص 34.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8- مني:

وردت هذه المفردة في ثلاث مواضع في النص القرآني، يقول تعالى: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ

إِذَا تُمْنِي ۝¹ وَأَفْرَاءٍ يُمَّ مَا تُمْنُونَ ۝² وَالْمَايَكُ نُطْفَةٌ مِّن مَّيِّ يُمْنِي ۝³

والملاحظ أنّ الحديث عن خلق الإنسان في هذه المواضع الثلاث كان سريعاً موجزاً لم تُذكر فيه مراحل الخلق التفصيلية كما وجدنا في المواضع السابقة، فأكتفي بالإجمال بدل التفصيل، فاستوجب ذلك ذكراً ماهو عام ألا وهو المنى.

التحليل المعجمي لمفردة (منى):

المنى من الجذر اللغوي (منى) وقد اختلف اللغويون في التعامل معه، فجلّهم يرى أنّه يحمل دلالة التقدير، إذ « يدلّ على تقدير شيء ونفاد القضاء به. منه قولهم: منى له الماني، أي قدر المقدّر... والمنى: القدر... وماء الإنسان منى، أي يُقدّر منه خِلقته. والمنية الموت لأنها مُقدّرة على كل...»⁴

والأصحّ أنّه أصلان؛ أحدهما قدر كما رأينا، والثاني: أراق، لهذا سُميت (منى) بذلك « لما يُمنى فيها من الدماء أي يُراق»⁵ ، والدليل قوله تعالى: ﴿أَفْرَاءٍ يُمَّ مَا تُمْنُونَ ۝^{٥٨}﴾ فلا يمكن أن يكون بمعنى أفرأيتم ما تقدرون بل « ما تصبّونه من المنى في أرحام النساء»⁶ ، وهذا المعنى هو الذي ارتكز عليه المفسّرون في تفسير الآيات التي سبق ذكرها.

(1) سورة النجم، الآية: 46.

(2) سورة الواقعة، الآية: 58.

(3) سورة القيامة، الآية: 37.

(4) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج5، ص276. (مادة: منى)

(5) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص4283. (مادة: منى)

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج20، ص207.

التحليل الدلالي لمفردة (مني) عند المفسرين:

إِذَا كَمَا أَشْرْنَا أَنفَا فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ بالماء الذي يُدْفَقُ، «وَفَسَّرُوهُ بِمَعْنَى تُقَدِّفُ أَيْضًا. وَقِيلَ بِمَعْنَى تُرَاقُ»¹. وقال "القرطبي": «وَالنُّطْفَةُ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ... وَتُمْنَى: تُصَبُّ فِي الرَّحْمِ وَتُرَاقُ»²

التحليل العلمي لمفهوم (المني):

المني مفردة أعمّ من النطفة، ذاك أنّها تُطَلَّقُ «على الإفرازات التناسلية للرجل والتي تفرزها الخصية والبروستاتا والحويصلة المنوية. والمني مكوّن من شقين: الأول هو الحيوانات المنوية التي تتكوّن من القنوات المنوية في الخصية. وهي ذاتها المُسمّاة بالنطفة. والثاني: هو السائل المنوي الذي يحمل هذه الحيوانات ويغذيها والتي تسبح فيه حتى تصل إلى الرحم»³. وللمزيد من التفصيل راجع جزئية الماء الدافق. هكذا إذا يتبيّن الفرق بين المني والنطفة، فالعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل.

9- النطفة:

وظّف الخطاب القرآني هذه المفردة في اثني عشر (12) موضعا، كلّها في قضية خلق الإنسان، وهذه المواضع هي على الترتيب: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾⁴ و﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾⁵ و﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج27، ص146.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج20، ص60.

(3) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، مرجع سابق، ص110.

(4) سورة النحل، الآية:04.

(5) سورة الكهف، الآية:37.

١ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾² و﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾³ و﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾⁴ و﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾⁵ و﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾⁶ و﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾⁷ و﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى﴾⁸ و﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁹ و﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾¹⁰ ، وهي سور مكية بلا خلاف إذا استثنينا سورة الإنسان، ففيها خلاف، وسورة الحج ففيها المكي والمدني على حد قول العلماء. واللافت للانتباه هو ورود مفردة (نطفة) نكرة في كل المواضع ما عدا الآية الرابعة عشرة من سورة المؤمنین بحكم ذكرها نكرة في الآية التي تسبقها فأصبحت في حكم المعرف. أما اختيار التكرير فللدلالة على أن الإنسان خلق من نطفة أي قطرة ماء لا تكاد تُرى بالعين تعبيراً عن الضعف وعن كون خلقه من أهون الأمور على الله عز وجل ثم تجده بعد تمام خلقه يحتاج الخالق بغير علم،

(1) سورة الحج، الآية:05.

(2) سورة المؤمنون، الآية:13.

(3) سورة المؤمنون، الآية:14.

(4) سورة فاطر، الآية:11.

(5) سورة يس، الآية:77.

(6) سورة غافر، الآية:67.

(7) سورة النجم، الآية:46.

(8) سورة القيامة، الآية:37.

(9) سورة الإنسان، الآية:02.

(10) سورة عبس، الآية:19.

ويُجادل كفراً وطُغياناً وكأنّه يملك القوة كلها. يعبر القرآن عن ذلك صراحة حين يقول: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾^(١) و﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾^(٢) و﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٣) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^(٤) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ^(٥).

ولعل ذلك يتناسب مع الخطاب المكي الشديد الذي يرتكز على التقريع والرد القوي على مجادلة المشركين والكفار، هؤلاء وغيرهم ممن مثلوا الإنسان الضعيف الذي كان قطرة ماء و«جمادا لا حس ولا حركة»² فإذا به جاحد متعالٍ «منطيق مُجادل عن نفسه، منازع للخصوم»³. يقول "سيد قطب": «ويا لها من نقلة ضخمة بين المبدأ والمصير. بين النطفة الساذجة والإنسان المخاصم المُجادل الذي يُخاصم خالقه فيكفر به ويُجادل في وجوده أو في وحدانيته. وليس بين مبدئه من نطفة وصيرورته إلى الجدل والخصومة فارق ولا مهلة. فهكذا يُصوّره التعبير ويختصر المسافة بين المبدأ والمصير، لتبدو المفارقة كاملة والنقطة بعيدة، ويقف الإنسان بين مشهدين وعهدين متواجهين؛ مشهد النطفة المهينة الساذجة، ومشهد الإنسان الخصيم المبين.. وهو إيجاز مقصود»⁴

(1) سورة عبس، الآية: 17-18-19.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج19، ص231.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج4، ج14، ص2160.

التحليل المعجمي لمفردة (النطفة)

يؤصل "ابن فارس" دلالة (نطفة) فيقول: «النون والطاء والفاء أصلان أحدهما جنس من الحلي، والآخر نُدُوَّةٌ وبلل، ثم يُستعار ويُتوسَّع فيه»¹

ففي الأصل الثاني نجد من معاني النطفة «الماء الصافي، وليلة نطُوف: مطرت حتى الصباح. والنطاف: العرق»²

وفي (الصحاح) «النطفة: الماء الصافي، قلّ أو كثر. والجمع النطاف. والنطفة: ماء الرجل، والجمع نطفٌ... ونطفان الماء: سيلانه»³. وعلى الرغم من أنّ النطفة تُطلق على الماء عامة كثيرا كان أو قليلا إلا أنّها «بالقليل أخص»⁴، ذاك أنّها «القليل من الماء يبقى في القرية، وقيل هي كالجرعة، وقيل الماء القليل يبقى في الدلو... وبه سُمي المني نطفة لقلته... والنطف: القطر»⁵

فلعلك ترى أنّ النطفة هي الماء، وهي إلى القليل أقرب من الكثير بهذه الدلالات التي ذكرناها وبدلالة القرآن الذي خصصها بالقليل فقط، وهو ماء الرجل.

التحليل الدلالي لمفردة (النطفة) عند المفسرين:

اتفق المفسرون على أنّ النطفة هي الماء المهين الذي خُلق منه الإنسان، يقول "الطبري": «خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خلقا عجيبا»⁶، وبهذه العبارة أيضا فسره "البقاعي"⁷.

(1) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج5، ص440. (مادة نطف).

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج4، ص1434. (مادة نطف).

(4) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج12، ص505. (مادة نطف).

(5) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص4461-4462. (مادة نطف).

(6) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج4، ص501.

(7) انظر: البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج11، ص107.

وأطلق العلماء على هذا الماء ما أسماه به القرآن الكريم في مواضع أخرى (المني)، يقول " الطاهر بن عاشور": « والنطفة: اسم مني الرجل، وهو بوزن فُعْلَة بمعنى مفعول أي منطوف»¹. لكننا نرى أنّ النطفة ليست بمعنى منطوف، لكن هذا الوزن دال على القلّة والصغر كما أسلفنا الذكر.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى نقطة مهمّة وهي أنّ المفسرين في تفسيرهم للنطفة والمني أطلقوا الخاص على العام، فالمني أعمّ من النطفة بشهادة الأطباء والعلماء، شرحنا ذلك في جزئية الماء الدافق والمني، وسنتمّ ذلك في الجزئية التالية.

التحليل العلمي لمفهوم (النطفة):

النطفة لفظ جامع يُطلق على ماء الرجل والمرأة أي: (الحوين المنوي) الذي تفرزه خصية الرجل و(البويضة) التي يُفرزها المبيض عند المرأة وعلى (النطفة الأمشاج) أو البويضة الملقحة. ولهذا تُطلق على المرحلة الأولى من خلق الإنسان التي « تبدأ من التقاء ماءي الرجل والمرأة، ويُلاحظ في أول التكوين اندغام* الجينات الذكرية والأنثوية، كما يلاحظ اختلاط الماء أيضا»². وكما أوردنا سابقا فهذه المرحلة تضمّ أطوارا مبدوءة بالماء الدافق ثمّ السلالة ثمّ النطفة الأمشاج ثمّ الحرث. فانظر كلّ واحدة في موضعها.

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج17، ص197. وانظر أيضا: الشوكاني، فتح القدير، ص772. والزمخشري، الكشاف، ص567.

(* انطلق الكاتب من مصطلح (الإدغام) وهو إدخال الحرف في الحرف، وشبهه تداخل ماء الرجل والمرأة والجينات بذلك لكنّ صيغة المصدر خاطئة، لأنّه لا وجود لصيغة اندغام.

(2) جونسون وآخران، وصف التخلق البشري، مرجع سابق، ص62.

المتأمل لهذه المفردات والمنتدبّر في دلالاتها المعجمية ومفاهيمها العلمية يدرك أمرين: الأول هو دقة المفردة القرآنية في التعبير عن آخر المفاهيم في علم الأجنّة وبالضبط في تخلّق الجنين، تكون الدلالة المعجمية هي الفاعل الأساسي في ذلك وتتضافر معها الدلالات الأخرى كالصرفية، فصيغة الجمع في (الأمشاج) أسهمت في إظهار انقسام النطفة إلى خلايا متعدّدة والتي يكون عددها اثنان ثم أربعة ثم ثمانية واختلاط الحوامل الوراثية للأب مع الحوامل الوراثية للأم، وعددها الإجمالي أربعة وستون حاملا في اليوم السادس. وكذلك (دافق) التي تدلّ على الفاعلية أسهمت في تجسيد معنى الحركة الذاتية للنطاف التي شرحنا تفاصيله سابقا. كما دلّ وزن (فُعالة) على القلّة في السلالة... وتلعب البنية الصوتية دورا مهما في بيان ذلك فد(السلالة) تدلّ على الحوين المنوي الذي يقوم بإخصاب البيضة وهو كائن دقيق جدا يُستخّص من بين الملايين من النطاف، ذو شكل رقيق دقيق يتكوّن من رأس وجذع وذيل يسبح كالسمكة في المنى بشكل انسيابي لا يُشعر به أختير لها صوت السين بصفة الهمس والرخاوة والاستفالة يدل على الانسيابية والرفق والليونة، فمعروف أنّ صوته يوحى بإحساس بين النعومة والملاسة، وإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وإحساس سمعي هو أقرب للصفير، وليس في صوته ما يوحى بأيّ إحساس ذوقي أو شمّي أو مشاعر كسال وسار وسرى وساح... واللام صوت متوسط مائع من صفاته الاستفالة والذليّة، خفيف على اللسان، وهو صوت « يوحى بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق»

والأمر الثاني هو توظيف النص القرآني لمفردات/مصطلحات يستخدمها علم الأجنّة والطبّ حاليا وبهذا المفهوم الدقيق، يقول "عبد الحميد دياب": « إن الناظر

اليوم، في هذه الآيات البيّنات وهو يضع في جعبته حقائق القرن العشرين عن علم الأجنة Embryology يشعر بأن الله تبارك وتعالى إنما خصه هو بهذه الآيات، وإن كانت قد نزلت منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهى بها اليوم! فهذه الآيات تحوي على إيجازها أهم أطوار تخلق الجنين في بطن أمه وهي (النطفة، والعلقة، والمضغة، ومرحلة تخلق الأجهزة، ثم الخلق الآخر) هذه الأطوار التي استخدم لها القرآن ألفاظاً لم يستطع العلم الحديث إلا أن يستخدمها، وبذلك نجد أن الآيات القرآنية قد جاءت إضافة لإعجازها العلمي بإعجاز بلاغي فريد ومدهش»¹. ويقول عبد المجيد الزنداني «وهكذا قدم القرآن الكريم والسنة النبوية منذ أكثر من ألف عام مصطلحات تصف مراحل الجنين، وهي منطبقة تماماً مع قواعد تحديد المصطلحات في ضوء معارفنا المعاصرة وكل مرحلة قد قدم لها وصفاً دقيقاً يشمل المظهر الخارجي وأهم أحداث الخلق في تلك المرحلة. ونريد أن نوّكد أنه مع استمرار البحوث الحديثة في هذا الموضوع، يمكن أن تصبح المصطلحات القرآنية في الحقول العلمية أكثر ملاءمة من المصطلحات المستعملة حالياً، بحيث يستعملها العلماء والدارسون بدلاً للمصطلحات المعاصرة لاسيما وأن لها مزيتها البينة في إيضاح بداية ونهاية كل مصطلح وخلوها من الغموض أو الالتباس»²

(1) دياب وقرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 90.

(2) جونسون وآخران، وصف التخلق البشري، مرجع سابق، ص 26.

الفصل الثالث

التعالق في مفردات خلق الأرض
والجبال

توطئة:

ورد ذكر الأرض بكل صيغها الصرفية في القرآن الكريم في أربعمئة وواحد وستين موضعا¹ - وهو ليس بالرقم الهين - دلالة على خطورة التأمل في خلق الأرض وتثبيت مفهومها وموضوعها عامة في ذهن المتلقي وضرورة فهم أسرارها لإدراك قدرة الله وإعجازه في خلقه استدراجا للمشركين واستكمالاً لإيمان الموحدين. والله - عز وجل - يشير إليها كونها مكان العيش والاستقرار الذي مهده الله للإنسان وسخره له رحمةً به، يقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾² وكذلك ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾³ فلو تأملت صدر الآية وعجزها لوجدت أن تسخير الأرض بتمهيدها وتوفير النعم بها هي من رحمة الله ورأفته بهذا المخلوق. وقد توزع ورودها بين سور مكية ومدنية، وأكثرها في المكي⁴، والعلّة جلية وهي أنّ الخطاب المكي عقائدي قويّ يجابه كُفْرَ المشركين والكفار وجُحودهم بذكر آلاء الله، لتحديهم وإظهار ضعفهم وعجزهم من جهة، والدعوة إلى تأملها من جهة ثانية لعلهم يتراجعون عن جحودهم ويعودون إلى رُشدتهم فيُقرّون بوحدانية الله وربوبيته.

(1) أنظر: عبد الباقي (محمد فؤاد)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

(2) سورة البقرة، الآية 36.

(3) سورة الحج، الآية 65.

(4) وردت هذه المفردة في أكثر من ثلاثمئة آية مكية ومائة أخرى مدنية.

ولو تَنَبَّعَتْ مواضع هذه المفردة - أي الأرض - لوجدت أنها تدلّ على معانٍ جزئية متعدّدة لكنّ دائماً تحت ظل دلالتها المركزية العامة؛ كأنّ يُقصدَ بها موضعٌ خاص في كوكب الأرض مثل أرض مصر، أنظر قوله تعالى على لسان يوسف -عليه السلام- : ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾¹ ، وحيثما نجدها بمعنى أرض الجنة كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾^ط فَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾² . وأحياناً تُوظَّف دلالةً على كوكب الأرض كـلّه مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أفتَدَى بِمِءِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾³ . هذه بعض المعاني فقط وهي في مجملها تزيو على العشرين⁴ . والمتأمل لهذه الآيات التي وردت فيها هذه المفردة أو موضوع الأرض بشكل عام يجد أنها تتوزّع على محاور مهمة اكتتفت حقائق علمية نمثلها بهذا المخطط⁵:

(1) سورة يوسف، الآية 55-56.

(2) سورة الزمر، الآية 74.

(3) سورة آل عمران، الآية: 91.

(4) من هذه المعاني أيضاً: موضع أو بلد كمصر أو الشام أو مكة أو المدينة. والتربة. والقشرة الأرضية وصفائها. وكوكب الأرض. اليابسة مقابل الماء أو البحر. والمقابل للسماء. واليابسة التي نعيش فوقها. والمرعى. والحقول والبساتين... الخ.

(5) انظر: النجار (زغلول)، من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2005، ط1، ص 81-82-83. وانظر أيضاً: عبد الباقي (محمد فؤاد)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق.

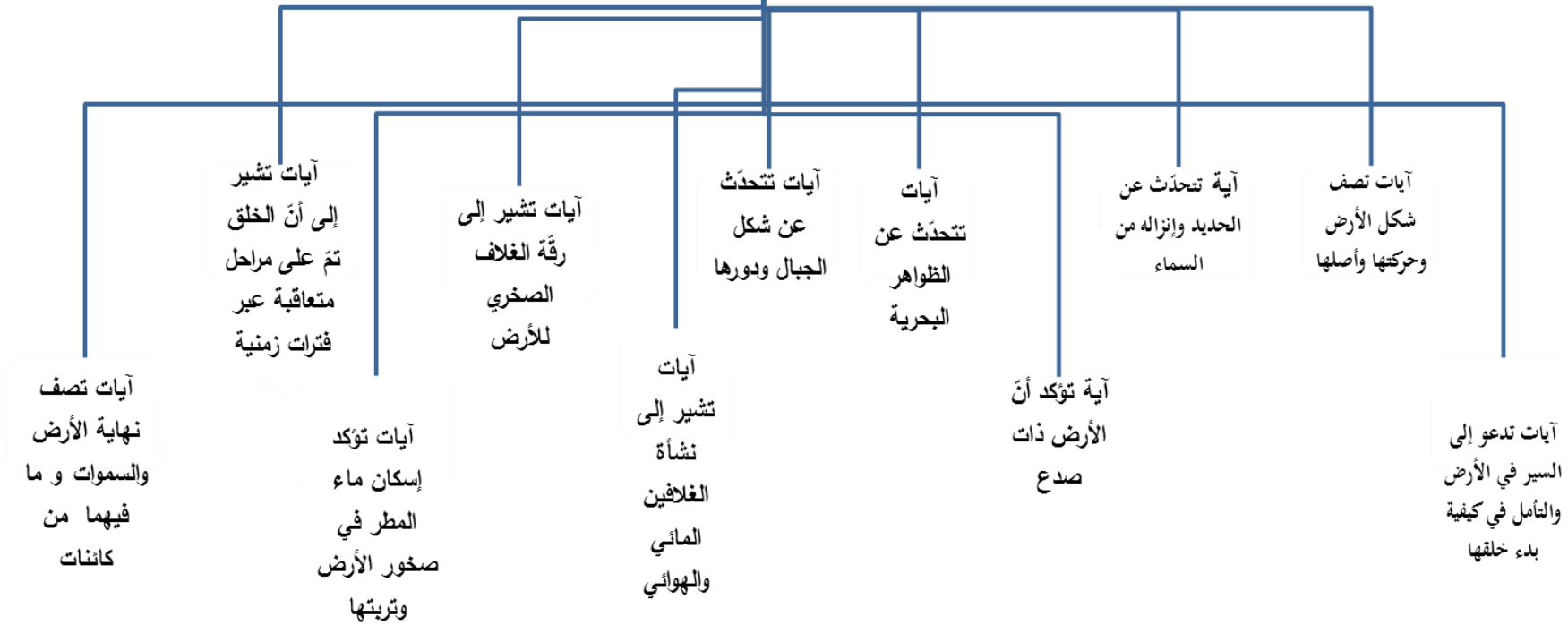
الآيات التي

موضوعها

الأرض تتوزع

بحسب

مضمونها إلى:



في موضوع خلق الأرض وتهيئتها والامتنان بما سُخِّرَ فيها للإنسان يلفت انتباهنا التوظيفُ الدقيق الصارم للألفاظ كما يحدث طبعا في كل مواضع النص القرآني ومواضيعه مما يهيئها لتحقيق ظاهرة التعالق موضوع دراستنا. وتتوزع هذه الوحدات اللغوية على المحاور الأحد عشر الممثلة في المخطط السابق، وبما أنها كثيرة وأشار إليها القرآن بشكل مكثف جدا ولم يفصلها حتى نتحقق من يقينية ما يتوافد علينا-على الأقل حاليا- من نظريات وأبحاث في بدء خلق الأرض وكيفيته ومراحله عبر الأزمنة السحيقة وكيفية نهايتها والكون كله، اخترنا ما يغطي أهم هذه المحاور ألا وهي إنزال الحديد وبأسه من خلال قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^ط وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ^ع إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ^١﴾. وسنُجلى ملامح التعالق بين مفردتي (أنزل) و(البأس) والمفاهيم العلمية في هذا الباب. وفي محور حركة الأرض وشكلها سندرس مفردتي (الدحو) و(الصدع) في قوله عز وجل ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا^٢﴾ وكذلك ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ^٣﴾ وشكل الجبال ودورها في تثبيت الأرض من خلال دراسة المفردات (ألقى) و(الأوتاد) و(الرواسي) وقد وردت المفردات في آيات كثيرة سيرد كلُّ في موضعه.

(1) سورة الحديد، الآية:25.

(2) سورة النازعات، الآية:30.

(3) سورة الطارق، الآية:12.

أولاً: في إنزال الحديد وبأسه1- أنزل:

يتردد هذا الجذر اللغوي كثيرا في النص القرآني في سياقات لغوية متعددة ودلالات مختلفة وصيغ متباينة كأنزل ونزل ونزل ، مقترنا بالوحي والماء والمطر والكنز والمنّ والسلوى والرجز واللباس... الخ، والشاهد في هذا الفصل هو صيغة (أنزلنا) التي وردت في ثلاثة وتسعين ومئتين موضعا اقترنت في جلّها بالوحي ثم الماء والمطر والسكينة والملائكة والسلطان... أما اقترانها بالحديد فموضع واحد ووحيد في النص القرآني كله. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^ط وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ^ع إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ^{١٥}﴾¹. وهي الآية الخامسة والعشرون من سورة الحديد، وإنما سُميت كذلك لأنها الموضع الوحيد الذي ذكر فيه إنزال الحديد والذي يُكثّف الالتفاتة إلى سبب إنزال هذا المعدن وبأسه ومنافعه، وتسمية سورة بهذا المعدن دليل على مدى أهميته القصوى في حياة الإنسان، يقول "خالد فائق العبيدي": «إن نزول سورة كاملة باسم سورة الحديد منذ أكثر من 1400 عام في وقت كان الجهل المطبق في أمور الدين والدنيا يخيم على شعوب وأمم الأرض، بالإضافة إلى تعدد ورود كلمة الحديد في سور مباركة أخرى لدليل واضح على أنّ الخالق جل وعلا يعطي هذا الخام الأهمية القصوى التي تجعل وروده يتلازم مع إنزال الرسل والأنبياء والكتب السماوية»². ومع ذلك يرد ذكر

(1) سورة الحديد، الآية: 25.

(2) العبيدي (خالد فائق)، تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد، منشورات علي بيضون دار الكتب

العلمية، بيروت-لبنان، 2005، ط1، ص3.

هذا المعدن في مواضع أخرى اكتفت بذكره سريعا في سياق حديثٍ أو قصّةٍ إلى خاصية أو فائدة من فوائده التي تضمّنتها إجمالا وتكثيفا الآية الخامسة والعشرون ضمن قوله عزّ وجلّ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، فتأمل هذه المواضع:

- قال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾¹
- وقال أيضا: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾²
- و: ﴿وَهُمْ مَقْمَعُونَ مِنْ حَدِيدٍ﴾³
- و: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾⁴
- و: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾⁵

إنّ المواضع الأربع الأولى تشير هي الأخرى إلى قوّة هذا المعدن وبأسه والتي سنفصلها فيما بعد، بينما الموضع الخامس هو صفة للبصر أي: نافذٌ، مشتقٌّ من « حَدَدْتُ السَّكِّينَ: رَفَّقْتُ حِدَّهُ، وَأَحَدَدْتُهُ: جَعَلْتُ لَهُ حِدًّا، ثُمَّ يُقَالُ لِكُلِّ مَا دَقَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ الْخُلْفَةِ أَوْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى كَالْبَصْرِ وَالْبَصِيرَةُ حَدِيدٌ، فَيُقَالُ: هُوَ حَدِيدُ النَّظَرِ، وَحَدِيدُ الْفَهْمِ... وَيُقَالُ: لِسَانُ حَدِيدٍ، نَحْوُ: لِسَانُ صَارِمٍ، مَاضٍ»⁶، ومنه قوله تعالى: ﴿سَلَقُواكُمْ بِاللِّسَانِ حَدَادٍ﴾، إنّ اختيار صفة الحديد للبصر في الآية الأنفة دلالة على الحدة والاختراق أيضا وليس إشارة للمعدن المذكور.

(1) سورة الإسراء، الآية:50.

(2) سورة، الكهف، الآية:96.

(3) سورة الحج الآية:21.

(4) سورة سبأ، الآية:10.

(5) سورة ق، الآية:22.

(6) الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ص222.

وقد اختلف في كون هذه السورة-أي الحديد- مكيةً أو مدنيةً لكن الذي أجمع عليه العلماء أنها نزلت تبين عظمة الله وقدرته وجلاله وتنبه إلى سعة رحمته كما تذكر بالبعث، ومدى أهمية التمسك بالقرآن لأنه سبيل النجاة.

وكما ذكرنا هي الموضع الوحيد الذي ورد فيه إنزال الحديد، حاول العلماء تعليل ذكره في هذه السورة دون غيرها بلطائف كثيرة، يقول "خالد فائق العبيدي": «هي السورة الوحيدة التي سُميت باسم عنصر من العناصر المعروفة في الطبيعة، وترتيبها في المصحف هو (57) والملحوظ أن هذا هو جمل كلمة (الحديد) $(1+30+8+4+10+4)=57$. أما كلمة (حديد) فجمّلها بدون (أل) التعريف هو $(8+4+10+4)=26$. وقد لاحظنا أن (26) هو أيضا (العدد الذري) لعنصر الحديد، وأن (57) هو (الوزن الذري) له»¹

وإذا كان من المألوف عند المتلقي أو قارئ القرآن إنزال الماء من السماء أو إنزال الكتب السماوية، فكيف يكون إنزال الحديد؟ وما السر في توظيف هذه المفردة في هذا الموضع؟ وكيف فسرها العلماء؟ ثم ما الجديد العلمي الذي يسوّغ اختيارها فيفرض ظاهرة تعالقها مع المفهوم العلمي الذي توصل إليه العلماء؟ دعونا أولاً نتعرّف على دلالاتها اللغوية في معاجم العرب.

التحليل المعجمي لمفردة (أنزل):

النون والزاي واللام أصل صحيح يدل على «هبوط شيء ووقوعه»². يقول الفراهيدي: «نزل فلان عن الدابة، أو من علو إلى سفلى، والنازلة: الشديدة من

(1) العبيدي(خالد فائق)، تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد، مرجع سابق،ص172

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج5، ص417.

شدائد الدهر تنزل بالقوم. والنُّزْلُ¹: ما يُهَيِّأ للقوم والضيف إذا نزلوا. والنَّزْلَةُ: المرّة الواحدة. والنَّزَالُ: المنازلة في الحرب...² وسُمِّي النَّزَالُ كذلك لِأَنَّهُ «ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا»³. وتقول العرب «حَطَّ نَزْلٌ أَي مُجْتَمِعٌ، والمنزل: المنهل والدار... والمنزلة: المرتبة... وأسْتَنْزَلَ فلان أَي حَطَّ عن مرتبته... والنزول: الحُلُولُ»⁴

ويضيف "ابن سيده" أنّ «النَّزْلُ: المطر. ومكان نَزَلَ: صَلْبٌ شديدٌ. وأَرْضٌ نَزَلَتْ: تسيل من أدنى مطر»⁵. ومن اشتقاقاتها «النَّزْلَةُ: كالزكام. والنَّزَالَةُ: ما يُنْزَلُ الفحل من الماء... وماء الرّجل»⁶. إذا تجتمع كلّ هذه الدلالات في الهبوط من مكان ما إلى آخر، إذ ينزل الرجل من على دابته، كما ينزل المطر من السماء وماء الرجل من مقرّه والضيف إلى محلّ ما، وكذا نزول الجنود من على إبلهم، يقول "جبل": «المعنى المحوري [لنزل] الانحدار والانفصال والخلوص إلى مقرّ أو حَيِّز يوجد فيه بقوّة، كالنزول في المنزل وكماء الفحل من مقرّه... فمن ذلك إنزال القرآن، والملائكة، والماء، والرحمة، والعذاب»⁷. تُرى كيف نظر المفسّرون العرب إلى هذه المفردة وكيف فسّروها في هذه الآية؟

- (1) أوردها " الجوهري " بإسكان الزاي، أنظر: الجوهري (اسماعيل بن حماد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1979، ط2، ج1، ص1828.
- (2) الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ج4، ص213. (بتصرّف يسير)
- (3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص1062.
- (4) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، ج1، ص1828-1829.
- (5) ابن سيده، المحکم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج9، ص47.
- (6) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص4399-4400. (مادة نزل)
- (7) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص2180. (بتصرّف يسير).

التحليل الدلالي لمفردة (أنزل) في كتب التفسير:

ترد الآية المذكورة آنفا في المقطع الأخير من سورة الحديد...مقطعٌ يوجز فيه الله - جلّ جلاله- « خطّ سير الرسالة، وتاريخ هذه العقيدة، من لدن نوح وإبراهيم؛ مقرّرا حقيقتها وغايتها في دنيا الناس؛ ملماً بحال أهل الكتاب وأتباع عيسى - عليه السلام- بصفة خاصة»¹ وفي جوّ محدثنا عن الرسالة وإنزال وتنزل الكتب والميزان، يُذكر إنزال الحديد- وللإشارة يتردد هذا الفعل خمس مرات² في هذه السورة وبصيغ مختلفة وهي (يُنزِلُ، يُنزلُ، نَزَلَ، أَنْزَلْنَا مرتان) لتتماشى كلّ واحدة مع السياق اللغوي الذي وردت فيه.

عللّ "البقاعي" ذكر الحديد بعد الكتب والميزان بقوله: «ولمّا كان الإعراض [أي إعراض المشركين عمّا جاء به الرسل] بعد الإبلاغ في الإيضاح موجبا للردّ عن الفساد بأنواع الجهاد، قال مهذّدا وممتنا ترغيبا وترهيبا معبرا عن الخلق بالإنزال تشريفا وتعظيما ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾»³، وبالتالي فأقطاب التمكّن والقوّة هي على الترتيب؛ الكتاب، والميزان بما يرمز إليه من عدل وقسط وحكمة، وكذلك البأس.

(1) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج6، ص3494.

(2) وهي: الآية 04 ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ والآية 09 ﴿هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ والآية 16 ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ والآية 25 ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

(3) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج19، ص300.

وزهد جلُّ العلماء والمفسرين إلى أن (الإنزال) في هذا الموضع لم يكن بدلالته المعجمية التي رأيناها، بل يُفسَّر **بالخلق**، يقول "القشيري": «أنزلنا: خَلَقْنَا»¹. وكذلك فعل "الزمخشري"²، و"البقاعي" الذي رجَّح أن يكون (أنزلنا) بمعنى «خلقنا خَلْقًا عظيمًا بما لنا من القدرة»³ ويضيف "ابن عطية" إلى ذلك معنى **الاتخاذ**، يقول: «عبر تعالى عن خلقه واتخاذَه بالإنزال»⁴ بينما يراه "ابن كثير" **جعلًا** أي «جعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق»⁵ لكن "الرازي" يفصل في ذلك ويعرض قولين في تفسيره؛ أما الأول: فَكَوَّنَ الحديد بالفعل **أُنزل من السماء**، ونَقَلَ حديثًا رواه "ابن عمر" عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول فيه: «إنَّ الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد والنار والماء والملح»⁶ وفي واقع الأمر جُلُّ كتب التفسير تُورد هذا الحديث وغيره لكن ترجَّح تأويل الفعل بـ«**الإنشاء والتهيئة**»⁷ وهو القول **الثاني**. بينما يعرض "الثعلبي" رأيا لأهل المعاني وهو قريب من الرأي السابق فحواه أن الله «أخرج [للناس] الحديد من المعادن، وعلمهم صناعته بوحيه»⁸

-
- (1) القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان)، **تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات**، تع: عبد الطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007، ط2، ج3، ص545.
- (2) الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ص1085.
- (3) البقاعي، **نظم الدرر**، مصدر سابق، ج19، ص300.
- (4) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، مصدر سابق، ص1828.
- (5) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج8، ص17.
- (6) الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر سابق، ج29، ص243.
- (7) المصدر نفسه، ج29، ص243. وأنظر: البغوي (أبو محمد الحسين)، **تفسير البغوي (معالم التنزيل)**، تع: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة خميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض - السعودية، 1412هـ، (د.ط)، مج8، ص41. وأنظر: القرطبي، **الجامع في أحكام القرآن**، مصدر سابق، ج20، ص268-269.
- (8) الثعلبي، **الكشف والبيان**، مصدر سابق، ج6، ص118.

وعلى هذا النهج سار المفسرون المحدثون كـ" الشوكاني" الذي فسّره بالخلق¹ ، وكذا "سيد قطب"² و" الألوسي" معللاً ذلك بأنّه « تفسير بلازم الشيء فإنّ كلّ مخلوق مُنزّل باعتبار ثبوته في اللّوح وتقديره موجودا حيث ما ثبت فيه»³ كما أورد تفسير " قطرب"(ت/206هـ) لهذا الفعل بكونه « هيّأناه لكم وأنعمنا به عليكم»⁴.

فكما يلاحظ القارئ الكريم؛ جلُّ المفسرين أوّلوا الإنزال في هذه الآية بالخلق

والجعل والتهيئة والإنشاء، مع أنّ ذلك ليس من دلالاته المعجمية. ترى ماذا

يقول العلم في قضية الإنزال؟

التحليل العلمي لمفردة (الإنزال)⁵:

يُعدُّ الحديد من المعادن المهمة التي تدخل في تركيب الأرض وهو أحد مكوناتها وعناصرها الكيميائية الأساسية والذي تصل نسبته إلى 35.9% من مجموع كتلة الأرض.

وإذا كانت كتلة الأرض هي « ستة آلاف مليون مليون مليون طنّ، فإنّ الحديد في الأرض يُقدّر بأكثر من ألفي مليون مليون مليون طنّ، ويتركز في قلب

(1) أنظر: الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق ص 1462.

(2) أنظر: قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج 6، ص3494.

(3) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج27، ص188.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) اعتمدنا في التحليل العلمي لهذه الظاهرة على ما جاء في كتاب من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في

القرآن الكريم، للدكتور "زغلول النجار" والأستاذ مختصّ في علم الجيولوجيا وعضو بكثير من الجامعات والجمعيات العلمية الأوروبية والعربية. كما اعتمدنا على كتاب الوجيز في الجيولوجيا للعالم الجيولوجي "ليون موريه"، تر:يوسف خوري وعبد الرحمن حميدة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، 1987، ط1.

الأرض أو ما يُعرَف باسم لبّ الأرض، وتصل نسبة الحديد فيه إلى 90% ونسبة النيكل (وهو من مجموعة الحديد) إلى 99% وتتناقص نسبة الحديد من لبّ الأرض إلى الخارج باستمرار حتّى تصل إلى 5.6% في قشرة الأرض»¹

وظلّ الاعتقاد السائد لقرون عدّة أنّ الحديد وُجد أصلا في الأرض، إلا أنّ علماء الفلك والفيزياء الفلكية أثبتوا في أواخر القرن العشرين « أنّ الحديد لا يتكوّن في الجزء المُدرَك من الكون إلا في مراحل محدّدة من حياة النجوم العملاقة التي تُسمّى بالعماليق العظام، والتي بعد أن يتحوّل لبّها بالكامل إلى حديد تنفجر على هيئة المستعرّات العظام وبانفجارها تنتثر مكوناتها بما فيها الحديد في صفحة الكون فيدخل هذا الحديد بتقدير من الله تعالى في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إليه مثل أرضنا البدائية التي وصلها الحديد الكوني على شكل نيازك حديدية وهي كومة من الرّماد المُكوّن من العناصر الخفيفة، فاندفع إلى قلب تلك الكومة بحكم كثافته العالية وسرعته الكونية المندفع بها، فانصهر بحرارة الاستقرار في قلب الأرض البدائية وصهرها، ومايزها إلى سبع أرضين: لبّ صلب على هيئة كرة ضخمة من الحديد والنيكل وبعض العناصر الخفيفة كالكبريت والفوسفور والكربون، يليه إلى الخارج لبّ سائل له نفس التركيب الكيميائي تقريبا، ثمّ يتلوه وشاح الأرض (Mante) المُكوّن من ثلاثة نطق (أسفل، وأوسط، وأعلى)، ثمّ الغلاف الصخري للأرض (Lithosphere) وهو مُكوّن من نطاقين: قشرة الأرض (Crust) وما دون القشرة (Subcrust)؛ وبهذا ثبت أنّ الحديد في أرضنا، بل في بعض أجرام مجموعتنا الشمسية قد أنزل إليها إنزالا حقيقيا»².

(1) النجار (زغول)، من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 121.

(2) المرجع السابق، ص 121-122. (بتصرّف يسير) وللتوسّع والتفصيل يُرجع إلى هذا الكتاب والموقع

الإلكتروني: <https://www.nasa.gov/topics/earth/index.html>

ولقد لاحظ العلماء الجيولوجيون بعد سقوط نيزك على صحراء الولايات المتحدة الأمريكية أن « كميات الحديد المستخرجة من شظاياها الممزوجة بالنيكل قُدرت بعشرات الأطنان»¹ وقالوا « أن مَكَمَن حديد كانيون دي ديابل الشهير في آريزونا) صحراء الولايات المتحدة الأمريكية)، في قاع فوهة بركان عرضها 1.5 كم وعمقها 150م، ما هو إلا نيزك ضخم مطمور بعمق كبير في الأرض»² .

يدعم "ليون موريه" ما قيل مُشيراً إلى أن « وجود المغناطيسية الأرضية، ودراسة النيازك (أنقاض نجوم متشظية)، يدلّ بالتأكيد على أن هذه النواة [أي نواة الأرض] يجب أن تتألف من معادن كثيفة جداً كالحديد والنيكل، تلك المعادن نفسها التي تؤلف هذه النيازك حصراً»³، إذن لقد أكد العلماء أنه لتكوّن بعض المعادن كالسيليكون أو الحديد أو الماغنيزيوم داخل النجوم لا بد من حدوث تفاعل نووي حراري عظيم جداً ف«عند حساب الطاقة اللازمة لتخليق ذرة حديد واحدة وُجد أنه لا بدّ من طاقة تكون كطاقة المجموعة الشمسية أربع مرّات ولهذا السبب يرى العلماء أن الحديد عنصر غريب وفَد إلى الأرض، ولم يتكوّن فيها!!»⁴. يقدر العلماء درجة هذه الحرارة في النجم ب«2000 مليون درجة مئوية لتنتج مجموعة الحديد والتيتانيوم(والتي تشمل كلا من الكروم والمغنيز والحديد والنيكل والنحاس والزنك) ولما كانت هذه التفاعلات تحتاج درجات حرارة مرتفعة جداً لا توجد إلا في

(1) الموسوعة الأميركية، مج9، ص158، نقلا عن: الصوفي(ماهر أحمد)، الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية وفي خلق الأرض وتأمين معاشها، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، 2007، ط1، ج5، ص270. (بتصرّف يسير جدا)

(2) المرجع نفسه، ص210.

(3) موريه(ليون)، الوجيز في الجيولوجيا، تر: يوسف خوري وعبد الرحمن حميدة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، 1987، ط1، ص31.

(4) الصوفي(ماهر أحمد)، الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية وفي خلق الأرض وتأمين معاشها، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، 2007، ط1، ج5، ص270.

المستعرات (Nova) أو فوق المستعرات (Super Nova) وفي فترات محدّدة من عمرها، ولما كانت نسبة الحديد إلى السيليكون في شمسنا أقل منها في الأرض، وكذلك في النيازك التي تصل إليها، ولما كانت درجة الحرارة في داخل الشمس لم تصل بعدُ إلى الحدّ الذي يمكنها من إنتاج السيليكون أو الماغنيزيوم أو الحديد، لهذا وذلك كان من البديهي القول بأنّ الشمس استمدّت هذه العناصر من مصدر آخر. وإنّ فالقرآن أعطى بهذا التفسير لكلمة (أنزلنا) -والفاعل هو الله تعالى والنون للتعظيم- المرحلة الأولى لنزول الحديد من السماء إلى الأرض في مراحل تكوّنها الأولى عندما كانت بدون غلاف جوي، وهذه النيازك الحديدية لا زالت تنزل علينا بالآلاف ولكنها إما أن تتفتّت بالغلاف الجوي فتُسمّى شهبًا وإما تنزل بأحجام مختلفة فتُسمى نيزكا، هذه هي المرحلة الأولى من نزول الحديد وهو نزول من أعلى إلى أسفل بفترة زمنية»¹

و« بما أنّ الحديد من العناصر الانتقالية ذات درجات الانصهار العالية والكثافة الكبيرة والخاصية المغناطيسية العظيمة، وهو أثقل من العناصر الأخرى، فإنّه ترسّب إلى طبقة عميقة من الأرض، ووصل إلى مركز الأرض مشكلا منطقة الحديد السائل في مركز الأرض، ولما كانت غالبية أرضنا من العناصر الخفيفة، استقرت هذه العناصر الحديدية في لب أرضنا وساعدت على تشكّلها بهيئتها الحالية وهذه هي المرحلة الثانية من نزول الحديد»²

بهذا التحليل العلمي، نرى أنّ توظيف مفردة الإنزال كان توظيفاً حقيقياً وفق ما اقتضته دلالاته المعجمية، ولهذا أيضاً كانت هذه الأخيرة عاملاً في تحقيق

(1) العبيدي (خالد فائق)، تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد، منشورات علي بيضون دار الكتب

العلمية، بيروت-لبنان، 2005، ط1، ص188 و197. (بتصرّف يسير)

(2) المرجع السابق، ص219.

ظاهرة التعالق بين هذه المفردة والمفهوم العلمي الذي توصل إليه العلماء الآن. ومما لا يختلف فيه اثنان أنه إذا أحتملت الدلالة المعجمية فهذا أولى من التأويل، أما وقد أثبتنا العلم ورجحها - أي الدلالة المعجمية - فهذا أولى وأوجب، يقول "ابن الأثير" (ت/637هـ): «اعلم أنّ الأصل في المعنى أن يُحمَل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل»¹ ويقول في موضع آخر: «واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يُحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه، فانظر، فإن كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز، فلا ينبغي أن يُحمل إلا عن طريق الحقيقة، لأنها هي الأصل والمجاز هو الفرع، ولا يُعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة»²، وإذا كان هذا مطلوباً في الكلام عامة فكيف به في النص القرآني الذي يوظف الكلمة بل الصوت لأسرار لا مجال لحصرها دون عشوائية أو ارتجالية ودون ترادف أيضاً.

2-البأس:

ترد هذه المفردة بهذه الصيغة في أحد عشر موضعاً³ تسعة منها نكرة واثنان معرفة وكلها تحمل دلالة القوة والشدة. فانظر قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ

(1) ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تق وتغ: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة- مصر، (دت)، (دط)، ج1، ص62.

(2) المصدر نفسه، ص89.

(3) هذه المواضع هي: البقرة:177. النساء:84. الأنعام:65. الإسراء:5. النمل:33. الأحزاب:18. غافر:29. الفتح:16. الحديد:25. الكهف:2.

إِلَّا قَلِيلًا¹ ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ² ﴾ وهاك تفصيل ذلك

بداية من التحليل المعجمي

التحليل المعجمي لمفردة (البأس):

أصل لغوي يدل على « الحرب. ورجلٌ بئس أي: شجاع. والبأساء: اسم للحرب والمشقة والضرر. والبائس: الرجل النازل به بليّة أو عُدْم يُرْحَمَ لِمَا بِهِ...³ . ومن معاني هذه المفردة يَذكر " الجوهري " العذاب والشدة في الحرب... ويئس الرجل: اشتدّت حاجته ... والمبتئس: الكاره الحزين... والبؤسى: خلاف التُعْمَى⁴

ومما يتصرّف منه البؤس والبأساء، فأما الأول فهو « الشدة والفقير⁵ »، وأما الثانية فهي « الجوع⁶ ». والأبؤس: « الداهية⁷ »، ويميّز " الأصفهاني " بين البؤس من جهة والبأس والبأساء من جهة ثانية، فالأولى « في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في التكاية، نحو ﴿ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكِيلًا⁸ ﴾⁹

لعلك تلاحظ دلالة الشدة في كل ما تصرّف من هذه الوحدة اللغوية، فالحرب شدة وقوة وشجاعة، والعذاب أيضا شدة وغلظة، ثم أنظر الفقر إنه شدة حال

(1) سورة البقرة، الآية 177.

(2) سورة النمل، الآية 33.

(3) الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ج 1، ص 109.

(4) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج 1، ص 907.

(5) ابن سيده، المحكم، مصدر سابق، ج 8، ص 562.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص 532.

(8) سورة النساء، الآية: 84.

(9) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص 153.

وقساوة، وكذا الجوع. يقول "جبل" عن هذا الأصل اللغوي: « هو حدة أو جفاف...وشدة بالغة»¹

التحليل الدلالي لمفردة (البأس) في كتب التفسير:

عندما تطّلع على تفسير العلماء لهذه المفردة وسياقها اللغوي القريب ﴿أَحْدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ تجد الرؤية واحدة والمنطلق هو الدلالة المعجمية للبأس كما رأينا آنفاً، وإن تجلّت عبارات مختلفة لكنها متقاربة جداً، ف" الثعلبي" يرى بأس الحديد « قوة شديدة ويعني السلاح»² وكذلك الرازي لأن «آلات الحروب متخذة منه»³، وهو موقف "البيضاوي" أيضاً⁴. بينما يرى "الزمخشري" أنه « القتال»⁵ بحكم أن القتال بالحديد هو البأس ذاته، والذي رادفه كثير من العلماء لـ « القوة والمنعة»⁶. وفسره "الألوسي" بـ «العذاب». ألا ترى معاني الشدة والقوة في كل هذه الدلالات؟ بل الأبلغ وصف هذا البأس بالشدة ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ مما يدلّ على قوة الحديد التي لا تُضاهي، يدعّم كلامنا هذا دلالة المواضع التي وُظفت فيها هذه المفردة والتي أشرنا إليها سابقاً، ففي قوله تعالى ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾⁷ كانت رداً على من

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي، مرجع سابق، ص118-119.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج6، ص119.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج29، ص243.

(4) أنظر: البيضاوي(ناصر الدين أبو الخير)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، إعراب وتوق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، (دت)، (دط)، ج5، ص190.

(5) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص1085.

(6) لجنة من علماء الأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة المصحف الشريف، القاهرة-مصر، 1992، ط3، مج9، ص1305.

(7) سورة الإسراء، الآية:50.

أنكروا البعث ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾¹ ، لقد استغربوا عملية البعث بعدما تستحيل أجسادهم عظاما ورفاتا، والرد يأتي قويا: نعم قادر الله على بعثكم حتى ولو كنتم في حالة أكثر صلابة وقساوة، حجرا أو حديدا، وهذا دليل على قوة الحديد وبأسه وإلا لم يضرب الله به المثل؟ وفي الموضع الثاني ﴿إِنِّي زُبُرُ الْحَدِيدِ﴾² أي قطع الحديد، وهذا ما طلبه "نو القرنين" من القوم حتى يبني رنما أي حاجزا عظيما حصينا بين الجبلين ليمنع عنهم يأجوج ومأجوج. فلماذا الحديد؟ لأنه معدن قوي صلب، وهذا ما سنعرفه في التحليل العلمي.

أما الموضع الثالث ﴿وَهُمْ مَقْمَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ﴾³ ، ففيها تصوير لسوء العذاب لمن كفروا ومن أوجهه أن يضربوا بمقامع أي سياط أو أعمدة من حديد «لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها»⁴ ، فلم اختيار الحديد مادة لهذه المقامع؟ ذلك لصلابته وبأسه، ولو وجد ما كان أصلب منه وأكثر قوة وبأسا لعذب به أهل الجحيم، ولا يختلف اثنان في أن ما اختاره الله لتعذيبهم به هو أقسى وسائل العذاب وأبشع صوره. وفي آخر موضع ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾⁵ يمن الله - عز وجل - بتسخير النعم لسيدنا سليمان، ومنها إلانة الحديد والله عظيم لا يمتن إلا بعظيم وذكر إلانة الحديد دليل على أن الأصل فيه القساوة والصلابة. ألا ترى إذا بأس وقوة الحديد وشدته فلازمته هذه الصفة في كل مواضعه القرآنية؟

(1) سورة الإسراء، الآية 49.

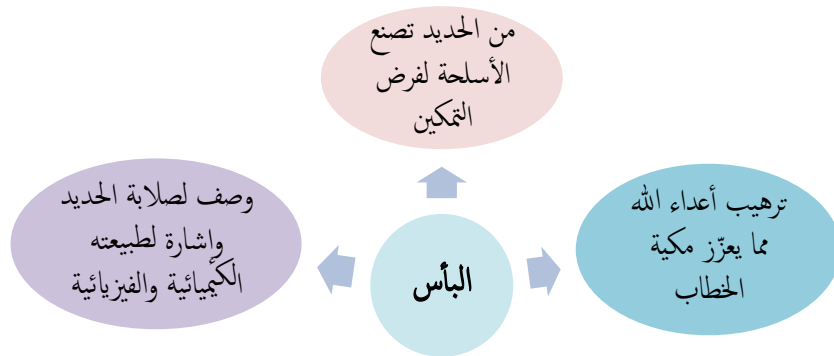
(2) سورة، الكهف، الآية: 96.

(3) سورة الحج الآية: 21.

(4) أنظر: الزمخشري، الكشاف، ص 692.

(5) سورة سبأ، الآية: 10.

إدًا توظيف (الحديد) في الآية الخامسة والعشرين من سورة الحديد يضيف على الخطاب نبرة قويّة فيها إشارة للمؤمنين المخلصين للالتفاف حول النبي - صلى الله عليه وسلم - وبذل الأنفس والأموال من أجل ذلك، لأنّ رسالته هي حلقة أخيرة في سلسلة الرسائل منذ نوح عليه السلام والتي نُخَّعُها واحد؛ الإقرار بالوحدانية، وتطبيق تعاليم الكتاب والحكمة والعدل حتى تسير الإنسانية في المسار الذي رسمه الخالق وتحقق العبودية له، فإنّ أعرض مَنْ في نفسه نفاق أو كفر، وجب درء الفساد بأنواع الجهاد ومنها السلاح المصنوع من الحديد لما فيه من بأس شديد، يقول تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾¹. إدًا ذُكِرَ الحديدُ هنا بالإضافة إلى مقاصد أخرى من أجل بعث الرهبة في نفوس المعرضين والدعوة إلى جهادهم. لكن أَعِنْدَ هذا الحدِّ تتوقّف دلالة المفردة؟ وأيِّ مفهوم أو حقيقة علمية يتعالق معها توظيف هذه المفردة؟



(1) سورة الأنفال، الآية:60.

التحليل العلمي لمفردة (البأس):

يمثل الحديد العمود الفقري لكل تطوّر تقني للإنسانية منذ أول استعمال له، إذ يُعدُّ «الأكثر استخداماً في الصناعة ولا يدانيه في ذلك أي عنصر آخر، وهو عنوان التقدّم الحضاري المدني والعسكري للإنسان في جميع الحقب الزمنية ابتداءً من العصر الحديدي في الجدول الكرونولوجي الخاص بعلم الآثار ولحدّ عصرنا هذا»¹. تُرى ما هي المفاهيم العلمية التي تتعلّق بخواصه الفيزيائية والكيميائية التي تشير إليها مفردة البأس؟

لمعرفة ذلك لا بدّ من التعرّف على طبيعة الحديد ومفهومه العلمي، إنّه « عنصر فلزي معدني انتقالي ثقيل له خاصية مغناطيسية، مطواع أبيض ذو لمعان فضي، يُعرّف عالمياً بـ (Iron) أو (Ferrous) ويُرمز له في الجدول الدوري (Fe) نسبةً إلى اسمه اللاتيني فيروم (Ferrum)»²

و « يُعتبر من المعادن الثقيلة صعبة الانصهار، قوية، لدنة مطاوعة، وعلى العموم يُعتبر الحديد ذا كثافة قيمتها (7.869 غم/سم²) ودرجة انصهاره (1535 م°) ودرجة غليانه تتراوح بين (2750 و 3000 م°)»³. « وهو أكثر العناصر ثباتاً وذلك لشدة تماسك مكونات النواة التي تتكوّن من ستة وعشرين بروتوناً، وثلاثين نيوترونًا، ويدور حول نواة ذرة الحديد ستة وعشرون إلكترونًا، ولذلك تمتلك نواة ذرة الحديد أعلى قدر من طاقة التماسك بين جميع نوى العناصر الأخرى، بما في ذلك ما هو

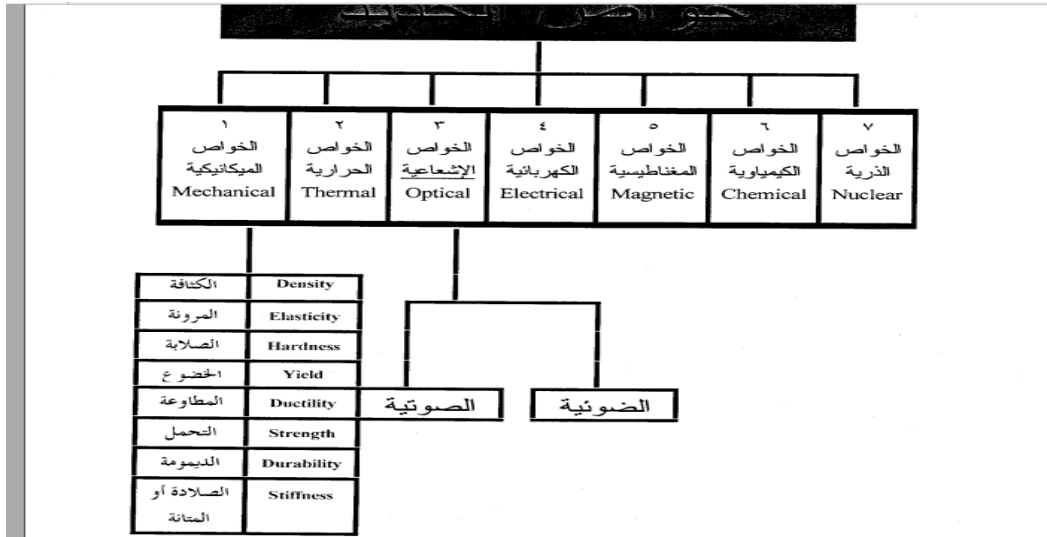
(1) العبيدي، تفصيل النحاس والحديد من الكتاب المجيد، مرجع سابق، ص 170.

(2) المرجع نفسه، ص 169.

(3) المرجع نفسه، ص 253.

أعلى من الحديد في وزنه الذري، ولذا فإنّ نواة ذرة الحديد تحتاج إلى كميات هائلة من الطاقة لتفتيتها أو للإضافة إليها»¹

وإذا ما عرفنا خواص الحديد الميكانيكية والفيزيائية أدركنا سرّ توظيف مفردة (البأس)، إنّ معدن الحديد يتميّز بخواص كثيرة فمن خواصه الميكانيكية: الصلابة والكثافة والمرونة (القابلية للطرق والسحب والتشكّل) والتحمّل والخضوع والديمومة والصلادة والمتانة. فلاحظ معنا الجدول والأشكال التوضيحية التي توضح مدى تحمّل الحديد وصلادته ومتانته بالمقارنة مع معادن ومواد كثيرة وله مقاومة شديدة لعمليات الشدّ والانحناءات أكثر من غيره من المعادن، كما تبيّن إجهاد الانفعال للحديد الذي يفوق مواد أخرى كالخرسانة والمغنيسيوم وغيرها ونسبة مطاوعته الأكبر، فهو بلا خلاف «سيدّ المعادن بالمطاوعة التي تعرّف ببساطة قابليته على تحمّل الشدّ»²



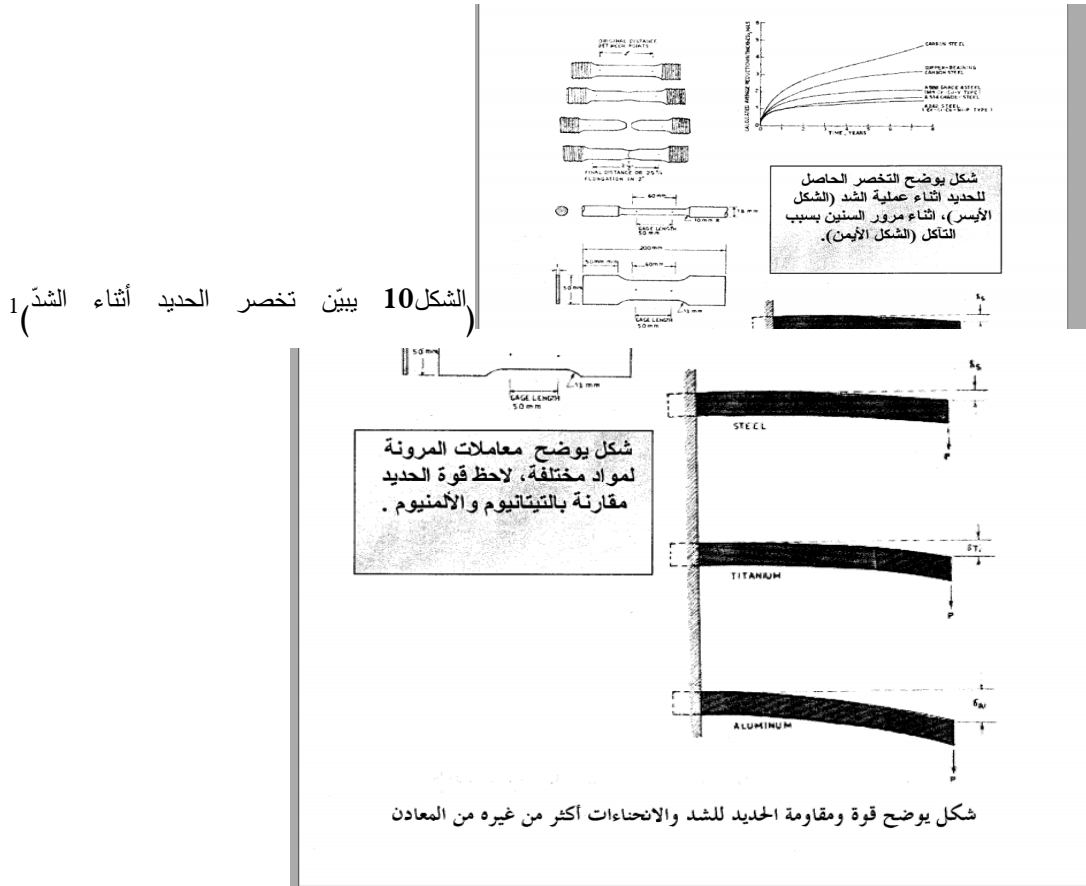
(الشكل 9 يبيّن خواص معدن الحديد)³

(1) النجار، من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 127.

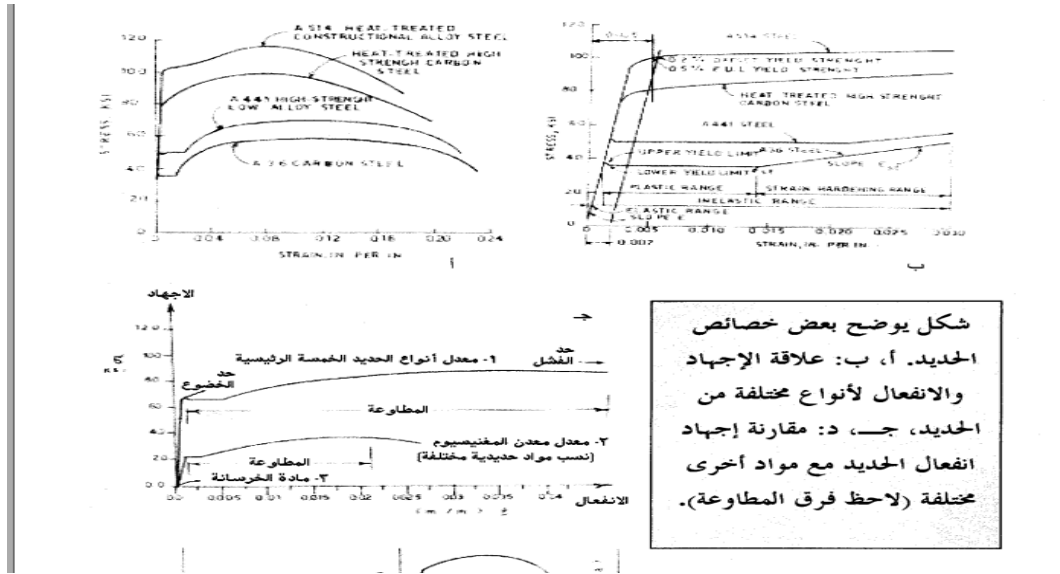
(2) العبيدي، تفصيل النحاس والحديد من الكتاب المجيد، مرجع سابق، ص 258.

(3) المرجع نفسه، ص 254.

Material	معامل المرونة Elastic modulus, E		معامل القص Shear modulus, G		نسبة بواسان Poisson's ratio
	10^3 psi	GPa	10^3 psi	GPa	
Metals المعادن					
Aluminum alloys	10,0	72,4	4,0	27,6	0,31
Copper alloys	16,0	110,4	6,0	41,4	0,33
Steels (plain carbon-low alloy)	30,0	207,0	11,0	75,9	0,33
Stainless steel (18-8)	28,0	193,2	9,0	65,6	0,28
Titanium	16,0	110,4	6,0	44,8	0,31
Tungsten	56,0	387,4	22,8	157,3	0,27
Ceramics الفخاريات					



(الشكل 11 يوضح معاملات المرونة لدى الحديد والتيتانيوم والألمنيوم)



(الشكل 12 يبيّن خصائص الحديد ومقارنة إجهاد انفعال الحديد بمواد أخرى)²

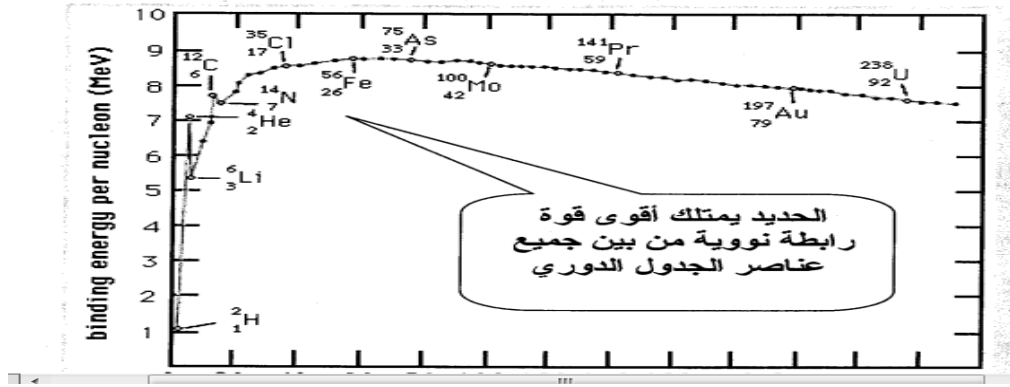
« لقد أثبت علمياً أنّ أقوى رابطة نووية قويّة هي في نواة عنصر الحديد، وأنّه لو قُدِّرَ للعلماء من فكّ أسرار هذه القوة وتحويلها إلى سلاح نووي بدل الأسلحة النووية الحالية لكان الأمر كمن يتحدّث عن الفرق بين نقطة الماء والبحر المحيط. ومن هنا يتبيّن أنّ بأس الحديد يعني القوة وهي تشمل السيوف والخناجر والمناشير والرماح والدروع وغيرها من الآلات الحربية القديمة في وقت النزول، أو آلات الحرب الحديثة كالدبابات والطائرات والمدرّعات والأسلحة الخفيفة والقنابل المختلفة والأسلحة الثقيلة... وقد يكون القنبلة النووية الحديدية في المستقبل»³(انظر

(الشكل 13)

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المرجع السابق، ص 260.

(3) المرجع نفسه، ص 268-269.

(الشكل 13 يوضح قوة الحديد النووية الرابطة)¹

ثانياً: في شكل الأرض وحركتها

1-الدحو:

وردت هذه المفردة في موضع واحد فقط في النص القرآني كله وذلك في سورة النازعات، يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾². وهي سورة مكيّة، خطابها كما ذكرنا أنفاً يثير الهول والرّهبة في النفوس لما يحمله من حقائق الآخرة والموت، وفي ظل عرض آيات الله الكبرى في الكون المفتوح رداً على جحود الكافرين وطغيانهم، تردّ الآية السابقة ممّا على هؤلاء الذين جادلوا في حقيقة البعث والوحدانية وحجاجهم بإظهار قدرة الله في خلقه.

التحليل المعجمي لمفردة دَحَاهَا:

يُجمل "الخليل" دلالات هذه المفردة في معجم (العين) قائلاً: «الدَّحْوُ: البَسْطُ. ومطرٌ داحٍ يَدْحِي الحصى عن وجه الأرض. والمدحاة: خشبة يَدْحِي بها

(1) المرجع السابق، ص 269.

(2) سورة النازعات، الآية: 30.

الصبي، فتمرُّ على وجه الأرض، لا تأتي على شيء إلا اجْتَحَفْتَهُ. والأُدْجِيُّ: سرب النعام، وموضعه الذي يبيض فيه ويفرخ...»¹

ولعلك ترى دلالة البسط حاضرةً في كلِّ جزئية، ولهذا يجعل "ابن فارس" هذا الجذر أصلاً واحداً دالاً على «بَسَطٍ وتمهيدٍ»² فإذا دحا المطرُ الحصى عن وجه الأرض أي «جرفها»³ ونزعها «فقد مهّدها»⁴، يقول "ابن سيده": «والمطر يدحى الحصى عن وجه الأرض دحوا: ينزعه، قال "أوس بن حجر":

ينزع جلد الحصى أجشَّ مُبْتَرَكٌ كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاحِيٌ⁵»⁶
فإن سألت عن أدجِيّ النعام وهو موضع تفريخه وعلاقته بالبسط فذاك لأته «يدحوه برجله»⁷ أي يبسطه ثم يبيض فيه. والمدحاة تبسط التراب وتجّره على وجه الأرض كما يدحوا الفرس «إذا رمى بيديه رمياً، لا يرفع سُنْبُكَهُ⁸ عن الأرض كثيراً»⁹

وعلى دلالة البسط يرتكز "ابن منظور" في تحديد دلالة هذه المفردة، ف«دحا الأرض يدحوها دحوا: بسطها. وقال الفراء في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

أنشدت أعرابية: الحمدُ لله الذي أطاقا

بنى السماء فوقنا طباقا

(1) الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ج2، ص12 (مادة دحو). (بتصرف يسير)

(2) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج2، ص333. (مادة دحو)

(3) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص308. (مادة دحو)

(4) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج2، ص333. (مادة دحو).

(5) انظر: بن حجر (أوس)، ديوان أوس بن حجر، تح: محمد يوسف نجم، دار بيروت، لبنان، 1980، (دط)، ص16.

(6) ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل)، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج3، ص488.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(8) السننك: طرّف الحافر وجانباه من قُدْمٍ.

(9) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج2، ص333. (مادة دحو).

ثم دحا الأرض فما أضاقا¹

...وفسّرته فقالت دحا الأرض **أَوْسَعَهَا**...واللهمّ داحي المدحوات، يعني باسط الأرضين. وابن الأعرابي يقول: يدحو بالحجر بيده أي يرمي به ويدفعه...وتدحّت الإبل إذا تفحصت في مباركها السهلة حتى تدعّ فيها قراميص² أمثال الجفار؛ وإنما تفعل ذلك إذا سمّنت. ونام فلان فتدحّى أي اضطجع في سعة من الأرض. ودحا المرأة يدحوها: نكحها. والدحو: استرسال البطن إلى أسفل وعظمه...³ وأضاف "الأصفهاني" إلى هذه المعاني دلالة الإزالة، يقول: «**﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾** أي: أزالها عن مقرّها كقوله: **﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾**⁴»⁵

إذا كما ترى دلالة هذا الجذر اللغوي تتبني على معنى الانبساط والمدّ ممّا يوجب التوسّع، وكذا الإزالة والرمي بالشيء ودفعه، كما يرمى الحجر وكما تدفع الأمطار الحصى. يقول "ابن الرومي":

ما أنس لا أنس خبازا مررتُ به يدحو الرقاقة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء ترمي فيه بالحجر⁶

(1) وردت الأبيات في كل المعاجم دون نسبة.

(2) قراميص: مفردها قُرْمُوص وقَرْمَاص: حفرة واسعة الجوف ضيقة الرأس. الجفار: مفرده الجفْر: البئر الواسعة التي لم تُطو.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج2، ص 1338-1339. (مادة دحو). (بتصرف يسير).

(4) سورة المزل، الآية: 14.

(5) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص308. (مادة دحو).

(6) ابن الرومي (أبو الحسن علي)، ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2002، ط3، ج2، ص146.

يضيف صاحب المعجم الاشتقاقي مشيراً إلى القيمة التعبيرية لأصوات هذه المفردة فـ« الدال للضغط الممتدّ والحبس، والحاء تعبر عن جرم عريض جاف...والواو أضافت معنى الاشتمال والياء معنى الاتصال والتماسك (ويقصد التركيبين (دحو) و(دحي) ، فعبراً عن نوع من كفّ الانبساط بجعل الشيء كالقرص وهذا كالجمع في الاشتمال وفيه معنى الاتصال بالاستدارة أي عدم الانقطاع مع البسط المحدود.»¹

إنّ الإشارة إلى معنى الاستدارة هو تمهيد لإضافة معنى التكوير للأرض، فالأستاذ "جبل" يصرّح - فيما بعد - بذلك قائلاً: «المعنى المحوري [لدحو] : بسط الشيء بسطاً جزئياً بنحو الضغط مع كفّ أطرافه فتستدير ولا تنتشر متسيّبة كما يفعل الخباز مع الفرزدة...ولعبة المداحي سميت كذلك لأنّ الحجارة كالقِرصة المبسوطة المستديرة. وكالبطن المتدلّية مع استدارة...ودحا الأرض بسطها وهي فعلا مبسوطة بالقدر الذي يتعايش فيه أهل كلّ قطر، وهذا لا يمنع أن تكون في مجملها كالكرة»²

وفي الحقيقة كثير من العلماء والدارسين أضافوا معنى الكروية والاستدارة إلى (دحو) بل راح بعضهم يعتقد أنّ (الأدحية) و(الدحية) هما البيضة - أي بيضة النعام ومن بين هؤلاء "ماهر أحمد الصوفي"³ حين يقول: « وفي اللغة (الدحية): بيضة النعام المفلطحة قليلاً»⁴ وينسب التعريف لـ"الفيروزآبادي" و"وهبة الزحيلي" في

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي، مرجع سابق، ص 632. (مادة دحو). (بتصرف يسير).

(2) المرجع نفسه، ص 633. (بتصرف يسير).

(3) أنظر: الصوفي (ماهر أحمد)، الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية

وفي خلق الأرض وتأمين معاشها، مرجع سابق، ص 221.

(4) المرجع نفسه، ص 221.

(التفسير الوسيط) قائلاً « وبسط الأرض ومهدّها وجعلها مفلّحة كالبيضة»¹ ، وهو المعنى ذاته الذي ينقله "عمرو شريف" عن "عبد المعطي محمد بيومي"²، مع أنّه في آخر الصفحة نفسها يفسّر (دحو الأرض) ببسطها! و"محمد جواد مغنية" في كتابه (التفسير الكاشف) إذ يذهب إلى أنّ مفردة (الدحو) «هي اللفظة العربية الوحيدة التي تشتمل على البسط والتكوير في ذات الوقت، فتكون أولى الألفاظ على الأرض المبسوطة في الظاهر المكورة في الحقيقة... وهذا منتهى الإحكام والخفاء في اختيار اللفظ الدقيق المبين»³ والذي استند فيه إلى رأي للدكتور "مصطفى محمود" الذي يقول فيه: « ودحاها أي جعلها كالدحية(البيضة) وهو يوافق أحدث الآراء الفلكية عن شكل الأرض»⁴ وكذا "السيد الجميلي"⁵. ومن هؤلاء أيضا الباحثة "عبهرة سميح العامودي" في دراسة لها بعنوان(الأرض في ضوء القرآن دراسة موضوعية) والتي تشير إلى هذه الآية في جزئية بعنوان (بيضاوية الأرض) إذ تشرح مفردة (الدحو) قائلة: « وتوضّح المعاجم اللغوية أنّ كلمة دحاها تؤدي إلى معنى أنه جعلها كالدحية، أي كالبيضة؛ لأنّ الأدحوة معناها بيضة النعام، أو مكان بيض النعام، ويكون عادة مستدير الشكل... ولفظ دحا يدلّ على شيئين، هما: البسط مع الاتساع، والتكوير في التكوين»⁶. وكذلك "عبد السلام حمدان اللوح" حين يقول: « فالدحية هي

(1) الزحيلي(وهبة)، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق- سوريا، 1422هـ، ط1، ج3، ص2818.

(2) شريف(عمرو)، كيف بدأ الخلق، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة- مصر، 2011، ط1، ص333.

(3) مغنية(محمد جواد)، التفسير الكاشف، دار الأنوار، بيروت- لبنان، 2009، ط4، مج7، ص510.

(4) محمود(مصطفى)، القرآن محاولة لفهم عصري، دار المعارف، مصر، 1999، (دط)، ص30.

(5) الجميلي(السيد)، الإعجاز العلمي في القرآن، مرجع سابق، ص35.

(6) العامودي(عبهرة سميح)، الأرض في ضوء القرآن دراسة موضوعية، الجامعة الإسلامية، غزة-

فلسطين، 2006، ص36. وهو خطأ معرفي يحتاج إلى التصويب. (استندنا إلى كتاب الكون والحياة) لعبد الرحمن عميرة، و(الإعجاز العلمي لـ محمد كامل عبد الصمد، و(القرآن وإعجازه العلمي لـ محمد اسماعيل ابراهيم).

البيضة ومازالت معظم الأقطار لا تعرف البيضة إلا باسم الدحية، فكأن الله سبحانه وتعالى يحدّد شكل الأرض بالبيضة، وقد كان أصدق وصف علمي لشكل الأرض ما قيل من أنها كروية منبعجة من الوسط»¹

في الحقيقة لم نجد - بعد اطلاعٍ على كثير من المعاجم القديمة وبالأخصّ تلك التي أشار إليها هؤلاء العلماء والباحثون² - من أشار إلى معنى الاستدارة أو التكوير في هذا الجذر اللغوي، بل ربما إطلاق (الأُدْجِي) على البيضة كان من باب الخلط والالتباس من طرف الباحثين المحدثين، فهو الموضع الذي يبيض فيه النعام ويفرخ، سُمّي كذلك لأنها تدحيه بأرجلها، وليس البيضَ بحدّ ذاته، واكتفى جلّ العلماء بدلالة البسط والمدّ والانتساع في هذه المفردة، والدليل على ما نرى حديث "ابن عباس" والذي أورده القرطبي في (الجامع) اقتصرَتْ فيه هذه اللفظة على الدلالة عينها، يقول: «خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثمّ نُحيت الأرض من تحت البيت»³. لا نظن أبداً أنّ المعنى في هذا الموضع قد تجاوز البسط والمدّ والانتساع، يؤكّد كلامنا هذا "الشنقيطي" الذي يفنّد ما ذهب إليه هؤلاء ويرفض معنى التكوير في اللفظ، يقول وكأنّه يتحدّث بلساننا: «وإذا جننا إلى كتب اللغة نجدها كلها، تنصّ على أنّ الدحو: البسط، والرمي، والإزالة، والتمهيد، والرمي بالحجر المستدير في الحفرة الصغيرة معانٍ مشتركة، وكلّها تفسّر دحاها بمعنى بسطها ومهدّها. وأنّ الأدحية مبيض النعام لا بيضه، كما يقولون.

(1) اللوح (عبد السلام حمدان)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، آفاق للطبع والتوزيع، غزة- فلسطين، 2002، ط2، ص173. استند على عبد الرزاق نوفل (الله والعلم الحديث)-شوقي أبو خليل (الإنسان والعلم والدين)- محمد رشيد رضا (تفسير القرآن الحكيم)

(2) (معجم العين)، و(معجم المقاييس في اللغة)، و(الصاحح) و(المفردات)(القاموس المحيط)، و(لسان العرب).

(3) القرطبي، الجامع في أحكام القرآن، مصدر سابق، ج22، ص59.

وسُمِّي بذلك لأنها تدحوه بيدها، إذ لا عَشَّ لها. وعليه، فلا دليل من كتب اللغة على أنّ الدحو هو التكوير»¹، ثمّ إنّ المفسّرين الأوائل لم يثيروا إلى الكروية والاستدارة، فانظر معنا تحليلهم لهذه المفردة والآية معا.

التحليل الدلالي لمفردة (دحا) في كتب التفسير:

أجمع المفسّرون على أنّ الدحو هو «البسط والمدّ»، كذلك فعل "الطبري"² و"الثعلبي"³ و"القشيري"⁴ (ت/465هـ) وكذا "ابن عطية"⁵ و"الغرناطي"⁶ و"البقاعي"⁷، ويضيف "الزمخشري" قائلا: «دحاها بسطها ومدّها للسكنى، ثمّ فسّر التمهيد بما لا بدّ منه تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب، وإمكان القرار عليها والسكون بإخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال»⁸

يوكّد "القرطبي" على هذه الدلالة اللغوية في شرح قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ فيقول: «والعربُ تقول دحوتُ الشيء أدحوه دحوا: إذا بسطته. ويقال لعشّ النعامة: أدحّي؛ لأنّه مبسوط على وجه الأرض. قال أميّة بن أبي الصلت:

(1) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سابق، ج9، ص36-37.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، مج7، ص456.

(3) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج6، ص375.

(4) أنظر: القشيري، لطائف الإشارات، مرجع سابق، مج3، ص685.

(5) أنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص1946.

(6) أنظر: الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج10، ص400.

(7) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج21، ص0340.

(8) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص1177.

وَبَثَّ الْخَلْقَ فِيهَا إِذْ دَحَاها فَهَمْ قُطَّائُها حَتَّى التَّنَادِي¹

وقيل: دحاها: سواها، ومنه قول زيد بن عمرو:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا

دحاها فلما استوت شدّها بأيدٍ وأرسي عليه الجبالاً²

كما نقل شروحا أخرى كـ«الحَرْثُ والشَّقُّ والتمهيد للأقوات»³. ولا يبتعد "الرازي" في تفسيره للآية الأنفة الذكر عما رآه السابقون، إذ يشير إلى أنّ أهل اللغة يقولون «دحوت أدحو، ودحيت أدحي... وفي حديث عليّ ((اللهم داحي المدحيات)) أي باسط الأرضين السبع وهو المدحوات أيضا، وقيل أصل الدحو الإزالة للشيء من مكان إلى مكان، ومنه يقال: إنّ الصبي يدحو بالكرة أي يقذفها على وجه الأرض، وأدحي النعامة موضعه الذي يكون فيه أي بسطته وأزالت ما فيه من حصى، حتى يتمهد له، وهذا يدلّ على أنّ معنى الدحو يرجع إلى الإزالة والتمهيد»⁴

وعلى هذا مضى المفسرون المحدثون الذين رأوا أنّ (دحا) بمعنى: بسط ومدّ، كـ"الشوكاني"⁵ و"الألوسي"⁶، وهاهو "ابن عاشور" يفسرها بقوله: «يُقَالُ دَحَوْتُ وَدَحَيْتُ، واقتصر الجوهرى على الواوي وهو الجاري في كلام المفسرين هو: البسط

(1) أورده القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص 59، وكذلك ورد في تفسير البحر، ج10، ص394، ص. لكن ورد في ديوان في انظر: بن أبي الصلت (أمية)، ديوان أمية بن أبي الصلت، جم ونح: عبد الحفيظ السطلي، (دط)، (دت)، ص383.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج22، ص 59. (بتصرّف يسير)

(3) المصدر نفسه، ج22، ص60.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص48.

(5) أنظر: الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق ص 1583-1584.

(6) أنظر: الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين)، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (دت)، (دط)، ج30، 32.

والمَدّ بتسوية. والمعنى: خلقها مدحوة، أي مبسطة مسواة¹. وكذلك "الشعراوي" حين رأى أنّ الأرض دحاها الله أي «بسّطها وجعلها مهيأة لحياة الإنسان عليها»²

ويشرح "سيد قطب" دحو هذه الأرض بأسلوب أكثر دقة من الوجهة العلمية إذا ما قارناه بالآراء السابقة إذ يرى أنّ «دحو الأرض تمهيداً وبسط قشرتها، بحيث تصبح صالحة للسير عليها، وتكوين تربة تصلح للإنبات، وإرساء الجبال، وهو نتيجة لاستقرار سطح ووصول درجة حرارته إلى هذا الاعتدال الذي يسمح بالحياة. والله أخرج من الأرض ماءها سواء ما يتفجر من الينابيع، أو ما ينزل من السماء فهو أصلاً من مائها الذي تبخر ثم نزل في صورة مطر»³

إذا أجمع اللغويون والمفسرون القدامى على أنّ دحو الأرض هو بسّطها ومدّها وتمهيدها لتيسير عيش الإنسان فيها. أما إحالة هذه المفردة إلى البيضوية فلم يشر إليه العلماء القدامى ولم نجد منهم من عرّف الدحية ببيضة النعام أو أشار إلى أنها لغة من لغات قبائل العرب، أو أطلقوها عليها من باب إطلاق العام على الخاص لذلك نعتقد أنّ ذلك من قبيل اللبس والخلط تمّ شيوعه عند كثير منّا، والله أعلم.

والجدير بالملاحظة أنّ الآية قد تُلّيت بقوله تعالى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾⁴ هذه الآية التي تفسر دحو الأرض وذلك بإخراج مائها ومرعاها كما فعل قبل ذلك مع السماء ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ حَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَّاها﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا ﴿٢٧﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30، ص86.

(2) الشعراوي (محمد متولي)، المنتخب من تفسير القرآن الكريم، دار العودة، بيروت - لبنان، (د.ت)، (د.ط) ج2، ص131.

(3) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج6، ج26-30، ص3816-3817.

(4) سورة النازعات، الآية:31.

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا¹. لذلك ذهب النحاة إلى أن ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ هي بدل اشتغال أو عطف بيان مما قبلها يقول "البيضاوي": «وتجريد الجملة عن العاطف لأنها حال بإضمار قد أو بيان الدحو»²، ونحن نراه بيانا له. ومن ثمّ فالدحو هو بسط الأرض وتهيئتها وإخراج مائها وتفجير عيونها ومرعاها، يقول "الرازي" مؤكداً ذلك: «لا يكون معنى قوله (دحاها) مجرد البسط، بل يكون المراد أنه بسطها بسطا مهيأً لنبات الأقوات وهذا هو الذي بيّنه بقوله ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾»³.

التحليل العلمي لمفهوم (دحاها):

البراكين « حركات باطنية تتعرض فيها القشرة الأرضية للاهتزاز الشديد وانبثاق الحمم وكتل المواد المنصهرة من باطن الأرض إلى خارجها خلال الشقوق والتصدّعات الموجودة في القشرة الأرضية»⁴

ويذهب العلماء الجيولوجيون إلى أن « النشاط البركاني الذي صاحب تكوين الغلاف الصخري للأرض في بدء خلقها هو المسؤول عن تكوّن كلّ من غلافها المائي والغازي»⁵. وعندما نتحدّث عن النشاط البركاني، فنحن نقصد ثورات بركانية « كانت أكثر تكرارا وأشدّ عنفا من معدّلاتها الراهنة، حتّى أنّ الحسابات التي أجريت بضرب متوسط ما تنتجه الثورة البركانية الواحدة من بخار الماء من فوهة واحدة في متوسط مرات ثورانها في عمر البركان في عدد الفوهات والشقوق البركانية النشيطة والخامدة الموجودة اليوم على سطح الأرض، أعطت رقما قريبا

(1) سورة النازعات، الآية: 27-28-29.

(2) البيضاوي، تفسير البيضاوي، مصدر سابق، ج5، ص284.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص49.

(4) إبراهيم (محمد رضا)، في الجيولوجيا (علم الأرض)، دار ابن سينا، العراق، (د ت)، (د ط)، ص96

(5) النجار، من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص136.

جدا من الرقم المحسوب لكمية الماء على سطح الأرض»¹ ولم ينته لحد الساعة دور هذه النشاطات البركانية.

بمعنى ذلك نجد أنّ مياه كوكب الأرض تتواجد تحت سطحها بمسافات عميقة جدا، كما أنّ مياه البحار والمحيطات تتحرك مع رسوبيات قيعانها الزاحفة إلى داخل الغلاف الصخري بتحرك تلك القيعان تحت كتل القارات عبر شبكة كبيرة جدا من الصدوع التي تحدث على مستوى هذا الأخير في كل الاتجاهات وبأعماق مختلفة بين المسطحات المائية واليابسة.

ويواصل "النجار" مبيّنا أهمية الصحارة الصخرية المتواجدة في نطاق الضعف الأرضي في كونها مصدرا للمياه فيما أنها - أي الصحارة الصخرية - تحتوي على جزيئات الماء عندما «تتبرّد تبدأ مركباتها في التبلور بالتدرّج، وتتضاغط الغازات الموجودة فيها إلى حجم أقلّ، وتتزايد ضغوطها حتى تفجّر الغلاف الصخري للأرض بقوة تصل إلى مائة مليون طن على السننتر المربع، فتشقّ ذلك الغلاف وتبدأ الغازات في التمدّد والانفلات من الذوبان في الصحارة الصخرية، ويندفع كل من بخار الماء والغازات المصاحبة له والصحارة الصخرية إلى خارج فوهة البركان أو عبر الشقوق والفواصل والصدوع الأرضية المتصاعدة منها مرتفعة إلى عدّة كيلومترات لتصل إلى كلّ أجزاء نطاق التغيّرات المناخية... وغالب مادة هذا السحاب الحار الذي تتراوح درجة حرارته بين 250 و 500 درجة مئوية يعاود الهبوط إلى الأرض بسرعات تصل إلى 200 كيلومتر في الساعة؛ لأنّ متوسط كثافته أعلى بكثير من متوسط كثافة الغلاف الغازي للأرض. والماء المتكثّف من هذا السحاب البركاني الحار يقطر مطرا من بين ذرات الرماد التي تبقى عالقة بالغلاف الغازي للأرض لفترات طويلة

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

فيجرف معه هذا الماء الهاطل كميات هائلة من الرماد والحصى البركاني المتجمّع على سطح الأرض حول فوهة البركان مكوّنا تدفّقا للطين البركاني على سطح الأرض في صورة من صور الدحو... وقد يصاحب الثورات البركانية خروج الماء من الينابيع والنافورات الحارة في ثورات دورية للمياه المتفاوتة في درجات حرارتها والأبخرة شديدة الحرارة، التي تندفع إلى خارج الأرض بفعل الطاقة الحرارية العالية المخزونة في أعماق القشرة الأرضية»¹

إدّا المقصود بالدحو هو بسط الأرض بإثراء الغلاف الغازي والمائي للأرض عن طريق الأبخرة والغازات المنطلقة من فوهات البراكين وشقوق الأرض، وتفجير عيونها وبنابيعها ومن ثمّ تهيئتها لعيش الإنسان وتوفير رزقه وغذائه. ولم يُشر القدامى أبداً إلى مفهوم البيضوية كما في هذا الجذر اللغوي كما لم يشر إليه "زغلول النجار" في تحليله العلمي لدحو الأرض.

2-الصدع

لم ترد هذه المفردة إلا في موضع واحد فقط في النص القرآني ألا وهو الآية الثانية عشر من سورة الطارق ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾. وسرّ اختيار هذه المفردة وتوظيفها في هذه السورة بالضبط هو التناسب مع أجواء الحركة التي أشرنا إليها في الفصل السابق²، يصف " سيد قطب" تلك الأجواء قائلاً: « السورة نموذج واضح فيها طرّق واضح متوالي الحسّ عنيف قوي عالٍ وفيها صيحات بإيقاع واحد حاد يشارك فيها نوع من المشاهد، ونوع الإيقاع الموسيقي، وجرس الألفاظ، وإيحاء المعاني. ومن مشاهدتها: الطارق والثاقب والدافق والرجع والصدع. ونذير

(1) المرجع السابق، ص139.

(2) انظر: الفصل الثاني، ص115 (مفردة دافق).

واحد)) اصحوا. تيقظوا. تدبروا. إنّ هنالك إليها وتدبيراً وتبعية وحساباً وجزاء. وإنّ هنالك عذاباً شديداً ونعيماً كبيراً¹. حتى أصوات فواصلها كـ (القاف) وهو الأكثر وروداً ثمّ (الذال) وهما صوتان جهريان شديداً فيهما قفلة لم يكن اختيارهما عشوائياً بل تماشياً مع الأجواء التي وصفناها وكذلك الباء الذي ورد مرة واحدة كما أنّ الراء التي وردت ثلاث مرات هي صوت جهري متوسط مستقل مكرر يتناسب ودلالات هذه السورة، وهكذا هي الأصوات المتبقية أي العين واللام والظاء كلها أصوات جهرية. في هذه الأجواء إذاً ترد مفردة الصدع. فما الدلالة المعجمية التي تحملها وبمّ فسرها العلماء؟

التحليل المعجمي لمفردة (الصدع)

الصاد والذال والعين « أصل صحيح يدل على انفراج في الشيء² و«انشقاق»³ يعمّم "ابن فارس" و"الجوهري" دلالة هذا الأصل، إذ يجعلانه انفراجاً وانشقاقاً في أيّ شيء كان، ف« انصدع: انشقّ. والصديع: الصّبح، والصّرمة من الإبل، والفرقة من الغنم والصدّاع: وجع الرأس»⁴ ويُخصّصه آخرون في الشيء الصّلب، هكذا يرى "الفراهيدي" و"الفيروزآبادي" و"ابن سيده" يقول "الفراهيدي": «والصدع: شقّ في شيء له صلابة»⁵، ويفصّل "ابن سيده" ذلك قائلاً: «الشقّ في الشيء الصّلب، كالزجاجة والحائط وغيرهما»⁶ وإنّ كانت الدلالة العامة تتجاوز ذلك فيما بعد غير الصّلب، ف«انصدع وتصدّع: شقّه إلى نصفين، وقيل شقّه ولم يفترق. وقوله

(1) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، مج6، ج29، ص3877. (بتصرف)

(2) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج3، ص337. (مادة صدع)

(3) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج3، ص1241.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص1242.

(5) الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ج2، ص384. (مادة صدع)

(6) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج1، ص426. (مادة صدع)

تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ قال الزجاج: يتفرّقون فيصرون فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير... وكلُّ نصفٍ منه: صدعة... وصدع الفلاة والنهر: شقّها... والصدع: نبات الأرض، لأنّه يشقّها، وفي التنزيل: ﴿والأرض ذات الصدع﴾ وتصدّعت الأرض بالنبات: تشققت. وانصدع الصبح: انشق عنه الليل. والصدع: الفجر لانشقاقه. والرّقة الجديدة في الثوب الخلق، كأنّها صدعت أي شقت. وصدع الشيء فتصدع: فرقه فتفرّق... وصدع بالأمر: جاهر به، وفي التنزيل ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾¹

إذا تجتمع دلالة الصدع في شقّ الشيء، والأصل في الصلب منه ثمّ يتعداه، فيتفرّق ما كان بنية واحدة إلى جزأين فأكثر، فالأرض تتشقّق بفعل النبات إلى فروج، والصداع يُشعرك بانشقاق رأسك، وتصدع القوم انشقوا فتفرّقوا، وصدع بالحق جاهر به وشقّ به الأجواء وفرّق به جمع الباطل و«فصل به بين الحق والباطل»² ويضيف إليه "حسن جيل" معنى الاختراق، إذ يقول: «الصدع: شقّ دقيق يفصل الشيء الصلب أو الملتحم ويخرقه... فمن الاختراق والنفاد صدعت الشيء: أي أظهرته وبيّنته أي ميّزته وفصلته عن غيره فظهر وصدع بالحق: تكلم به جهاراً بصوت قوي يشقّ المجال وينفذه أي يُسمع فيه»³

(1) المرجع السليق، ج1، ص426-427. (مادة صدع)

(2) الجمل، مخطوطة الجمل، مرجع سابق، ج2، ص430. (مادة صدع)

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل، مرجع سابق، ص1206-1207. (مادة صدع)

التحليل الدلالي لمفردة (الصدع) عند المفسرين

أجمع جُلّ المفسرين على أنّ المقصود بالصدع هو «النبات»¹ أو هو انشقاق الأرض بالنبات². ولا يبتعد "الرازي" عن هذه الدلالة، إذ يرى أنّ «الصدع هو الشق»³ في حدّ ذاته، وأورد أقوالاً للعلماء في تفسير الآية، ف«ابن عباس قال تنشق [أي الأرض] عن النبات والأشجار، وقال مجاهد: هو الجبلان بينهما شقّ وطريق نافذ، وقال الليث: الصدع نبات الأرض»⁴. وفي قول "مجاهد" يفصل "القرطبي" إذ يذكر دلالات الصدع المختلفة في الآية، فهي «الأرض ذات الطرق التي تصدعها المشاة. وقيل: ذات الحرث، لأنّه يصدعها. وقيل: ذات الأموات؛ لانصداعها عنهم للنشور»⁵

وأضاف "الغرناطي" نسبةً إلى "مجاهد" أيضاً، وهو قول يجمع كل تلك الدلالات وهو «الصدع: ما في الأرض من شقاق ولصاب وخندق وتشقق بحرث وغيره»⁶ ومن التفاتات "البقاعي" ودرره الفريدة تعليقه ذكّر نِعَمَ الله ابتداءً بقَسَمَه بما في السماء ثمّ الأرض، وذكر خلق ماء الإنسان ثم السماء أي المطر ومن ثمّ انصداع الأرض، فاقراً ما يقول: «ولمّا ذكّر الأمر العلوي بادئاً به لشرفه، اتبعه السفلي، فقال تعالى ﴿وَالأَرْضُ﴾ أي مسكنكم الذي أنتم ملابسوه ومعانوه كل وقت ﴿ذَاتِ الصَّدَعِ﴾ أي التي تتصدع وتنشق فيخرج منها النبات والعيون بدءاً وإعادة دلالة ظاهرة على

(1) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج10، ص181.

(2) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج7، ص502. وانظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص1194.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص133.

(4) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج22، ص216.

(6) الغرناطي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج10، ص453.

البعث، فجمع بالقسم العالم العلوي الذي هو كالرجل والسفلي الذي هو كالمرأة، فكما أنّ الرجل يسقيها من مائه فتصدّع عن الولد فكذلك السماء تسقي الأرض فتتصدّع عن النبات وكما أنّها تتصدّع عن النبات بعد فئائه وصيرورته رفاتا فيعود كما كان فكذلك تتصدّع عن الناس بعد فئائهم فيعودون كما كانوا بإذن ربّها من غير فرق أصلاً¹. ولم يتجاوز المفسّرون المحدثون هذه الدلالات، فهاهو الشنقيطي "يرجّح" أنّ الرّجوع والصدّع متقابلان من السّماء والأرض بالمطر والنبات، كما في قوله تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾

وَعِنَبًا وَقَضْبًا² ، وإلى هذا ذهب " بن عاشور"³ و"الزحيلي" الذي أضاف إلى ذلك انشاقها وخروج « المعدن والكنز والثروة النفطية والمائية»⁴. تُرى ماذا يقول العلم؟

التحليل العلمي لمفردة الصدع⁵

الصدع (Fault/ faille) هو حركة تكتونية، ويُقصد بها انكسار يحدث في مستوى الطبقات الصخرية ترافقه زحزحة أفقية وعمودية، وتتأثر بفعل قوى الشدّ والانضغاط المُسلّطة على صخور القشرة الأرضية⁶. ومما رأيناه سابقاً أنّ المفسرين

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج30، ص382-383.

(2) الشنقيطي، أضواء البيان، مصدر سابق، ج9، ص162-163.

(3) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30، ص266.

(4) الزحيلي، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ج3، ص2860.

(5) النجار، من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص167 وما بعدها.

(6) ورد تعريفه في قاموس الجيولوجيا بالصيغة التالية:

«Les failles sont des fracture affectant les terrains, elles se traduisent par un déplacement relatif des couches de part et d'autre de la surface de cassure».p135

القدامى قد فهموا أنّ صدع الأرض انشققها بالنبات، وقد استطاع العلم أن يشرح ذلك فعلا، إذ يُعدُّ الصلصال من مكونات التربة، «وهي معادن دقيقة الحبيبات (أقطارها أقل من 0.004 من المليمتر) وتتركب أساسا من سيليكات الألومنيوم وعلى هيئة راقات متبادلة من السيليكا (ثاني أكسيد السيليكون) والألومينا (ثالث أكسيد الألومنيوم) مع عناصر أخرى كثيرة، ويحمل كل راقٍ على سطحه شحنة كهربائية موجبة أو سالبة على حسب نوع الصلصال المركب منه»¹ كما أنه مادة غروية تنتشر في الماء وتلتصق بأيونات العناصر، فإذا ما سُقيت ازداد حجمها واهتزّت حبيباتها ورقت رقة شديدة وانشقت لتسمح للجذير بأن يتسلل من الأسفل نحو الأعلى.

لكنّ العلماء تجاوزوا هذا المفهوم للصدع إلى مفاهيم أخرى توصلوا إليها مؤخرا، فقد كشف علماء الجيولوجيا أنّ الأرض محاطة بشبكة عظيمة من الصدوع والأودية الخسفية، تنتشر في كل الاتجاهات وعبر آلاف الكيلومترات وبأعماق تتراوح بين (65) و(70) كم تحت المسطحات المائية وبين (100) و(150) كم تحت القارات لكنها تتصل ببعضها بعضا حتى كأنها صدع واحد. هذه الشبكة الصدعية تمزق الغلاف الصخري إلى "ألواح الغلاف الصخري"، وهي ألواح صخرية تطفو فوق النطاق اللدن وشبه المنصهر عالي الكثافة والزوجة، وهو ما يُسمّى بنطاق الضعف الأرضي.

تتعرّض هذه الألواح إلى تيارات حمل من الأسفل إلى الأعلى والعكس فتتباعد هذه الأخيرة، وبعضها يصطدم ببعضها الآخر في الحواف، فتحدث نتيجة لذلك كثير من الظواهر الأرضية كتكوّن الجبال والسلاسل الجبلية والهزّات الأرضية والبراكين

(1) النجار، من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص170.

وأتساع قيعان البحار والمحيطات والزحف القاري الذي ينتج عنه في حال الاصطدام سلاسل جبلية عملاقة كما حدث أثناء اصطدام الهند بقارة آسيا والتي تكوّنت من خلالها سلسلة جبال الهملايا والتي بها أعلى قمة وهي "افريست" هذه النشاطات تساعد في تحريك دورات الماء والهواء وعوامل التعرية وتكوين التربة والصخور الرسوبية وما هو مختزن من ثروات الأرض، وما تكوّنه من خزانات صخرية للمياه الأرضية، وهو ما هيأها لحياة المخلوقات فيها، وقد أكد العلماء أنّ هذه الصدوع العملاقة وفوهات البراكين التي تصاحبها تتطلق منها الغازات والأبخرة التي كوّنت غلافي الأرض المائي والغازي ولا تزال تجددهما وتجدد الحياة فيها وأثناء هذه العملية تفقد الأرض من كتلتها إلى فسحة السماء بعضا من مادتها وطاقتها تتناسب مع ما تفقده الشمس من كتلتها على هيئة طاقة حتى تظل المسافة ثابتة، لا تنقص فتحرقتنا أشعة الشمس ولا تزيد من بعدها فتتجمد الأرض.

ثم إنّ هذه الصدوع لها الفضل أيضا في تكوّن الغلاف الصخري للأرض فهو مكوّن من صخور البازلت وهي شبيهة بصخور قيعان المحيطات الحالية وبالصخور المندفعة عبر الصدوع التي تمرّقها. كما أنّه عبر هذه الصدوع تكوّنت القشرة القارية التي لازالت تُثري إلى يومنا هذا بكثير من العناصر والمركبات والمعادن والركازات ذات القيمة الاقتصادية، وكذلك الجبال التي تثبت القارات في قيعان المحيطات والبحار أو قارتين مع بعضهما بعضا، وبتحرّك الألواح الصخرية للأرض. وليس هذا فقط بل تحدث الصدوع أيضا على مستوى الصخور على هذه اليابسة وذلك بسبب تعرّضها للإجهاد بالشد والتضاغط فتتكسر بواسطة مجموعات من الفواصل المتوازية والمتقاطعة على شكل شقوق في قشرة الأرض.

تحدث تلك الفواصل بسبب عوامل التعرية التي تقوم بإزاحة كميات كبيرة من الصخور الظاهرة على سطح الأرض، بما يعين على تخفيف الضغط عن الصخور فتستجيب بالتمدد وتنشقق. ولحدوث هذه الفواصل أهمية كبيرة في تكوين التربة وتحديد مواقع المعادن ومجري الأنهار والينابيع وتكوين الكهوف وشقّ الفجاج وسط الجبال والهضاب وغيرها من المرتفعات، وتسوية سطح الأرض.

ثالثاً: في شكل الجبال ووظيفتها

عندما نتحدث عن الجبال فنحن نشير إلى أهمّ المظاهر التضاريسية في الأرض التي ورد ذكرها بشكل مباشر في مواضع مختلفة من النص القرآني، إذ ذُكر مصطلح (الجبال) ثلاثاً وثلاثين (33) مرة بصيغة الجمع. وست (06) مرات بصيغة الإفراد، هذا العدد التكراري يوحى بأهمية الجبال وتعظيم الله لشأنها وتنبيه الإنسان للتأمل في خلقها كيفيةً وعلّةً وهدفاً. وردت هذه الأخيرة في خمسة مواضع قصصية؛ واحد في قصة إبراهيم، وثلاثة في قصة موسى، وآخر في قصة نوح- عليهم السلام- والمقصود بها جبال خاصة في أماكن معينة كجبل الطور مثلاً¹.
أما الموضع السادس فقولته تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ذُكر في معرض بيان عظمة القرآن ومدى تأثيره في الإنسان والمخلوقات كلها، ومنها الجبال، ضرب الله بها المثل لقوتها وصلابتها، ومع ذلك لا تستطيع الصمود أمام عظمة القرآن، يقول "البقاعي" مفسراً الآية: «لو أنزلنا

(1) الآيات هي: 260/البقرة. 143/الأعراف(مرتان). 171/الأعراف. 43/هود

بعظمتنا القرآن على أي جبلٍ كان لرأيته مع صلابته وقوته مطمئنا مُخبنا متذلا
باكيا متشققا غاية التشقق كما تصدّع الطور لتجلي الله له»¹.

والمتملّ للسياقات التي وُظِّفت فيها صيغة الجمع يجدها في بعض المواضع **يهدف**
وصف معاش الناس وبعض الكائنات، كقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا

ءَامِنِينَ﴾² وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾³. وفي أخرى
تُسَخَّر لوصف مظاهر أو أشياء أخرى حيناً لطولها وآخر لعظمتها وضخامتها، نحو
قوله عزّ وجلّ واصفا أمواج الطوفان تتلاطم سفينة سيّدنا نوح عليه السلام ﴿وَهِيَ

تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾⁴. ومرة ترد في ثنايا وصف قيام الساعة وما يحدث فيها
من أهوالٍ كنسف الجبال، يقول تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾⁵.

وفي مواطن أخرى تُوصف لذاتها أي الإشارة إلى خلق الجبال وطبيعتها وألوانها
وحركتها ودورها في تثبيت الأرض لإظهار آيات الله ونعمه وقدرته ودحض تشكيك
الكفار ونكرانهم، كقول الله واصفا حركة الجبال رابطا إياها بحركة الأرض: ﴿وَتَرَى

الْجِبَالَ نَحْسَبًا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَدَيْهِ أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ﴾⁶، وقوله مشيرا إلى أنواعها وألوانها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج19، ص462. (بتصرف يسير)

(2) سورة الحجر، الآية: 82.

(3) سورة النحل، الآية: 68.

(4) سورة هود، الآية: 42.

(5) سورة الحاقة، الآية: 14.

(6) سورة النمل، الآية: 88.

﴿¹ ثُمَّ أَنْظِرْ إِلَى الْآيَةِ تَشِيرُ إِلَى شَكْلِ الْجِبَالِ ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾² ودورها في تثبيت الأرض ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾³

تستوقفنا في هذا الموضوع نقطة نراها مهمة جدًا ألا وهي **توظيف الجبال في مواطن الشدة والقوة والضخامة والعظمة**، فتبصر معنا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾⁴ لقد وصف مكر الكافرين الذي كان « في غاية القوة ومنتهى الشدة، بحيث يكون معدًا لإزالة الجبال عن مقارها، وهي التي جعلها الله للأرض أوتادا تحفظ توازنها، وتضمن سلامتها»⁵، وخذ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾⁶، فهذا خطاب تحذيري يريد أن يقتلع من نفوسنا الكبر والخيلاء، لأنه مهما تطاولت في ذلك لن تبلغ طول الجبال أو ضخامتها، أنظر كيف يضرب الله المثل بالجبال في عظمتها وطولها، ومن هذا القبيل قوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾⁷.

ثم تأمل قوله عز وجل: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَعْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾⁸، لقد افتري المشركون واليهود والنصارى على الله بقولهم (لقد اتخذ الله ولدا)، وهو قول إدُّ مُنكر تنفطر منه السموات وتتصدع له الأرض، وتتحطم له الجبال

(1) سورة فاطر، الآية: 27.

(2) سورة النبأ، الآية: 07.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 31.

(4) سورة ابراهيم، الآية: 46.

(5) لجنة من علماء الأزهر، التفسير الوسيط، مرجع سابق، مج 5، ص 511.

(6) سورة الإسراء، الآية: 37.

(7) سورة هود، الآية: 42.

(8) سورة مريم، الآية: 90.

بالرغم من عظمتها. وانظر قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾¹، لقد أخبرنا الله عزّ وجلّ بعظمة الرسالة والتكاليف الشرعية ومدى خطورتها، إذ عرضها على السموات والأرض والجبال فأبت شفقة وخوفاً، لكن لماذا عرضها على تلك دون غيرها؟ إنه بلا شك أو تردّد لعظمتها.

وفي مواضع أخرى تُحذف لفظة الجبال وتوصّف بالرواسي، فأغنت الصفة عن موصوفها، إلا في موضع واحد تُذكر وتوصّف بالأوتاد، كما يُعبّر عن خلقها بالإلقاء، بينما في مواطن أخرى بالجعل. ثرى لماذا اختيار الأوتاد والرواسي والإلقاء؟ هذا ما سنجيب عنه في الجزئية التالية من خلال دراسة هذه الوحدات اللغوية لنكتشف عن سرّ تعالق هذه المفردات بمفاهيمها العلمية التي كشفها العلماء. دعونا أولاً نستهلّ ذلك بتقفي هذه المواضع في النص القرآني:

- ✓ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسِي وَأَنْهَارًا﴾²
- ✓ وقال: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾³
- ✓ و: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رِوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁴
- ✓ وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾⁵
- ✓ وأيضاً: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رِوْسِي﴾⁶
- ✓ وأيضاً: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رِوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾¹

(1) سورة الأحزاب، الآية: 72.

(2) سورة الرعد، الآية: 03.

(3) سورة الحجر، الآية: 19.

(4) سورة النحل، الآية: 15.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 31.

(6) سورة النمل، الآية: 61.

✓ وأيضا: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾²

✓ وأيضا: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾³

✓ وأيضا: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾⁴

✓ وأيضا: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾⁵

✓ وأيضا: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾⁶

لو أمعننا النظر في الآيات السابقة لوجدناها تجمع بين إحدائيات مهمة، أولها؛ مدّ الأرض فلا يرد هذا الأخير إلا مقتربا بذكر الرواسي. وثانيها: ذكر الرواسي مقتربة بعدم ميدان الأرض في غياب ذكر مدّ الأرض. وأما ثالثها: فوصف الجبال بالأوتاد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تُذكر الرواسي في آيات كثيرة مع الإلقاء، فما سرّ ذلك؟ نجيب عن هذه الأسئلة بدراسة المفردات الثلاث المذكورة.

1- الإلقاء:

لعلك لاحظت أنّ الجبال أو الرواسي - وهذه الأخيرة هي وصف ينوب عن الموصوف أي الجبال في كثير من المواضع - ترد أحيانا مع فعل الإلقاء، وأحيانا تُستبدل بمفردة (جعل) على الرغم من تباين دلالتهما، ف(جعل) تعني « وَضَعَ الشَّيْءَ وَصَنَعَهُ وَخَلَقَهُ وَهَيَّأَهُ... »⁷ وهي دلالة عامة إذا قارناها بالإلقاء كما سيُرد تفصيل ذلك، وأختيرت هذه المفردة - أي جعل - تماشيا مع السياق ودلالاته، فانظر مثلا

(1) سورة لقمان، الآية: 10.

(2) سورة فصلت، الآية: 10.

(3) سورة ق، الآية: 07.

(4) سورة المرسلات، الآية: 27.

(5) سورة النبأ، الآية: 27.

(6) سورة النازعات، الآية: 32.

(7) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج1، ص637. (بتصرف يسير).

إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾¹. تردُّ هذه الآية في سياق تعداد آيات الله ومظاهر قدرته ووحدانيته ردًا على من كفروا به ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾² الذين قالوا ﴿أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾³، فكان الحديث عن الخلق والجعل لكن في سياق سريع وبإيجاز يتناسب مع حال المخاطبين وأسباب النزول، يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁴

فتأمل كيف يُنقل في ذكر النعم من السماء إلى الأرض والماء والليل والنهار بوتيرة سريعة، فكان الهدف هو ذكر وجود هذه النعم وليس التفصيل في كيفية خلقها وهيئتها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية وُظف هذا الفعل تناسبا مع السياق اللغوي القريب من هذه الوحدة اللغوية والمجاور لها والذي وُظف فيه هذا الفعل أربع مرات. والشيء نفسه في الآيات التي وُظف فيها هذا الفعل كسورة الرعد والنمل وفصلت والمرسلات، كلها سور مكية، إذا استثنينا سورة الرعد التي اختلف العلماء في كونها مكية أو مدنية، ويذهب "الطاهر بن عاشور" إلى أنها «مكية كلها أو معظمها، ومعانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكي من الاستدلال على الوجدانية

(1) سورة الأنبياء، الآية:31.

(2) سورة الأنبياء، الآية:30.

(3) سورة الأنبياء، الآية:26.

(4) سورة الأنبياء، الآية:30-33.

وتفريع المشركين وتهديدهم»¹ لهذا تميّزت كغيرها من السور المكية بـ« كون موضوعاتها تدور حول أمور العقيدة والآخرة ومجادلة المشركين وقصص الأنبياء، وكون عباراتها تتميز بقصر الفواصل وقوة الألفاظ والإيجاز»² ، إذ تستعرض النعم ومنها خلق الجبال في سياق المحاجبة والتفريع الشديد والإيجاز الذي لا تفصيل فيه. لكن لماذا اختيار الإلقاء والرواسي والأوتاد؟

يتردّد الجذر (لقى) بنسبة أربع وخمسين (54) مرة في النص القرآني بصيغ مختلفة: بفعل الأمر المُسند إلى ضمير الخاطب المفرد والمثنى والجمع (ألق) و(ألقيا) و(ألقوا) وكذلك الفعل الماضي الذي أسند إلى ضمائر مختلفة (ألقى) و(ألقوا) و(ألقيتُ) و(ألقينا) سواء أكان مبنياً للمعلوم أم إلى ما لم يُذكر فاعله ك(ألقى) و(ألقوا) والمضارع (سألقي) ، يكون هذا الإلقاء لأشياء مادية كالعصا، يقول عزّ وجلّ مخاطباً موسى عليه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾³ أو الجبال والعصي ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾⁴ أو الألواح ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ ﴾ أو أشخاصاً كسيدنا "يوسف" عليه السلام حين ألقى في الجب ﴿ وَالْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ ﴾⁵ أو الكفار في الجحيم ﴿ إِذَا أَلْقَوْا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾⁶ أو قميصاً كما في

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج13، ص76.

(2) الجابري (محمد عابد)، مدخل إلى القرآن الكريم، في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ط1، ج1، ص237.

(3) سورة الأعراف، الآية: 117.

(4) سورة الشعراء، الآية: 44.

(5) سورة يوسف، الآية: 10.

(6) سورة الملك، الآية: 7.

قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾¹ أو «الموتى والكنوز»² كما في آية الانشقاق ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾³ أو كتابا كالذي حمله الهدد إلى بلقيس وقومها ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ﴾⁴... الخ، وقد يكون إلقاء لأشياء معنوية ككلمة الله في قوله تعالى ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾⁵ أو الصلح والانقياد أو الإسلام⁶ في قوله تعالى ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾⁷ أو الرعب كما في قوله تعالى ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾⁸... الخ

أما إلقاء الجبال فورد في المواضع التي أشرنا إليها سابقا، فما المقصود بالإلقاء لغة وبم فسرّه علماء التفسير؟ ومن ثمّ ما المقصود بإلقاء الجبال؟ وهل يحقّق ذلك تعالقا بينها وبين المفاهيم العلمية المستجدّة؟

التحليل المعجمي لمفردة (ألقي)

من (لقى) وهو «أصول ثلاثة: أحدها يدلّ على عوج، والآخر على توافي شيئين، والآخر على طرح شيء. فالأول اللقوة: داء يأخذ في الوجه يعوجّ منه... والدلو التي

(1) سورة يوسف، الآية:96.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص105.

(3) سورة الانشقاق، الآية:04.

(4) سورة النمل، الآية:28.

(5) سورة النساء، الآية:171.

(6) الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص16.

(7) سورة النساء، الآية:90.

(8) سورة الأنفال، الآية:12.

إذا أرسلتها في البئر وارتفعت أخرى شالت معها...ومن الأصل الثاني: الملاقاة وتوافي الاثنين متقابلين، ولقيته لقوة، أي مرة واحدة...والأصل الآخر: ألقيته: نبذته¹ إذا ما يهمننا في هذا الجذر هو أصله الثالث، يقول "الخليل": «واللقى: ما ألقى الناس من خرقة ونحوه»²، يشير إلى ذلك "الجوهري" قائلا: «وألقيته أي طرحته. تقول: ألقه من يدك، وألق به من يدك. وألقيتُ إليه المودة وبالمودة...واللقى بالفتح: الشيء الملقى لهوانه»³. يؤكد دلالة الطرح "ابنُ سيده" في معجمه (المحكم) ف« ألقى الشيء: طرحه، وقوله: يمتسكون من حذارِ الإلقاء بتلعاتٍ كجذوع الصيياء إنما أراد: أنهم يمتسكون بخيزران السفينة خشية أن تُلقِيهم في البحر»⁴. ولقاه الشيء، وألقاه إليه، وبه فسّر الزجاج قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ [النمل:6] أي: يُلقى إليك القرآن وحيا من عند الله. واللقى: الشيء الملقى. والجمع: ألقاء...والألقية: ما أُلْقِيَ»⁵.

وقد نقل "ابن منظور" كل هذه المعاني، ومما قاله أيضا: «وألقى الشيء: طرحه. وفي الحديث: إنَّ الرجلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمة ما يُلقى لها بالا يهوي بها في النار...وفي حديث حكيم بن حزام: وأخذت ثيابها فجعلت لقي أي مُرْمَاءَ مُلقاةً. قال ابن الأثير: قيل أصل اللقى أنهم كانوا إذا طافوا خلعوا ثيابهم، وقالوا لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها، فيلقونها عنهم ويسمون ذلك الثوب لقي، فإذا قضوا نسكهم لم يأخذوها،

(1) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج5، ص260-261.

(2) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج4، ص97. (مادة لقي).

(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، ج5، ص2484.

(4) ويورده "ابن دريد" في الجمهرة وانطلق من كون (تلعة) تدلّ على طول عنق ال. كما أورده البغدادي في خزنة الأدب، انظر: البغدادي (عبد القادر)، خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، ج4، ص233.

(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، مصدر سابق، ج6، ص506. مادة (لقى)

وتركوها بحالها مُلقاة»¹ يتَّضح مما تقدم من أقوال علماء المعجم العربي في عرضهم للمعطى المعجمي للفظة (ألقى) أنهم يتفقون على أنّ المقصود منها طرح الشيء ورميه، يقول "جبل": «وكلّ (إلقاء) فهو طَرَحٌ للشيء حيث يُلقَى أي يُرى»²

التحليل الدلالي لمفردة (ألقى) عند المفسرين

فسر العلماء إلقاء الجبال من جهة وظيفتها التي تكمن في تثبيت الأرض، وفُسِّرت كلُّ الآيات التي تتضمن هذا التركيب - أي إلقاء الجبال - من هذا المنطلق، ولم تُفسَّر مفردة ألقى بحكم أنّ جميع المفسرين ما اختلفوا أبداً في مقصودها وهو خلقها ووجودها وطرحها في الأرض، يقول "الطبري": «وألقينا في ظهورها رواسي، يعني جبالا ثابتة»³ وإلى هذا ذهب جلّ العلماء والمفسرين كـ"الثعلبي"⁴ و"القرطبي"⁵ و"البقاعي" الذي أضاف أنّ خلق الجبال كان «لئلا تميل [أي الأرض] بأهلها، وليكون لهم علامات»⁶ وهذا عين ما رآه "الرازي" الذي نقل كلام ابن عباس وهو أنّ الله «لما بسط الأرض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرساها الله تعالى بالجبال النقال لكيلا تميل بأهلها... ويجوز أن يكون المراد أنه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الأرض ونواحيها لأنها كالأعلام»⁷

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص4066. مادة (لقا).

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص1991.

(3) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج4، ص472.

(4) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج5، ص335.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج10، ص13.

(6) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج11، ص34.

(7) الرازي، مفاتيح الغيب، ج19، ص174-175.

والشيء نفسه نقله المفسرون المحدثون، منهم "الألوسي"¹ و "الزحيلي" في (التفسير الوسيط)² لكن "الطاهر بن عاشور" قدّم التفاتة ذكيةً جداً علّل فيها اختيار الفعل (ألقى) دون غيره، واقترب من التحليل العلمي لإلقاء الجبال على الرغم من كونه تفسيراً عاماً بسيطاً غلب عليه الظنّ، إذ يقول: « وهذه المخلوقات [ويقصد الجبال] لما كانت مجعولة كالتكلمة للأرض وموضوعة على ظاهر سطحها عبّر عن خلقها ووضعها بالإلقاء الذي هو رمي شيء على الأرض. ولعلّ خلقها كان متأخراً عن خلق الأرض، إذ لعلّ الجبال انبثقت باضطرابات أرضية كالزلازل العظيم...ولعلّ أصل تكوين الجبال كان من شظايا رمت بها الكواكب فصادفت سطح الأرض، كما أنّ الأمطار تهاطلت فكوّنت الأنهار؛ فيكون تشبيه حصول هذين بالإلقاء بيّناً.»³

أجل، لقد كان توظيف الفعل (ألقى) قصدياً دقيقاً لا يمكن استبداله بوحدة أخرى ودلالته المعجمية كانت عاملاً في توظيفه ومن ثمّ تعلقه مع المفهوم العلمي لخلق الجبال وإلقائها. والتحليل العلمي يوضّح ذلك.

التحليل العلمي لمفهوم (الإلقاء):

الجبال « مصطلح عام يستخدم للإشارة إلى منطقة موجودة في ارتفاع أعلى بشكل واضح من الأراضي المحيطة بها، وهي أكبر من التلال.»⁴ ويعرّفها "زغلول النجار" « بأنها أشكال أرضية بارزة فوق سطح الأرض، تتسم بقممها العالية،

(1) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج14، ص28-29.

(2) الزحيلي، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ج2، ص1216.

(3) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج14، ص120-121.

(4) Alva Kurniawan, John Mc.Kenzie, Jasmine Anita Putri, **General dictionary of Geology**, Environmental Geographic student Association, Yogyakarta, Indonesia, 2009, Ed1, p34.

وسفوحها المنحدرة، وبوجودها على هيئة أطواف، أو منظومات، أو سلاسل، أو أحزمة، أو مجموعات من تلك الأحزمة الجبلية التي تتكوّن عادة متوازية أو قريبة من التوازي مع بعضها البعض¹، وإن كانت بعض الجبال توجد على هيئة مرتفعات وحيدة بصورة جبل واحد²

تحدّد أنواع الجبال وأشكالها انطلاقاً من عوامل تشكّلها وكيفية حدوثه، ومعرفة ذلك أمر مهمّ لأنّه يفسّر الفعل (ألقى) ويعلّل اختياره. فهناك الجبال البركانية (Volcanic Mountains) التي تنشأ بسبب مقذوفات البراكين، هذه الأخيرة التي «تكثر عند الحدود الفاصلة خاصة عند حدود التباعد بين الألواح الاثني عشر الكبيرة بالإضافة إلى عدد أقل من ألواح الغلاف الصخري الصغيرة (اللويحات) التي تطفو جميعها على سطح لدن شبه منصهر يُعرف باسم (نطاق الضعف)، ومعظم هذه البراكين تُلقى بحمما من أسفل إلى أعلى، وتظل تلك الحمم تتراكم فوق بعضها بعضاً لتكوّن كتلا جبلية معزولة من الصخور البركانية تصل ارتفاعاتها إلى آلاف الأمتار فوق مستوى سطح البحر؛ لأنّ معظم هذه البراكين يستمرّ في نشاطه لفترات تتراوح بين عشرين (20) وثلاثين (30) مليون سنة، وإن كان بعضها قد يستمرّ نشاطه لأكثر من مائة مليون سنة. ومن أمثلة الجبال البركانية جبل "أرارات" (5100 متر) في تركيا، وجبل "انتا" (3300 متر) في صقلية، وجبل "فيزوف" (1300 متر) في إيطاليا، وجبل "كليمنجارو" (5900 متر) في تنزانيا»³ ألا ترى إذاً أنّ إلقاء الجبال

(1) هكذا وردت والأصح قولنا: بعضها بعضاً.

(2) النجار، من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 252. وانظر أيضاً للمؤلف

نفسه: **The Geological concept of mountains in the qur'an**, Al-falah foundation for

translation, publication and distribution, Cairo-Egypt, 2003, (w.ed), p13-14

(3) المرجع السابق، ص 252. (بتصرف يسير)

كان لإلقاء الحمم البركانية التي تتشكل من خلالها هذا النوع من الجبال، يقول إبراهيم محمد رضا¹ « وقد تتطاير مفتتات مادة الحمم نفسها في الهواء وتسقط بالقرب من فوهة البركان في صورة جمر خامد وتسمى القنابل البركانية¹: وهناك نوع آخر ينتج عن ظواهر تكتونية أخرى كظاهرة الصدع التي تصطمم فيها الصفائح ببعضها بعضا يكون هذا الاصطدام والانضغاط قويا عنيفا فتحدث تصدّعات في القشرة الأرضية وشقوق، وهذا ما يدفع بالمواد التي كانت تحت القشرة الأرضية بالاندفاع إما للأعلى فتتساقط بذلك جبال صدعية، والاندفاع هنا هو إلقاء لهذه المواد خارجا، وإما للأسفل فتكون الصدوع أخدودية. والنواتج عن الأمرين جبال الكتل الصدعية.

وشبيه بهذا ما يحدث مع الجبال المقبية التي تتشكل نتيجة اندفاع الصحارة (الماغما) من باطن الأرض باتجاه السطح لكنها لا تستطيع اختراق هذا الأخير فتبرد وتتصلب مُشكّلة قبة نحو الأعلى لتراكم تلك المواد تحتها، وبمرور الزمن وعوامل التعرية والحتّ تتحوّل هذه القبة إلى جبال دائرية الشكل.

يفصل " النجار " كيفية نشوء نوع من الجبال وهي المطوية التي تتكوّن بفعل إلقاء الصخور الرسوبية والنارية والمتحولة المتجمّعة فوق قيعان المحيطات إلى حواف القارات، وتنتعّض إلى عمليات مثل الطيّ والتصدّع والطفوح البركانية وعمليات الإلقاء من الأسفل إلى الأعلى أو العكس. وقد لاحظ العلماء أنّ تكوّن هذا النوع من الجبال يسبقه نشوء أحواض أرضية عملاقة تُقدّر أطوالها بمئات الكيلومترات واتساعها بعشرات الكيلومترات وأعماقها بعدّة مئات من الأمتار ولكن قيعانها تهبط باستمرار تحت أوزان ما يتجمّع فيها من رسوبيات وطفوح مما يؤدي إلى تراكمات من الصخور الرسوبية المتبادلة مع الطفوح البركانية يزيد سمكها عن 1500 متر، وكذلك

(1) إبراهيم(محمد رضا)، في الجيولوجيا، مرجع سابق، ص 97.

الفتات الصخري والرسوبيات، تُلقى كل هذه الأشياء من أعلى ماء البحار إلى قيعانها إلقاءً حقيقياً، أما الطفوح البركانية المتداخلة معها تُلقى أثناء الثورات البركانية من أسفل إلى أعلى.

والأحواض الأرضية التي أشرنا إليها آنفا هي الأخرى تكوّنت بفعل الصدوع الخسفية العميقة التي تعمل على هبوط تلك الأحواض ببطء ومن ثمّ تتراكم فيها الصخور الرسوبية والبركانية بعملية إلقاء من أعلى إلى أسفل و من أعلى إلى أسفل¹.

إذاً كما ترى لعبت الدلالة المعجمية دورها في اختيار مفردة (ألقى) للإشارة إلى خلق الجبال ومن ثمّ تعالقها مع المفهوم العلمي الذي توصل إليه العلماء، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقبل السياق العلمي بديلاً لهذه الكلمة ولو بدت مرادفةً لها.

2- الأوتاد:

لم ترد هذه الكلمة سوى في ثلاثة مواضع وبصيغة الجمع فقط ، هي:

✓ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾²

✓ وقوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾³

✓ وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾⁴

وردت هذه المفردة في سور مكيّة تناولت -كغيرها من هذا النوع - قضايا عقديّة رئيسة، فسورة (ص) تعرض قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى النبي محمد صلى

(1) النجار، من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص252-254. (بتصرف)

(2) سورة ص، الآية: 12.

(3) سورة الفجر، الآية: 10.

(4) سورة النبأ، الآية: 07.

الله عليه وسلم ودعوته إلى الصبر أمام تعنت الكفار وتكذيبهم، فهذا دأب الرسل من قبله، كما تُوجّه النظر إلى قضية الحساب في الآخرة. والمقصد العام لسورة النبأ إثبات عقيدة البعث والحساب بعد الموت التي لطالما أنكرها المشركون، قدمها الخطاب القرآني ممزوجة بالوعيد والتقريع. وكذلك سورة الفجر محورها هو موضوع العقيدة، تركز على البعث يوم القيامة ردًا على المكذّبين من كفار مكة الذين أشبهوا أقواما كفرت وكذّبت كقوم عاد وثمود وفرعون وقومه فكان مصيرها العقاب الوخيم والوبال الشديد. في سياق ما ذكرناه يرد ذكر الأوتاد تعريفًا في الموضعين الأولين وتتكيرا في الثالث. لكن ما المراد بالأوتاد؟ ولماذا أُختيرت في هذه المواضع؟

التحليل المعجمي لمفردة (الأوتاد)

الأوتاد واحدها وَتَدٌ وَوَتْدٌ وهما « كلمة واحدة. ووَتِدَ الأذن: الذي في باطنهما كَأْتَهُ وَتِدٌ»¹. يضيف "ابن سيده" على ما جاء في معجم المقاييس (الوَدُّ) بإبدال التاء دالا وإدغامها في الدال، وكلها- الوَتْدَ والوَتِدَ والوَتْدُ والوَدُّ- « ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع: أوتاد... ووَتَدَ الوَتْدُ وَوَتَدًا وَوَتِدَةً، ووَتَدَ، كلاهما: ثبت... وأوتاد الأرض: الجبال؛ لأنها تُنْبَتُّها، وأوتاد البلاد: رؤسائها. وأوتاد الفم: أسنانه على التشبيه... ووَتَدَ في بيته: أقام وثبت. ووَتَدَ الزَّرْعُ: طلع نباته فثبت وقوي. والوَتِدَ والوَتْدَةُ من الأذن: الهنْيَةُ الناشزة في مُقَدِّمِها مثل الثَوْلُولِ، تَلِي أعلى العارض من اللحية، وقيل: هو المُنْتَبِرُ مما يلي الصُدْعَ. ووَتِدَ النَّعْلُ: الناتئ من أُنْجِيها...»² و « وَتَدٌ وَوَتْدٌ:

(1) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج6، ص83.

(2) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج9، ص414. وانظر أيضا: الفيروزآبادي، القاموس

المحيط، مصدر سابق، ص324. (مادة وتد)

ثابت الرأس منتصبٌ... وإذا أمرت قلت: تَدِ وتَدَك بالميّدة وهي المَدُقُ... ووتد فلانٌ رجله في الأرض إذا ثبّتها؛ وقال بشّار:

ولقد قلتُ حين وتدّ في الأز ض: ثبيرٌ أرى على ثهلان¹

واعتبر "الزبيدي" دلالة الأوتاد على الجبال «مجازا كما من المجاز أيضا قرنٌ واتدٌ: منتصبٌ»². ومن منطلق المعاني المعجمية السابقة عرّف "حسن الدين الجمل" الودت بكونه «قطعة من خشب أو حديد تُثبّت في الأرض أو الجدار يُشدُّ بها حبل هو زمام لدابة، والجمع أوتاد»³

الملاحظ إذا أنّ الدلالة المعجمية لمادة (وتد) تجتمع في الثبات والانتصاب، فالودت يُثبّت في الأرض لتشدُّ الخيام به أو ما شابهها وهو منتصبٌ، ووتد الزرع تُثبّت في الأرض وبالتالي انتصب، وسُميت الأسنان أوتادا للفم لأنها ثابتة في لثته منتصبه، وكذلك الجبال في الأرض، والدليل وصفها في القرآن بقوله تعالى ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾⁴

ثم إنّ الودت «عود غليظ له رأس مفلطح يُدقُّ في الأرض ليُشدَّ به الطُّنبُ، وهو الحبل العظيم الذي تُشدُّ به شقّة البيت والخيمة فيُشدُّ إلى الودت وترفع الشقّة على عماد البيت، قال "الأفوه الأودي":

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص4757. (مادة وتد). أورد ابن منظور "ثهلان" بضم الناء

وترد في كثير من الدواوين والكتب مفتوحة.

(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مصدر سابق، ج9، ص250-252. (مادة وتد)

(3) الجمل (حسن عز الدين)، مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، مرجع سابق، مج5،

ص188. (مادة وتد)

(4) سورة الغاشية، الآية: 19.

والبيت لا يُبْتنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم تُرْس أوتاد¹»²

فكيف إذا تَوَسَّس هذه الدلالة المعجمية أرضيةً للتعلق بين هذه الكلمة وما تدل عليه في النص القرآني عند المفسرين ثم المفهوم العلمي بعد ذلك؟

التحليل الدلالي لمفردة (الأوتاد) عند المفسرين

كما سلف الذكر، وردت مفردة الأوتاد في النص القرآني بصيغة الجمع فقط، وفي المواضع الثلاث السابقة. أما سورة (ص) والفجر المكيّتان، فقد نزلت الأولى « لتوبّخ المشركين على تكذيبهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتكبيرهم عن قبول ما أُرسِلَ به، وتهديدهم بمثل ما حلّ بالأمم المكذّبة... وتسلية الرسول عن تكذيبهم وإثبات البعث ووصف أحوال المؤمنين والطاغين يوم القيامة»³ وبمثل سبب نزولها، ضربت سورة الفجر « المثل لمشركي مكّة في غرورهم وإعراضهم عن الرسالة بعاد وثمود وقوم فرعون وأنذرتهم بعاقبتهم وعذاب الآخرة، يوم لا ينفعهم ندمهم»⁴.

في هاتين السورتين إذا ذُكرت الأوتاد مقترنةً بفرعون، واختلف المفسرون في دلالتها ونسبتها إليه، فمنهم من رأى أنّها «المُلك والرّجال»⁵ أو « الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشدّ مُلكه»⁶، فكانوا كالأوتاد لمُلكه كما هي للخيمة أو البيت،

(1) انظر: الأودي (الأفوه)، ديوان الأفوه الأودي، شر وتحو: محمد التونجي، دار صادر، بيروت-لبنان، 1998، ط1، ص65.

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج23، ص220.

(3) المرجع نفسه، ج23، ص202. (بتصرف)

(4) المرجع نفسه، ج30، ص312. (بتصرف)

(5) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص169.

(6) انظر: القرطبي، الجامع، ج22، ص273. والتعلبي، الكشف والبيان، ج8، ص180-181. وكتب تفسير أخرى كثيرة.

أو لأنهم - أي جنوده - كانت لهم « مضارب يضربونها إذا نزلوا »¹. ورأت فئة أخرى أنه سُمِّي كذلك لأنه « كان يعذب الناس بأربعة أوتاد يشدهم فيها، ثم يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشده »². واعتقد بعض المفسرين « أنها ملاعب من أوتاد، يُلعبُ له عليها »³. بينما ذهب كثيرٌ منهم إلى كونها « البناء المحكم »⁴. وعلى الرغم من إمكانية وجود كل ذلك عند فرعون، يقول "الرازي": « واعلم أنّ الكلام محتَمِل لكل ذلك »⁵ إلا أننا نعتقد رجحان الكفة نحو البناء المحكم الشاهق، لأنه أقوى وأظهر في سياقه سواءً أكان في سورة (ص) أم الفجر، يدعم موقفنا هذا "الطاهر بن عاشور" في تفسيرٍ لهذه الكلمة نسبته إلى "ابن عباس" و"الضحاك"، إذ يقول: « الأوتاد: البناءات الشاهقة. وهو عن ابن عباس والضحاك، سُميت الأبنية أوتادا لرسوخ أسسها في الأرض. وهذا القول هو الذي يتأيد بمطابقة التاريخ فإن فرعون المعني في هذه الآية هو الذي خرج بنو إسرائيل من مصر في زمنه وهو من ملوك العائلة التاسعة عشر في ترتيب الأسر التي تداولت ملك مصر، وكانت هذه العائلة مشتهرة بوفرة المباني التي بناها ملوكها من معابد ومقابر »⁶

وهو الشيء عينه الذي يدافع عنه "لؤي فتوح" في كتابه (التاريخ يشهد بعصمة القرآن الكريم تاريخ بني إسرائيل المبكر) والذي يرى أنّ الأوتاد التي نُسبت إلى

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج 31، ص 169.

(2) ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين)، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ص 1203.

(3) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 6، ص 338.

(4) انظر مثلا: الثعلبي، كشف البيان، ج 10، ص 196، و الرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 168، والطبري، تفسير الطبري، ج 7، ص 516. والباقعي، نظم الدرر، ج 31، ص 27. والزحيلي، التفسير الوسيط، ج 3، ص 2872.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج 31، ص 169.

(6) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 23، ص 220-221.

فرعون إنما هي « البناءات العالية على خلاف الأرض المنبسطة»¹ ويقصد الأهرامات والبناءات الشاهقة في عهد فرعون الذي تحدّثت عنه السورة، والدليل على صحّة هذا التفسير السياق القريب من (فرعون ذي الأوتاد) في السورتين، فتأمله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾² وفي سورة الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٣﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾﴾³

لقد سبق ذكر فرعون بالإشارة إلى قوم عاد في السورتين كما أتبع في سورة الفجر بذكر ثمود، فما السرّ في ذلك؟ إنه ردٌّ على المشركين الذين كذبوا فذكّرهم الله بعقابه لأقوام كانت أكثر قوّةً وشدّةً ومن بين مظاهر هذه القوة البناءات الشاهقة، يشرح "الرازي" ذلك معللاً وصف عاد بذات العماد قائلاً: « قيل ذات البناء الرفيع، وإن جعلناه اسم البلد، فالمعنى أنّها ذات أساطين أي ذات أبنية مرفوعة على العمدة وكانوا يعالجون الأعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور، قال تعالى في وصفهم: ﴿أَتَّبِعُونَ كُلَّ رِيعٍ أَيَّ آيَةٍ تَعْبَثُونَ﴾⁴ أي علامة وبناء رفيعاً»⁵، وكذلك وصفها "البقاعي" معتبراً إياها « من البناء العجيب والشأن الغريب... أي البناء العالي الثابت بالأعمدة التي لم يكن في هذه الدار مثلها»⁶ أما ثمود ف«قطعوا الصخر ونحتوه، وبنوا بالأحجار بيوتاً

(1) فتوحى (لؤي) والدركزلي (شذى)، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم تاريخ بني إسرائيل المبكر، دار

الحكمة، لندن - بريطانيا، 2002، ط1، ص120.

(2) سورة ص، الآية: 11-12.

(3) سورة الفجر، الآية: 6-7-8-9-10.

(4) سورة الشعراء، الآية: 128.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص168.

(6) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج31، ص27.

يسكنون فيها، وقصورا عظيمة»¹. إذا الميزة المادية المشتركة بين قوم عاد وثمود هو البناء العالي، فمن باب تحقيق وجه التناسب بين ذكرهما وذكر فرعون وقومه هو تفسير الأوتاد بالبناءات المرتفعة الشاهقة، والتناسب في ذكر الأشياء أسلوب قرآني متميز، وسمة لازمة لهذا النص، فانظر قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ ﴿١﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٢﴾﴾، يعدد الله نعمه فيذكر اثنتين مما يوجد في السماء وهما الشمس والقمر ثم اثنتين مما في الأرض، وهما النجم أي الشجر الذي لا ساق له وما له ساق أي الشجر. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾﴾³.

ألا ترى أن الله يذكر آياته في السماء أولا بما فيها من كواكب ثم ينتقل إلى الأرض بما تحوي من بحار وقبور؟ إن هذا النوع من التناسب كثير جدا في القرآن الكريم. وهذا بالضبط ما ورد في الموضوعين اللذين وردت فيهما عبارة ﴿وَفَرَعُونَ ذُؤَالِئًا﴾، كان ذلك في معرض ذكر أمم عذبها الله لطغيانها ومن المظاهر التي كانت سببا في تمردها قوتها وما شيدت من بناءات عالية، ما يُعضد قولنا هذا هو أن ذكر فرعون كان في واحد وسبعين موضعا في النص القرآني وُصِفَ في كثير منها بالإسراف والعلو والطغيان والاستكبار... الخ، لكن لم يُوصف بذئ الأوتاد إلا في الموضوعين السابقين المقترنين بعاد وثمود، وهو سياق يذكر ارتفاع بنائهم.

يوكد هذا "لؤي فتوحى" حين تطرق للآيات الأولى من سورة الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ تَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

(1) الزحيلي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج3، ص2872.

(2) سورة الرحمن، الآية: 5-6.

(3) سورة الانفطار، الآية: 1-4.

الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿١﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ¹ قائلًا: «تُذَكَّرُ هذه المجموعة من الآيات الناسَ أولاً بقوم عاد الذين دأبوا على بناء أعمدة عالية، ثمَّ بقوم ثمود الذين كانوا يشقون الصخور في الوادي لبناء البيوت، وأخيراً بـ﴿فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ إِنَّ فهم (أوتاد) على أنها تشير إلى أدوات كان يستخدمها فرعون في صَلْب الناس يجعل من ﴿فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ عبارة لا محلَّ لها في سياق المجموعة أعلاه من الآيات الكريمة.

على العكس من هذا، إِنَّ فهم (الأوتاد) هنا على أنها إشارة إلى مبانٍ كبيرة وعالية يجعل الربط بين الآيات أعلاه واضحاً جداً كونها جميعاً تصف أناساً مفسدين اعتادوا بناء المباني الضخمة والأمنية قبل أن يحلَّ عليهم غضب الله ويفنيهم»² ثمَّ يواصل مشيراً في دراسة تاريخية إلى أنَّ فرعون المقصود في هذه الآيات هو "فرعون الخروج رمسيس الثاني"³، ويقول: «إِنَّ وصف القرآن الكريم لفرعون بـ(ذي المباني) هو أدقُّ ما يمكن أن يُوصَف به هذا الفرعون، لأنَّ هذا هو بالضبط ما ميّز رمسيس الثاني عن باقي الفراعنة، إذ انشغل بمشاريع البناء أكثر من أيِّ فرعون آخر في تاريخ مصر الفرعونية. حيث بنى رمسيس الثاني في طول مصر وعرضها تماثيلَ ضخمة ومعابدَ بشكل استثنائي بين فراعنة مصر...»⁴

إذاً هذا ما ذهب إليه المفسرون في دلالة الأوتاد باقترانها بفرعون، وما رجحناه في ظل هذه القراءات، هو كون الأوتاد بنايات عالية شاهقة، وما يجمع بينها

(1) سورة الفجر، الآية: 6-7-8-9-10.

(2) فتوحى (لؤي) والدركزلي (شذى)، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم تاريخ بني إسرائيل المبكر، مرجع سابق، ص 120.

(3) انظر: المرجع نفسه ابتداء من ص 117.

(4) المرجع نفسه، ص 120-121.

وبين الجبال هو العلو والانتصاب في الأرض، وما يؤكد هذه الدلالة الآية السابعة من سورة النبأ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، وردت هذه الآية بعد قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾¹ فهي إشارة إلى انتصاب الجبال في الأرض التي تُعَدُّ « فراشا وموطئا مذلا يمكن الاستقرار عليه»²، وجُلُّ العلماء الذين فسروا هذه الآية أشاروا إلى كون الجبال أوتادا تثبت الأرض، يقول "الطبري": «﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ لَكُمْ (مهادا) تمنهدونها وتفترشونها...والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم»³ وهكذا فعل "الزمخشري"، قال: « أرسيناها بالجبال كما يُرْسَى البيت بالأوتاد»⁴، يؤكد "بن عاشور" ما قيل مفصلا إياه: « ومناسبة ذكر الجبال دعا إليها ذكر الأرض وتشبيهها بالمهاد الذي يكون داخل البيت فلما كان البيت من شأنه أن يخطر ببال السامع من ذكر المهاد كانت الأرض مشبهة بالبيت على طريقة [الاستعارة] المكنية فشُبِّهت جبال الأرض بأوتاد البيت تخبيلا للأرض مع جبالها بالبيت ومهاده وأوتاده. وأيضا فإن كثرة الجبال الناتئة على وجه الأرض قد يخطر في الأذهان أنها لا تناسب جعل الأرض مهادا فكان تشبيه الجبال بالأوتاد مستملا بمنزلة حُسْن الاعتذار...ويجوز أن تكون الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة في أنها تشد الخيمة من أن تقلعها الرياح أو تزلزلها بأن يكون في خلق الجبال للأرض حكمة لتعديل سَبْح الأرض في الكرة الهوائية إذ نُتُوَّ الجبال على الكرة

(1) سورة النبأ، الآية:06.

(2) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج21، ص195.

(3) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج7، ص440.

(4) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج30، ص1172. وانظر أيضا: القرطبي، الجامع لأحكام

القرآن، ج22، ص7. والرازي، مفاتيح الغيب، ج31، ص7، وغيرهما من التفاسير.

الأرضية يجعلها تكسر تيار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض فيعتدل تياره حتى تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة»¹

ومع صحة كل ما قيل، إلا أننا نلفت الانتباه إلى نقطة نراها مهمة جداً وهي أن وصف الجبال بالأوتاد هو إشارة مورفولوجية شكلية للجبال قبل أن تكون ذكراً لدور الجبال في تثبيت الأرض، فتأمل معنا.

إن وصف الجبال بالأوتاد كان بعد وصف الأرض بالمهاد، الذي فيه إشارة إلى الانبساط والتذليل، ويشبه هذا ما ورد في سورة الغاشية ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٤﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٥﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٦﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٧﴾²، فانظر كيف يشير تعالى إلى التنوع التضاريسي بصفته نعمة من نعم الله التي تثبت قدرته ومنها نصب الجبال في مقابل رفع السماء وسطح الأرض، فنصب الجبال هو وتذنها ومن ثم هو إشارة إلى العلو والشهوق في هذا الموضع نظيراً لسطح الأرض وبسطها، يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسَ شَمَخَاتٍ﴾³. ثم ألا ترى أن ذكر الجبال ووصفها بالأوتاد لا يقترن إطلاقاً بذكر ميدانها عكس وصفها بالرواسي كما سنرى فيما بعد.

إذاً الذي نذهب إليه أن توظيف مفردة الأوتاد فيه إشارة مورفولوجية شكلية للجبال والتي تدلّ على شموخها وعلوها وارتفاعها الشديد وانتصابها في الأرض، ثم هي إشارة لدورها في تثبيت الأرض، نفهم ذلك ضمناً من خلال توظيف هذه

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص15.

(2) سورة الغاشية، الآية: 17-20.

(3) سورة المرسلات، الآية: 27.

المفردة، لأنّ الخالق عزّ وجلّ يصرّح فيما بعد بهذا الدور عندما يوظّف مفردات أخرى وهي الرواسي وأرسي والراسيات وهذا ما سنفصّل فيه القول فيما بعد .

التحليل العلمي لمفهوم (الأوتاد)

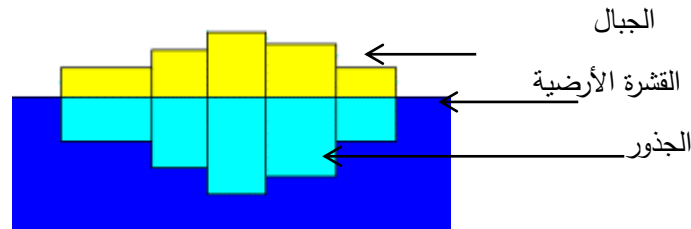
ذكرنا أنّ الجبال هي الشكل التضاريسي المرتفع عما حوله، والذي ينتهي عادة بقمة، ويتجاوز ارتفاعه أربعمئة متر (400 م) حدّا أدنى، « يشمخ فوق منحدرات وعرة متضرسة»¹.

وكيفما كان نوع الجبال ومهما تعدّدت عوامل نشأتها، إلا أنّها جميعها تُعدّ « نتوءاً أرضياً فوق مستوى سطح البحر لها امتداد في داخل الغلاف الصخري للأرض يتراوح طوله بين 10 و15 ضعف ارتفاعه وكلّما كان الارتفاع فوق مستوى سطح البحر كبيراً تضاعف طول الجزء الغائر في الأرض امتداداً إلى الداخل، وعلى ذلك فإنّ قمة "أفرست" لا يكاد ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر يصل إلى تسعة (09) كيلومترات (8848م) لها امتداد في داخل الغلاف الصخري للأرض يزيد عن المائة والثلاثين (130) كيلومتراً، يخترق الغلاف الصخري للأرض بالكامل ليطفو في نطاق الضعف الأرضي، وهو نطاق شبه منصهر، لَدن أي مرن، عالي الكثافة واللزوجة، تحكّمه في ذلك قوانين الطفو كما تحكّم جبال الجليد الطافية في مياه المحيطات، فكّلاً برت عوامل التعرية قمم الجبال ارتفعت تلك الجبال إلى أعلى، وتظل عملية الارتفاع تلك حتى يخرج جذر الجبل من نطاق الضعف الأرضي بالكامل، وحينئذ يتوقف الجبل عن الحركة، ويتمّ بريه حتى يصل سمكه إلى متوسط سمك اللوح

(1) بحيري (صلاح الدين)، مبادئ الجغرافيا الطبيعية، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان ودار الفكر، دمشق-سوريا، 1996، (د.ط)، ص148. وللتوسّع انظر: أبو راضي (فتحي عبد العزيز)، مورفولوجية سطح الأرض، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ط1، ص475.

الأرضي الذي يحمله، وبذلك يظهر جذر الجبل على سطح الأرض، وبه من الثروات الأرضية ما لا يمكن أن يتكوّن إلا تحت ظروف استثنائية من الضغط والحرارة لا تتوفر إلا في جذور الجبال، فسبحان الذي وصف الجبال من قبل ألف وأربعمائة سنة (بالأوتاد) وهي لفظة واحدة تصف كلا من الشكل الخارجي للجبل وامتداده الداخلي ووظيفته، لأنّ الوتد أغلبه يُدفن في الأرض، وأقله يظهر على السطح ووظيفته التثبيت، وقد أثبتت علوم الأرض في العقود المتأخرة من القرن العشرين أنّ هكذا الجبال، بعد أن ظل وصف الجبال إلى مشارف التسعينات من القرن العشرين قاصرا على أنّها مجرد نتوءات فوق سطح الأرض»¹.

ومما ذكرناه في بداية هذا الفصل أنّ القشرة الأرضية للأرض تتموضع على الألواح التي تتحرك باستمرار، لكنّ جذور الجبال تمتد أضعاف طول الجبال تتغلغل لأكثر من خمسين كيلومتراً في العمق، وهذا يعني مزيداً من التثبيت والإحكام لهذه الطبقات. (أنظر الشكل 14)²



(الشكل 14 الذي يبيّن تغلغل جذور الجبال تحت القشرة الأرضية وطول الجذور بالمقارنة بارتفاع الجبال)

(1) EL-Naggar, (Z.R), **The geological concept of mountains in the qur'an**, Al-falah foundation for translation, publication and distribution, Cairo-Egypt, 2003, (w.ed), p60 وانظر أيضا كتابه: **من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن**

الكريم، مرجع سابق، ص 201 .

(2) Ted Nield, **Mountain roots**, the geological society /https://www.geolsoc.org.uk

فانظر إذا كيف يوظف القرآن كلمة (الأوتاد) الأكثر «دقة من الناحية العلمية واللغوية من كلمة (جذر) المستخدمة حالياً من قبل العلماء لوصف الجزء السفلي المختبئ داخل الأرض. ومع أن العلماء فكروا ملياً منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أنه يمكن أن تكون للجبال جذور إلا أنهم لم يؤكدوا هذه الحقيقة من وجود امتدادات سفلية وظيفتها تثبيت الأرض وألواح الليتوسفير إلا مؤخرًا»¹.

ألا ترى إذا مدى صرامة القرآن ودقته في توظيف المفردات، إنه يوظف (الأوتاد) بدل (الجذور) لأن الأولى إشارة لبنية الجبال وشكلها المورفولوجي الداخلي أي ما هو تحت القشرة الأرضية والخارجي ما فوقها، والأبلغ من ذلك أن الوند يكون جزؤه الغائر في الأرض أكبر من أعلاه ليكون متينا ثابتا ومثبتا، وهكذا هي الجبال. بينما كلمة (الجذر) لا تؤدي ذلك لأن دلالتها تقتصر على «الأصل من كل شيء»² فقط، وبهذا فهي لا تدل إلا على الجزء الغائر من الجبل. إذا هذا يدعونا إلى اقتراح كلمة (الأوتاد) بدلا من (الجذور Roots) في علوم الجيولوجيا، فالأولى أدق وأشمل.

3- الرواسي:

ورد جذر (رسي) احدى عشرة مرة في القرآن الكريم، كلها جاءت مقترنةً بالجبال واصفةً إياها، ماعدا واحدة وصفت (القدور) في قوله تعالى «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ

= تاريخ التصفح: 2018/06/25 على الساعة 08:00 صباحا.

- (1) الصوفي، الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان، نق: محمد سعيد رمضان البوطي وآخرون، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2007، ط1، ص 77.
- (2) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج1، ص 436. (مادة جذر).

الشَّكُورُ¹ وهي من الآيات التي تصف نِعَمَ الله على آل داوود ومنها تسخير الجن لسليمان - على نبينا السلام- « فكانوا يعملون بين يديه ما يشاء من محاريب الصلاة، والتمائيل الكبيرة المباحة في شرعه، والجفان، أي القصاع الكبيرة كالحفر الكبيرة، وهي آنية الأكل، وقدر الطبخ الثابتات في أماكنها، فلا تتحرك عن مواضعها لعظمتها وثقلها»² .

إذا وُصِفَتِ القُدُورُ بِالثبات وهي الدلالة التي اكتنزتها مفردة (راسيات)، وفي الحقيقة هي الدلالة ذاتها التي تحملها كل الصيغ لهذا الجذر اللغوي في الآيات الواردة فيها وهي كالتالي:

- ✓ قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا»³
- ✓ وقال: «وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ»⁴
- ✓ و: «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»⁵
- ✓ وقال: «وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ»⁶
- ✓ وأيضاً: «أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ»⁷
- ✓ وأيضاً: «خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا^ط وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»⁸
- ✓ وأيضاً: «وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا»⁹

(1) سورة سبأ، الآية:13.

(2) الزحيلي، التفسير الوسيط مرجع سابق، ج3، ص2101.

(3) سورة الرعد، الآية:03.

(4) سورة الحجر، الآية:19.

(5) سورة النحل، الآية:15.

(6) سورة الأنبياء، الآية:31.

(7) سورة النمل، الآية:61.

(8) سورة لقمان، الآية:10.

(9) سورة فصلت، الآية:10.

✓ وأيضا: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾¹

✓ وأيضا: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾²

✓ وأيضا: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَا﴾³

إذا تأملت هذه الآيات وجدت مفردة (رواسي) في كل الآيات صفة للجبال، هذا الموصوف الذي يُحذف في كل الآيات إلا الأخيرة، وذكر الصفة بدل الموصوف دلالة على أهميتها، إنها توجيه للانتباه وتوطينه في هذه المفردة، لأنها بؤرة المفهوم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تُذكر هذه الرواسي أو الجبال الرواسي في السياقات اللغوية السابقة بعد ذكر مد الأرض أو قبل ميدانها أي أن الله خلق الجبال الرواسي لتثبيت الأرض حتى لا تميد أو تتحرك، على خلاف توظيف (الأوتاد) إذ لا يُشار معها إلى ميدان الأرض أو مدّها، وهذا ما يؤكد لنا مقصودها وهو الإشارة المورفولوجية للجبال، ومن جهة ثالثة توظيف حرف الجرّ (في) مع الإرساء ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ و﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ و﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ ويرد فيما يلي تفصيل ذلك.

التحليل المعجمي لمفردة (الرواسي)

رسا ورسى أصل واحد يدل على **الثبات**، «رسوت الحديث: أحكمته فيما بينك وبين نفسك. ورسا الجبلُ يرسو، إذا ثبت أصله في الأرض. ورسى السفينة: انتهت إلى قرار الماء، فبقيت لا تسير. والمرساة: أنجرُّ يُشدُّ بالحبال فيرسل في البحر

(1) سورة ق، الآية: 07.

(2) سورة المرسلات، الآية: 27.

(3) سورة النازعات، الآية: 32.

فيمسك بالسفينة ويُرسيها فلا تسير. وألقت السحابة مَراسيها: ثبتت في موضع وجادت بالمطر»¹

يضيف "ابن فارس": « والله جلّ ثناؤه أرسى الجبال، أي أثبتها. وجبلٌ راسٍ: ثابت. ورست أقدامهم في الحرب... والفحل إذا تفرقت عنه شؤله فصاح بها استقرت، فيقال عند ذلك رسا بها»²، و« قَدَّرَ راسية: لا تبرح مكانها، ولا يُطاق تحويلها»³. وفي الصحاح «رسوت بين القوم رسوا، أي أصلحت، ورسوت عنه حديثاً، أي حدثت به عنه»⁴. و« أرسى الصوم: نواه»⁵ ولو جُلَّت معاجم العرب لألْفِيَتْ هذه الدلالات تتكرّر كما هي دون خلاف عند قبائل العرب أو المعجميين.

وعلى دلالة الثبات ارتكز التعريف اللغوي لهذه المادة اللغوية في المعاجم الحديثة، فها هو "الطناحي" يذكر ما قيل سابقاً مضيفاً: « رسا الشيءُ يرسو: أي ثبت، وأرساه غيره... والرواسي: الجبال لأنّ الأرضَ ترسو بها: أي تثبت»⁶. هذا الثبات يرادفه "حسن الجمل" في حال قولنا أرسى السفينة لـ «المنتهى والمستقر»⁷.

فالذي نخرج به من هذه اللمحة المعجمية لدلالة (رسا) هو أنه يعني الثبات والقرار و«التمكّن في المكان»⁸؛ فإذا رسوت الحديث أثبته في نفسك وعن غيرك، وكذلك الصوم، والإرساء بين القوم تثبت للعلاقات بينهم بعد اختلاف. والسفينة استقرت

(1) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج2، ص118.

(2) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج394، ص2-395.

(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج8، ص609.

(4) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج6، ص2356.

(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص1288.

(6) الطناحي، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة معجم لغوي ثقافي، مرجع سابق، ص772.

(7) الجمل، مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، مصدر سابق، مج2، ص196.

(8) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج14، ص121.

وثبتت في الميناء بعد سير وحركة. والذي يفترض في إرساء الشيء المادي « لزوم أسفله أو باطنه ما يمسكه بتمكّن، كالعمود في الأرض»¹

التحليل الدلالي لمفردة (الرواسي) عند المفسرين

لقد ارتكز المفسرون على هذا المعطى المعجمي في تفسير الآيات السابقة، ف" الطبري" يقول: « وجعل في الأرض جبالا ثابتة»² ، وهكذا فعل جلّ العلماء ومنهم "الثعلبي"³ و"الرازي" الذي فصل في كيفية الثبات، إذ الجبال « باقية في أحيائها غير منتقلة عن أماكنها»⁴ ويلتفت هذا العالم الجليل إلى نقطة مهمة نبّه إليها العلماء الجيولوجيون المعاصرون وفسّروا أسبابها إذ يشير قائلاً: « واعلم أنّ الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه، منها أنّ طبيعة الأرض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض⁵ لا بدّ وأن يكون بتخليق القادر الحكيم»⁶ فقد أثبت العلم حديثاً أنّ توزيع الجبال في الكرة الأرضية ليس عشوائياً بل مقدّراً تقدير حكيم خبير.

وقد فسّر هؤلاء العلماء الآيات من زاويتين؛ الأولى ثبات الجبال هي بحدّ ذاتها عن طريق انغراس جذورها في صلب الأرض ولهذا عبر القرآن عن خلقها بتوظيف حرف الجرّ (في) الدال على الظرفية المكانية، وقد أوضحنا ذلك في معالجة مفردة (الأوتاد)، إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص797.

(2) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج4، ص403.

(3) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج5، ص269. وانظر أيضاً: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم مُسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين، تح: أسعد محمد الطيب، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، الرياض-السعودية، 1997، ط1، مج1، ص2118.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج19، ص04.

(5) الأصح أنّ (بعض) لا تعرّف.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. (بتصرّف يسير)

أَنْهَرًا وَجَعَلَ هَا رَوَاسِيَ ﴿١﴾ أي جعل للأرض جبالاً تثبتتها ولم يخصص الله عز وجل الخطاب فلم يُشير إلى الظرفية المكانية وإنما العلة، لأن «اللام في (لها) لام العلة، أي الرواسي لأجلها أي لفائدتها، فإن في تكوين الجبال حكمةً لدفع الملاسة عن الأرض ليكون سيرها في الكرة الهوائية معدلاً غير شديد السرعة وبذلك دوام سيرها»² وهذه هي الزاوية الثانية وهي تثبيت الجبال للأرض، فكانت الإشارة للرواسي هنا لـ «ذُكر سبب القرار»³، ودلالة التثبيت يسندها ذُكر مد الأرض، لأن المد اتساع وحركة، كمد البحر مقابل جزره، وانظر قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ألا ترى أن الآية مبنية على تضاد طرفاه المد والسكون، وهذا دليل على أن المد أساسه حركة. وكل الآيات التي ذُكر فيها مد الأرض افترنت بذكر الرواسي لأنه لا بد من حركة الأرض وتمددها أن تثبت، فمفردة (الرواسي) إذاً هي دلالة على وظيفة الجبال بالنسبة للأرض، يقول "القرطبي": «﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً ثوابت... لأن الأرض ترسو بها، أي تثبت»⁴ وهي صفة للجبال في حد ذاتها. وفي بعض الآيات لا يُذكر مد الأرض، ولكن يَمُنُّ الله عز وجل علينا بأن خلق الجبال حتى لا تضطرب الأرض ولا تتحرك بساكنيها، فتأمل ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾⁵ و﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾⁶

(1) سورة النمل، الآية: 61.

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 20، ص 13.

(3) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج 20، ص 189.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج 12، ص 08.

(5) سورة النحل، الآية: 15.

(6) سورة الأنبياء، الآية: 31.

التحليل العلمي لمفهوم (الرواسي)

لقد أثبت العلم أنّ الجبال بمثابة « مساقات للقارات من الصخور السائلة تحت القشرة الأرضية الصلبة ولولا جذور هذه الجبال المنغرسه لطفت القشرة إلى الخارج وانعدم توازن الأرض وثباتها»¹ ، يفصّل "زغول النجار" هذا الكلام قائلاً: « يُقسّم الغلاف الصخري للأرض إلى نحو اثني عشر لوحاً كبيراً بالإضافة إلى عدد من الألواح الصغيرة، وذلك بواسطة شبكة هائلة من الصدوع الخسفية (والخسوف الأرضية المكوّنة بواسطة عمليات تصدّع الغلاف الصخري للأرض) وهي خسوف تتراوح أعماقها بين 65 كم و150 كم وتطفو ألواح الغلاف الصخري للأرض فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة يُعرف باسم "نطاق الضعف الأرضي" ولذلك فإنّ هذه الألواح الصخرية تنزلق فوق نطاق من الضعف الأرضي مع دوران الأرض حول محورها، وباندفاع الصحارة الصخرية بملايين الأطنان عبر الصدوع والخسوف الفاصلة بينها، خاصة تلك الموجودة في الغلاف الصخري المكوّنة لقيعان كل محيطات الأرض وأعداد من بحارها، ولذلك تتسع قيعان هذه المحيطات والبحار باستمرار في ظاهرة تعرف باسم "ظاهرة اتساع قيعان المحيطات" وبذلك تنتقل ألواح الغلاف الصخري على نطاق الضعف الأرضي باستمرار في حركة دائبة، لا يبطئ من عنفها إلا تكوّن السلاسل الجبلية التي تثبت القارات في قيعان البحار والمحيطات بواسطة أوتاد الجبال، كما يمكن بواسطتها تثبيت قارة في قارة أخرى. فالجزء البارز من الجبال فوق سطح الأرض ليس إلا القمم لكتل هائلة من الصخور التي تطفو في نطاق الضعف الأرضي، كما تطفو جبال الجليد في ماء البحر المحيط»²

(1) جوهر (أحمد المرسى حسين)، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة-مصر، 2000، ط1، ص33.

(2) النجار، من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص256.

إنّ الذي خرجنا به من الفصل الأول تؤكّده العيّنة التي درسناها في هذا الفصل لكن ما لاحظناه هو أنّ التعالق حدث في مستويين مختلفين من المفردات:

✓ كلمات قد نراها عامة يتهياً لبعض منا أنها ذات دلالة عامة بينما يثبت العلم أن توظيفها كان دقيقاً جداً كمفردة (أنزل) و(البأس) لكن لا يمكن اعتبارها مصطلحاً علمياً يمكن توظيفه دلالة على مُسمّى.

✓ وكلمات نقترحها مصطلحات في علومها ومجالاتها كال... الخ، تلك التي تُعدّ مصطلحات دقيقة يمكن إطلاقها على مفاهيمها في علم الجيولوجيا والجغرافيا كالدحو والصدع والوتد والرواسي، فلماذا نلجأ إذاً لترجمة مصطلحات تحمل المفهوم نفسه ونتخلى عن مصطلحات الذات. وهي مصطلحات لا تتوقّر على شروط المصطلح فحسب بل تتعدّها إلى التعالق بين بنيته الصوتية والصرفية ودلالته بمفهومه العلمي وتجاوزت المصطلح البشري في جاهزية اصطلاحيته وشروط وضعه.

الفصل الرابع

التعالق في مفردات خلق الأجرام
السماوية

توطئة:

طالب الله الإنسان في مواضع قرآنية كثيرة أن يتدبر ما حوله، ووجه أنظاره إلى جنات هذا الكون، ليُدرك بعضا من أسراره بهدف الاستدلال بوجودها على الخالق، لعله يزداد إيمانا، يقول تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۗ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾¹ بل نجده رَبط غاية إنزال القرآن بالتدبر، يقول جلّ وعلا: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ۖ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾² وجعل ذلك متعلّقا بالمدارك الحسية والذهنية كالبصر والنظر والرؤية والسمع والتفكير والتذكّر وإعمال العقل. ومن أهم مواطن النظر والتدبر التي أشار إليها الخطاب القرآني الكون والأفلاك والسماء بما فيها من أجرام سماوية، إذ أشار تعالى إلى مادة الكون وتشكله عن طريق الرقيق والانفطار، وتكوّن النجوم والكواكب والسموات السبع وخلق الحياة ونهاية هذا الكون. وقد أحصيت ثمانية وثمانون³ آية كونية في القرآن الكريم، تتبدى في كثير منها ظاهرة التعالق، فرض بعضها نفسه - تماشيا مع أهداف هذا البحث ومنهجه - ليكون موضوع الدراسة في هذا الفصل.

(1) سورة الأعراف، الآية 185.

(2) سورة ص، الآية 29.

(3) توزعت هذه الآيات على سورة البقرة وآل عمران والأنعام والأعراف ويونس والرعد وإبراهيم والأنبياء والنور والفرقان والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة وفاطر والصفافات وفصلت والشورى وق والذاريات والنجم والرحمن والحديد والطلاق والملك والمعارج ونوح والجن والنبأ والنازعات والطارق والشمس.

1- الحُبُك

وردت هذه المفردة في موضع واحد فقط في النص القرآني، إنه الآية السابعة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ من سورة الذاريات، وهي سورة مكيّة، لو بحثت عن سرّ وجودها بعد سورة (ق) وقبل الطور في المصحف لوجدت أنها تدلّ «على صدق ما أنذرت به السّورة الأخيرة تصرّيحاً وبشّرت به تلويحاً ولا سيّما آخرها من مصاب الدنيا وعذاب الآخرة، إذ لما ذكّر سبحانه المواعيد الآخروية في سورة(ق) وعظيم تلك الأحوال من لدن قوله ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر السورة، أتبع سبحانه ذلك بالقسم على وقوعه وصدقه فقال: ﴿وَالذَّارِيَتِ ذُرْوًا﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾»¹ ولو تأملت نهايتها لوجدتها وعيدا للذين ظلموا ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون² فكانت سورة الطور تأكيداً لوقوع هذا العذاب، يقول عز وجل ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ما له من دافع³ ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ³

وفي الحقيقة ترتيب نزولها بين سورة الأحقاف والغاشية أيضاً معلل، فانظر سورة الأحقاف إنها «إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة»⁴ وتأمل

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج18، ص448-449. (بتصرف يسير جدا)

(2) سورة الذاريات، الآية59-60.

(3) سورة الطور، الآية7-14.

(4) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج18، ص118.

خواتيمها ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ وتؤكد سورة الذاريات هذا الكلام بـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ ثم نختم بقوله تعالى ﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هذا اليوم الذي تأتي الغاشية فيما بعد لتصف فيه أحوال المكذبين ثم المؤمنين ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾. وكبقية السور المكية كان من أبرز أغراضها « تحقيق وقوع البعث والجزاء وإبطال مزاعم المكذبين به وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ورميهم بأنهم يقولون بغير تثبت. ووعيدهم بعذاب يفتنهم، ووعد المؤمنين بنعيم الخلد، ثم الاستدلال على وحدانية الله»². في هذا الخطاب المكي يصدر الوعيد للكفار فنرد مفردة (الحبك) في آية كونية تُذكر بيانا لقدرة الله وحجة لوجوده ودعوة لهؤلاء للإيمان.

التحليل المعجمي لمفردة الحبك:

الحَبْكُ لغةٌ « الشدُّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب»³، أو «إجادة النسيج، قال ابن الأعرابي: كلُّ شيءٍ أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكتته،» وقد حبكت العقدة أي وثقتها»⁴، وفي الحديث ((إن عائشة رضي الله عنها كانت تحتبك

(1) سورة الغاشية، الآية 1-4.

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج26، ص335-336.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص935.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج2، ص758. (مادة حبك)

تحت الدرع في الصلاة)) أي تشدّ الإزار وتُحْكِمُهُ¹ و« يَحْبُكُهُ وَيَحْبِكُهُ، فهو حبيك ومحبوك، والحُبُكَةُ بالضمّ: الحُجْرَةُ، وتَحَبَّكَ: شدّها، أو تلبَّب بثيابه، والمرأة بنطاقها: تنطقت، والحبْلُ: يُشَدُّ به على الوسط»² والحبّاك «رباط الحظيرة بقصبات تُعْرَضُ ثم تُشَدُّ كما تُحَبِّك عروش الكرم بالحبال»³. والحُبُكَةُ أيضا هي «الْقِدَّةُ التي تَضُمُّ الرَّأْسَ في الغراضيف من القتب والرَّحْل»⁴.

كما يُطْلَقُ العربي على «حُرُوفِ الرَّمْلِ الحُبُكُ»⁵ و« من الماء والشَّعْر: الجعد المتكسر منهما» ولك أن تفهم هذه الدلالة بتخيّل الماء الساكن أو الرَّمْل إذا هبَّت عليهما الرياح فيتجعّدان ويصيران طرائق. ولهذا فسّر العلماء الحبك في القرآن ب« طرائق النجوم، واحدها حبيكة، قال الفراء في قوله ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الحبك: تكسر كل شيء كالرملة إذا مرّت عليها الرياح الساكنة والماء القائم إذا مرّت به الرياح»⁶ إذا يقصد بتجعّد الرمل والماء تلك التموجات التي تحدث فيهما بحركة الهواء، يصفها "الأزهري" ب« ما تراه من درج الرَّمْل والماء إذا صَفَقْتَهُ الرِّيح»⁷ تُوصَفُ بها طرائق النجوم لتموجها، أو «لِلخَلْقِ الحَسَنِ»⁸ الذي بها.

(1) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ص1578. (مادة حبك)

(2) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج1، ص281، (مادة حبك).

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج27، ص102. (مادة حبك)

(5) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(6) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج2، ص758. (مادة حبك)

(7) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج27، ص102. (مادة حبك)

(8) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج2، ص758. (مادة حبك)

ومن الدلالة الأخيرة يُوصَف الفَرَس «إذا كان فيه استواء مع ارتفاع بأنه محبوبك المَثَن والعَجْز»¹، ويضيف "الفيروزآبادي" «الفرس القوي»²، وكذلك «السحاب يوصَف بذلك، فإنَّ الحُبُك فيه تجعَد قطعته مثل الموج المُزِيد المتراكم أو كسباب القطن، قال "امرؤ القيس" يصف القصور الشامخات المُكَلَّلة بالسحب:

تُلاعب أولاد الوُعود رباؤها دُوِين السماء في رؤوس المَجَادِلِ
مُكَلَّلة حمراء ذات أسرة لها حُبُك كأنها من وصائل³»⁴

إذاً تجتمع دلالة الحبك في إحكام النسيج وإجادته وتحسين صنعته، كالحبل مشدود الفتل، ومنه شدُّ الإزار وإحكامه، والعقدة مُوثَّقة الرِّبَطِ، والسماء ذات الخلق الوثيق المُحكَّم، وفيه دلالة الاجتماع والقوة كخشب الحظيرة مجموع بعضه إلى بعض ومشدود في وسطه، والفرس القوي، وفيه دلالة حُسن الخلق، إذ يُوصف الفَرَس بذلك لحسن خَلقه، والسماء ذات الزينة. كلُّها دلالات جزئية تُشكِّل الدلالة العامة لجذر (حبك). تُرى إلى أيِّ مدى تتجسّد هذه الدلالات في معطيات المفسرين؟

التحليل الدلالي لمفردة الحبك عند المفسرين

وردت هذه المفردة في جملة قَسَمٍ تُؤكِّد اضطراب «أهل مكة في محمد والقرآن، فمن مُصدِّق ومُكذِّب، وقيل نزلت في المقتسمين، واختلافهم قولهم: ساحر، بل شاعر، بل افتراه بل هو مجنون، بل هو كاهن، بل هو أساطير الأولين»¹

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص935.

(3) انظر: القيس، ديوان امرئ القيس، مصدر سابق، ص136.

(4) الفراهي (عبد الحميد)، مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تح وشر: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، 2002، ط1، ص164. (مادة حبك)

إذا أقسم الله تعالى بالسماء ذات الحُبُك، وهو لا يُقسِم إلا بشيء عظيم، أوجز "الطبري" تفسيرها بقوله: « والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخَلْقِ الْحَسَنِ، وَعَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: ذات الطرائق»² أي من المجرة في السماء، وكذلك رأى "الضحاك"³ و"الزمخشري"⁴ و"الشنقيطي"⁵. ويعرض "الثعلبي" آراء المفسرين، فابن عباس و"قتادة" و"الربيع" و"عكرمة" رأوا أنها « ذات الخلق الحسن المستوي، قال "عكرمة": ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه، قيل: ما أحسن حبه»⁶، يعلل ذلك قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٧﴾ . و"سعيد بن جبير" فسرها بـ«ذات الزينة»⁸، يفسر ذلك قول الله -عز وجل- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ﴿٩﴾ وَقَوْلِهِ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ . أما "مجاهد" فقال: «هو المُتَّفَنُّ البنيان»¹⁰ وفسر "الفراء" الحُبُك بـ« تَكَسَّرَ كُلُّ شَيْءٍ كَالرَّمْلِ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ السَّاكِنَةُ»¹¹.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج 19، ص 474.

(2) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 110.

(3) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج 9، ص 110.

(4) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص 1049.

(5) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سابق، ج 7، ص 662.

(6) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج 9، ص 110.

(7) سورة الملك، الآية: 2-4.

(8) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(9) سورة الملك، الآية: 05.

(10) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج 9، ص 110.

(11) البغدادي (أبو الفرج جمال الدين)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، 2002، ط 1، ص 1347.

يشرح "الرازي" ذلك بشكل متميز فيقول: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ» قيل الطرائق، وعلى هذا يُحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها كما يُقال في المحابك، ويُحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الأشكال بسبب النجوم، فإنّ في سمّت كواكبها طريق التتين والعقرب والنسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطقة الجوزاء وغير ذلك كالطرائق، وعلى هذا فالمراد به السّماء المزينة بزينة الكواكب، ومثله قوله تعالى «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» وقيل حبكها صفاقها يقال في الثوب الصفيق حسن الحبك¹ وهو الشيء الذي رآه "البقاعي" إنها السماء «المحتبكة بطرائق النجوم المحكمة، الحسنة الصنعة، الجيدة الرصف والزينة، حتى كأنها منسوجة، الجميلة الصنعة، الجليّة الآثار، الجامعة بين القطع والاختلاط والاتّفاق والاختلاف، وأصل الحبك الإحكام في امتداد وأطراد»².

إذا ألقت الدلالات المعجمية بنفسها على التحليل الدلالي للمفسرين لهذه المفردة، يقول "سيد قطب": «يُقسِمُ بالسّماء المنسّقة المحكمة التركيب، كنتسيق الزرد المتشابه المتداخل الحلقات... وقد تكون هذه إحدى هيئات السّحب في السّماء حين تكون مؤشاة كالزرد مجعّدة تجعّد الماء والرمل إذا ضربته الريح، وقد يكون هذا وضعا دائما لتزكيب الأفلاك ومداراتها المتشابهة المتناسقة»³ تُعرّض هذه الصورة المنسّقة ذات الانسجام لتُظهر اختلاف واضطراب الكفار، يؤكد "قطب" ذلك قائلا: «ويتّضح

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج28، ص197.

(2) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج18، ص450.

(3) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج27، ص3376.

اضطرابهم واختلافهم وما هم فيه من الأمر المريح حين يُعْرَض في ظل السماء ذات الحَبْك المنسَّقة التركيب»¹

إذا كانت هذه هي أقوال المفسرين، فماذا يقول العلم؟ وإلى أي مدى يتجسّد التوافق أو الاختلاف بين المفاهيم العلمية وما رآه المفسرون؟ هذا ما يجيب عنه التحليل العلمي لهذه المفردة.

التحليل العلمي لمفهوم (الحبك)

ظنّ الفلكيون لسنوات طويلة أنّ الكون هو فراغ ممتدّ فأطلقوا عليه مصطلح الفضاء، وظلّ هذا المجال يكتنفه الغموض إلى وقتٍ قريب جداً، إلى أن سار التقدّم العلمي والتكنولوجي خُطوات جبّارة لم يُشْهَد لها مثيل، وباختراع الحاسوب العملاق (السيبر كومبيوتر Supercomputer) والذي له إمكانيات خارقة في تخزين ومعالجة البيانات والمعلومات استطاع العلماء تصوير الكون بمخطط ثلاثي الأبعاد، وأستغلّ هذا الجهاز الضخم في كَشْف أسرار الكون والفلك، ولاحظوا أنّه «نسيج كوني محكم ومترابط، فبدأوا بإطلاق مصطلح جديد هو 'بناء'، أي بناء هندسي محكم، تُشكّل المجرات وتجمّعها لبناتِه، وتتشرك هذه المجرات مع الغبار والدخان الكونيين لتشكل بناء شديد الإتقان، وأطلقوا مصطلحات جديدة لم نعهدها من قبل مثل الجسور والجدران الكونية، هذه المجرات يصل عددها إلى مئات البلايين تسبح في الكون، وكلّ مجرة منها تحوي أكثر من مئة ألف مليون نجم، ومع ذلك لا تشكّل إلا 5% من هذا البناء، وبالمقابل هنالك مادة غير مرئية سمّوها بالمادة المظلمة تشكّل

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نسبة 95%، تملأ الكون وتسيطر على تَوَزُّع المجرات فيه، وتشكل جسوراً تربط هذه المجرات بعضها ببعض.¹

إنّ هذا العدد الضخم الذي لا يُعْتَبَر نهائياً من النّجوم والمجرات التي «تتفاوت في الشكل والحجم والكتلة وفي سرعة الدوران حول محورها وسرعة الجري في مداراتها وفي تباعدها عنّا وعن بعضها بعضٍ وفي مراحل تطوُّرها وأعداد نجومها وفي تباين مراحل حياة تلك النجوم (من ميلاد وشباب وكهولة وشيخوخة واحتضار واندثار) ومنها المجرات البيضاوية والحلزونية، وغير المحدّدة الشكل، ومنها المجرات القزمة (التي لا يكاد قطرها يتعدى 3200 سنة ضوئية)، ومنها المجرات العملاقة (التي يصل قطر الواحدة منها إلى 750.000 سنة ضوئية، وتُقدَّر كتلة أصغر المجرات المعروفة لنا مليون مرة قدر كتلة شمسنا... تتجمّع هذه المجرات في مجموعات محلية (Local Groups) تلتقي هذه الأخيرة في وحدات كبرى تُسمى 'الحشود المجرية' (Galactic Clusters)... وتلتقي تلك في وحدات أكبر تُعرَف باسم 'المجموعات المحلية العظمية' (The Local Supergroups) التي تتجمّع بدورها في وحدات أكبر تُعرَف باسم الحشود المجرية العظمية (Galactic Superclusters) والتي تحوي مائة تجمّع مجري على الأقل، وقد أحصى علماء الفلك منها ستة عشر حشداً مجرياً أعظم في مسافة تُقدَّر بحوالي عشرين بليون سنة ضوئية، وترتقي الحشود المجرية العظمية إلى وحدات أعظم، تُعرَف باسم حشود الحشود المجرية العظمية (Clusters of Galactic Superclusters) إلى نهاية لا يعلمها إلا الله»².

(1) الكحيل (عبد الدائم)، أسرار الكون بين العلم والقرآن، تم إصدار الطبعة بإشراف موسوعة الإعجاز العلمي

في القرآن والسنة، مدير التوزيع محمد لجين الزين، دمشق - سوريا، 2006، ط1، ص6. (بتصرّف يسير)

(2) النجار (زغلول راغب)، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت - لبنان،

2007، ط4، ص313-314.

إنّ هذا العدد الضخم من هذه المخلوقات لا بدّ أن يتماسك ويتحرّك بفعل قوى شديدة الصرامة والدقة ومن أنواعها التي اكتشفها الإنسان: قوّة الجاذبية، والكهرومغناطيسية، والقوة النووية الشديدة و الذرية الضعيفة. والعجيب أيضا أنّ كل هذه الأجرام ما علمنا منها وما لا نعلم لها مسارات ومدارات « تتباين مستوياتها دون أدنى قدر من التضارب أو الاصطدام إلا بالقدر المقنّن والمحسوب بدقّة بالغة لحكمة بالغة أيضا، حتى في لحظات احتضار النجوم وانكدارها وطمسها ثم انفجار وتناثر أشلائها»¹

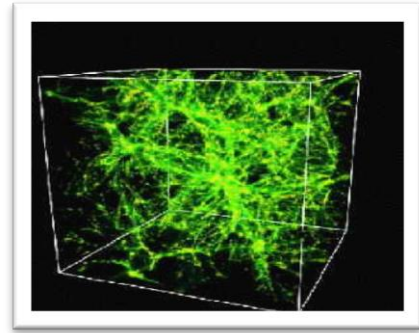
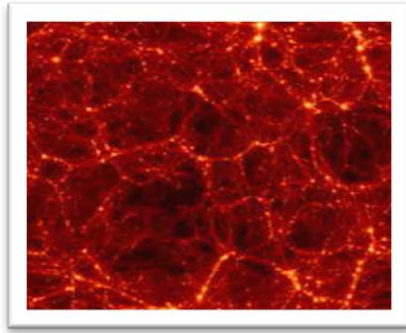
ويُعزي العلماءُ التجعّد الذي يبدو في المادة السماوية إلى التباين في كثافة هذه المادة، لهذا تظهر متموجّة، يقول "النجّار": « يتفاوت متوسط كثافة المادة في صفحة السماء الدنيا، بين واحد من ألف تريليون من الغرام للسنتيمتر المكعب في أشباه النجوم، إلى حوالي أربعة عشر من ألف من الغرام للسنتيمتر المكعب في العماليق العظام، إلى طنّ واحد للسنتيمتر المكعب في الأقزام البيض... إلى أضعاف مضاعفة لتلك الكثافة في النجوم الخانسة الكانسة (الثقوب السود). وإذا انتقلنا من أجرام السماء إلى المادة بين كلّ من النجوم والمجرات، والمادة في السُدّم وفي دخان السماء، وجدنا درجة أخرى من التباين في كثافة المادة السماوية، يجعلها تبدو متجعّدة»²

إنّ مجرّتنا 'درب التبانة' التي تنتمي إليها الأرض بنجومها المختلفة سواء أكانت النجوم المتسلسلة أم العماليق الحمراء أم القزّمة بأنواعها وغيرها ممّا خلقه الله ولا يسعنا ذكره هنا لا تمثّل سوى قطرة من ماء بالنظر إلى هذا الكون الفسيح، وكل شيء يسبح في « حركة شديدة الانضباط والإحكام... هذه الصورة للجزء المُدرّك من

(1) المرجع نفسه، ص 321.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الكون تعكس شيئاً عن ضخامة ذلك البناء، ودقّة بنائه، وشساعة أبعاده، وإتقان صنّعه، وروعة خلقه، وإحكام كلّ جزئية فيه»¹ فانظر هذه الصور التي التقطها الحاسوب العملاق للنسيج الكوني (Cosmic web) كما يصطلح عليه علماء الفلك، و(الحبك) كما يسميه الخطاب القرآني، ألا ترى فيها هذا التجعّد وتموج طرق الأجرام ومساراتها؟ ألا ترى فيه الزينة والجمال التي تحدّث عنهما الله عزّ وجلّ؟ ألا ترى فيه الإحكام والانضباط ودقّة النسيج؟ كلّ ذلك أفادته هذه المفردة القرآنية العجيبة بدلالاتها المعجمية، التي أغنت الخطاب القرآني عن هذا التفصيل الذي قدّمناه لغةً وتفسيرًا وتحليلاً علمياً.



(الشكل 15 و16 يمثّلان النسيج الكوني (الحبك))²

يقول " بول ميلر": « إن المجرات الأولى، أو بالأحرى لبنات البناء الأولى من المجرات، سوف تتشكل في خيوط النسيج. وعندما تبدأ ببث الضوء، سوف تُرى وهي تحدّد مختلف الخيوط غير المرئية، وتشبه إلى حد كبير الخرز على العقد»¹

(1) المرجع السابق، ص318.

(2) المصدر: الموقع الإلكتروني لوكالة ناسا: <https://cor.gsfc.nasa.gov> تاريخ

التصفح: 2018/04/20 على الساعة: 15:00

2- الخنس

لا نجد هذا الجذر اللغوي في النص القرآني إلا في موضعين؛ في قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾² من سورة التكوير، وقوله عز وجل ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾³ من سورة الناس، أما هذه الأخيرة فهي سورة مدنية، «مقصودها الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن. فلما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها... جاءت سورة الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص، وهو الوسواس»⁴ والوسوسة لازمة من لوازم الجن والشياطين. والموضع الثاني في سورة التكوير كما ذكرنا - وهي سورة مكية - تتضمن تهيباً وتهديداً شديداً للكافرين ومن كذب بالقرآن بيوم الوعيد. و«لَمَّا خُتِمَتْ سُورَةُ عَبَسَ بِوَعِيدِ الْكُفْرَةِ بِيَوْمِ الصَّاحَةِ لِحُجُودِهِمْ بِمَا لِهَذَا الْقُرْآنِ مِنَ التَّذَكُّرَةِ، أُبْتَدِئَتْ هَذِهِ بِإِتْمَامِ ذَلِكَ، فَصَوِّرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْهَائِلَةِ مِنْ عَالَمِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ»⁵ وفي ثنايا الحديث عن يوم القيامة والقرآن الكريم يُقسم الله عز وجل بالكواكب الخنس، تُرى لِمَ تُوصَفُ الشياطين والجن بالخنس؟ وما دلالة الخنس في قسمه تعالى؟ وما سرّ توظيف هذه المفردة دون غيرها؟

(1) ميلر (بولر) وآخران، لمحة عن النسيج الكوني، مقال منشور في موقع المرصد الأوروبي الجنوبي بألمانيا،

الرابط: www.eso.org/outreach/press-rel/pr-2001/pr-11-01.html تاريخ

التصفح: 2015/05/02

(2) سورة التكوير، الآية: 15.

(3) سورة الناس، الآية: 04.

(4) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج22، ص423-424. (بتصرف يسير جدا)

(5) المصدر نفسه، ج21، ص375.

التحليل المعجمي لمفردة الخنّس:

هذا الجذر اللغوي أصل واحد « يدلّ على استخفاء وتستر¹» فلو جُلّت معاجم العرب لوجدت دلالة التستر والاختفاء تتجلى في كلّ جزئية من معاني هذا الأصل، فانظر: « خنس الشيطانُ وهو خَنَّاسٌ إذا ذُكِرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أي غاب. والخنّس: الكواكب كلّها، أو السيّارة أو النجوم الخمسة: زُحل، والمشتري، والمريخ، والزّهرة، وعُطارد، وخنوسها: أنّها تغيّب²»، وقال "الفراهيدي": « وخنُوسُها [أي الكواكب]: اختفاؤها³. و« تخنّس بهم: تغيّب⁴ وتُضيف العرب أيضا معنى الانقباض، ف«الخنّس: انقباضُ قصبَةِ الأنف، وعرض الأرنبة كأنف البقرة الخنساء...والخنُوس: الانقباض والاستخفاء⁵» ومن دلالات (خنس): « التآخُر. وأخنسَه غيره، إذا خَلّفه ومضى عنه⁶. وقال "ابن سيده": « رجع⁷ ومنه « فَرَسَ خَنُوس: يستقيم في حُضْره، ثم يخنِسُ كأنّه يرجع القهقري⁸»، ويذكر أيضا « خنس من ماله: أخذ. والخنس في القدم: انبساط الأخمص وكثرة اللحم...والخنّاس: داء يصيب الزرع فيَتَجَنُّنُ منه الحرثُ فلا يطول...والثلاث الخنّس من ليالي الشهر، قيل لها ذلك لأنّ القمر يخنِس فيها، أي: يتآخُر⁹. وتقول العرب أيضا: «. والخنّيسُ: المراوغ. وخنّس به: واره.

(1) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج2، ص223. (مادة خنس)

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص542. (مادة خنس) (بتصرف يسير)

(3) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج1، ص447. (مادة خنس)

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص542. (مادة خنس)

(5) المصدر نفسه، ج1، ص448. (مادة خنس)

(6) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج1، ص925. (مادة خنس)

(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج5، ص79. (مادة خنس)

(8) المصدر نفسه، ج5، ص80. (مادة خنس)

(9) المصدر نفسه، ج5، ص80. (مادة خنس)

وَحَنَسَ إِذَا تَوَارَى وَغَاب. وَأَخْنَسْتُهُ أَنَا: خَلَفْتُهُ، قَالَه الْأَصْمَعِيُّ. وَأَخْنَسُوا الطَّرِيقَ: جَاوَزُوهُ»¹

إذا كما ترى دلالة الاستخفاء والغياب باديةً بجلاء ووضوح في كل الجزئيات، فالشيطان كائن خفي أولاً ويخنس أي يغيب أثناء ذكر الله ثانياً، وخنوس الكواكب اختفاؤها، والمراوغة مبنية على الإخفاء والاختفاء، وخنس الأنف انقبضت قصبته فلا تظهر في الوجه وهكذا... وبناءً على هذه الخلفية المعجمية والدلالية فسّر المفسرون (الخنس).

التحليل الدلالي لمفردة (الخنس) عند المفسرين:

فسّر العلماء (الخنوس) كونه صفةً للشياطين التي تُوسوس للإنسان بغيابها أثناء ذكر الله وانقباضها، وباختفائها أصلاً، يقول "سيد قطب": « فهذه الصفة تدلّ من جهة على تخفيّه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة فيدبّ ويوسوس، ولكنها من جهة أخرى توحى بضعفه أمام من يستيقظ لمكره، ويحمي مداخل صدره، فهو - سواء أكان من الجنّة أم كان من الناس - إذا ووجه خنس، وعاد من حيث أتى، وقبع واختمى»² وأضاف "بن عاشور" معنى اتّصاله - أي الشيطان - اللاشعوري بالإنسان، يقول: « والشيطان يُلقَّب بـ'الخناس' لأنه يتّصل بعقل الإنسان وعزمه من غير شعور منه فكأنّه خنس فيه، وأهل المكر والكيد والتخلّ خناسون لأنهم يتحينون غفلات الناس ويتسترون بأنواع الحيل لكيلا يشعر الناس بهم و[أيضاً] لأنّ خواطر الشرّ يهّم بها صاحبها فيطرق ويتردّد ويخاف تبعاتها وترجره النفس اللّوامة، أو يزرعه وازع الدين

(1) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج16، ص38-39. (مادة خنس)

(2) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج30، ص4011.

...ثم تعاوده حتى يطمئن لها ويرتاض بها فيصم على فعلها فيقترفها، فكأن

الشیطان يبدو له ثم يختفي، ثم يبدو ثم يختفي...»¹

إذا تتفق آراء المفسرين حول هذه الدلالة - أي الاختفاء والانقباض والتراجع - فهي

الاختفاء حين يُذكر الله أو تخفيه أصلاً واتصاله بالإنسان والوسوسة له من غير

شعور هذا الأخير في حال غفلته. وعليها أيضاً بنى المفسرون تفسيرهم للجوار

الخنس في سورة التكوير، وإن اختلفوا في تعيين ماهية الشيء المختفي، فبعضهم

رأى أنها الكواكب الخمسة السيارة فقط، يشير إلى ذلك "الرازي" قائلاً: «ذلك إشارة

إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنس... ولا شك أن هذه

حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة»²، وهو ما مال إليه "الشوكاني"³.. وهناك من

رأى أنها الكواكب جميعاً فيصبح خنوسها هو «غيبوتها عن البصر في النهار»⁴.

ومن خالف الرأي السابق رأى أنها «السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاريها على ما

قاله تعالى ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ولا شك أن مطالعاً واحداً ومغرباً واحداً هما

أقرب المطالع والمغرب إلى سمت رؤوسنا، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المطالع

إلى سائر المطالع طول السنة، ثم ترجع إليه فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك

المطلع»⁵ وهذا ما رآه "البقاعي"⁶. كما فُسر انحناس هذه الكواكب بـ «تأخرها عن

مطالعها كل سنة»⁷

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30، ص634. (بتصرف يسير جداً)

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص72.

(3) الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ص1590.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص72.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج21.

(7) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج10، ص141.

وبعض المفسرين ذهب إلى أنها النجوم، « قاله "الحسن" و"قتادة" على الإطلاق، وبه قال "أبو عبيدة"¹ و"ابن رجب الحنبلي" الذي يفسر انخاسها بـ « رجوعها وتواربها تحت ضوء الشمس واختفائها بالنهار»²

كان هذا رأي أغلب العلماء والمفسرين في تفسير (الخنس)، وقليل منهم فسرها بالبقر الوحشي، وذلك « لأنها تخنس إذا رأت الإنسان وتتقبض، وتتأخر»³ وقد روى ذلك عن "ابن مسعود"⁴ وكذلك الطباء « رواه العوفي عن ابن عباس»⁵، وفئة قليلة جداً فسرتها بـ « الملائكة وقد حكاها الماوردي»⁶ واستبعدها كثير من العلماء، واستقر رأي جلهم على الكواكب والنجوم، وهو تفسير أسسته معطيات عصرهم وما وصل إليه العلم آنذاك.

في الحقيقة نستبعد أن يكون المقصود بالخنس والجوار والكُنس بقر الوحش أو الطباء، وذلك لأسباب كثيرة أهمها أن النص القرآني يتسم بصفة مهمة ألا وهي التناسب بين معانيه وانسجامها، فترى بعضها « آخذاً بأعناق بعض»⁷، وأول مشهد لهذا التناسب تراه بين اسم السورة التي وردت فيها مفردة (الخنس) ومضمونها

(1) البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ص1520.

(2) الحنبلي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الفرج)، روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، جم وتع: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الرياض - السعودية، 2001، ط1، مج2، ص543.

(3) الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ص1591.

(4) انظر: الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج7، ص470. وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مج10، ص3405. والقشيري، لطائف الإشارات، مصدر سابق، ج3، ص397. و البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ص1520. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج22، ص109-110.

(5) البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ص1520.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت - لبنان، 2008، (دط)، ج2، ص452.

فالمقصود بالتكوير في هذا الموضع كما وضّح المفسرون هو « لفّ الشمس »¹ أو « ذهاب ضوئها »² بصفته مظهرا وهولا من أهوال القيامة. العجيب هو عرض هذه المشاهد بتناسب رائع، إذ أورد الله - عزّ وجلّ - ذكر العلويات أي الشمس والنجوم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾³ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ⁴، ثمّ عرض ما على الأرض؛ العشار أي الإبل والوحوش والبحار ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾⁵ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ⁶ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ⁷ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ⁸، ثمّ انتقل إلى النفوس ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾⁹ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ¹⁰ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ¹¹. هذا أسلوب قرآني متميز يتجلى في القرآن كلّه. ولهذا رأى كثير من العلماء أنّ الكنّس هي النجوم وليست بقر الوحش أو الطباء من منطلق أنّها لا تجتمع ويذكر الليل، فالأنسب هو ذكر النجوم معه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾¹² وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ¹³. يقول "ابن الجوزية" مدعماً ذلك: « إنّ اقتران القسم بالليل والصبح يدل على أنّها النجوم، وإلا فليس باللائق اقتران البقر والغزلان والليل والصبح في قسم واحد. وبهذا احتجّ أبو إسحاق على أنّها النجوم، فقال: هذا أليق بذكر النجوم منه بذكر الوحش »¹⁴، ثمّ أورد حججه في رفض دلالة خنّس على البقر والظباء وكنّس أيضا « وليس قول من فسّرها بالظباء وبقر الوحش بالظاهر

(1) الزحيلي، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ج3، ص2829.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج8، ص207.

(3) سورة التكوير، الآية 01-02.

(4) سورة التكوير، الآية 03-06.

(5) سورة التكوير، الآية 07-09.

(6) سورة التكوير، الآية 17-18.

(7) ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، جم وتح: يسري السيد محمد، مر وتق: صالح أحمد الشامي، دار ابن

الجوزي، الدمام-السعودية، 1427هـ، ط1، مج3، ص259.

لوجوه؛ أحدها أنّ هذه الأحوال في الكواكب السيّارة أعظم آية وعبرة. والثاني اشتراك أهل الأرض في معرفته بالمشاهدة والعيان. والثالث أنّ البقر والظباء ليست لها حالة تختفي فيها عن العيان مُطلقاً بل لا تزال ظاهرة في الفلوات. والرابع أنّ من بين الذين فسّروا الآية بذلك قالوا أنّ الخنس في الأنف وهو تأخّر الأرنبة وقصر القصبة، والبقر والظباء أنوفهنّ خنس... وآيات الربّ التي يُقسّم بها لا تكون إلا ظاهرةً جليّةً يشترك في معرفتها الخلائق، وليس الخنس في أنف البقرة والظباء بأعظم من الاستواء والاعتدال في أنف ابن آدم، فالآية فيه أظهر. والخامس أنّ كنوسها في أكتنّها ليس بأعظم من دخول الطير وسائر الحيوانات في بيته حتى يتعيّن للقسم. والسادس أنّه لو كان جمعا للظبي لقال: الخُنس - بالتسكين - لأنّه جمع أخنس فهو كأحمر وحُمر... فلما جاء جمعه على (فُعَل) بالتشديد استحال أن يكون جمعا لواحد من الظباء والبقر، وتعيّن أن يكون جمعا لخانس، كشاهد وشُهّد... والسابع أنّه لو أراد ذلك سبحانه لبيّنه وذكر ما يدلّ عليه، كما أنّه لما أراد بالجواري السفن قال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَجْوَارٍ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾¹. والثامن « أنّ الارتباط الذي بين النجوم التي هي هدايةً للسالكين ورجومٍ للشياطين وبين المُقسّم عليه وهو القرآن الذي هو هدى للعالمين وزينةً للقلوب وداحضٌ لشبهات الشيطان أعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن»². ثرى ماذا يقول العلم المادي المعاصر والمختصون في علم الفلك بخصوص ذلك؟

(1) سورة الشورى، الآية 32.

(2) الجوزية(ابن قيم) ، بدائع التفسير مصدر سابق، مج3، ص259-260.

التحليل العلمي لمفهوم (الخنس):

إذا رأينا أنّ المفسرين القدامى قد فسروا (الخنس) وهي صيغة مبالغة بكونها صفة للكواكب والنجوم وهو ما رجّحه أكثرهم كما أسلفنا الذكر، لكنّ العلماء المعاصرين رأوا أنّها صفة للثقوب السوداء لمعطيات فلكية كثيرة، هذه المخلوقات التي حيرت العلماء في هذا الكون الفسيح. تمثل نهايةً للنجوم العملاقة - بمختلف أنواعها- التي انهارت وانتهت حياتها.

إنّ الثقوب السوداء (Black holes) «مكان في الفضاء حيث توجد جاذبية تسحب كلّ شيء لدرجة أنّ الضوء لا يمكنه الخروج منه. هذه الجاذبية الجبّارة تحدث بسبب انضغاط شديد وتقلّص للمادة. يحدث هذا عندما يموت واحد من النجوم العملاقة. ولأنّته لا وجود لضوء يصدر منه لا يمكن للإنسان رؤية الثقوب السوداء. إنّها غير مرئية. يمكن للتلسكوبات الفضائية ذات الأدوات الخاصة المساعدة في العثور على الثقوب السوداء. كما يمكن للأدوات الخاصة أن ترى كيف تتصرف النجوم القريبة جداً من الثقوب السوداء بشكل مختلف عن النجوم الأخرى»¹. إذاً هذه الثقوب تمثل المرحلة الأخيرة من النجوم العملاقة الموجودة في الكون أي مرحلة «الشيخوخة»² تتميز بكثافة مادّتها المهولة التي تنتج عن احتفاظ الثقب بكتلة ضخمة جداً لنجم

(1) الموقع الإلكتروني لناسا <https://www.nasa.gov> تاريخ التصفح 2018/08/13 على الساعة 06:35. مقال بعنوان (ماهي الثقوب السوداء؟ What Is a Black Hole) المنشور

منذ 2017/03/08 والمفهوم الذي قدمناه هو ترجمة للنص الأصلي «A black hole is a place in space where gravity pulls so much that even light can not get out. The gravity is so strong because matter has been squeezed into a tiny space. This can happen when a star is dying. Because no light can get out, people can't see black holes. They are invisible. Space telescopes with special tools can help find black holes. The special tools can see how stars that are very close

«to black holes act differently than other stars

(2) النجار، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 218.

ميت قد تصل إلى «عشرين ضعفا لكتلة الشمس»¹ مع تقلص حجمه الذي قد يبلغ أصغرُها حجمَ «ذرة واحدة»²، ولهذا إنَّ الشمس بكتلتها الحالية لا يمكن أن تتحوّل إلى ثقب أسود، لكنّها ستستهلك وقودها النووي وتتطفئ.

والثقوب السوداء أجسام غير مرئية تحدّها «أسطح تُعرَف باسم أفق الحدث (The event horizon) وكلّ ما يسقط داخل هذا الأفق لا يمكنه الخروج منه، أو إرسال أية إشارة عبر حدوده، إنّ لها القدرة الفائقة في ابتلاع كل ما تمرّ به أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة مثل الغبار والغازات الكونيين والأجرام السماوية المختلفة، ووُصِفَت بالسواد لأنّها مُعتمة تماما لعدم قدرة الضوء على الإفلات من مجال جاذبيتها على الرغم من سرعته الفائقة المُقدّرة بحوالي الثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية (299792.458 كم/ثا)»³ (انظر الشكل 14 و 15).



(الشكل 18 صورة لثقب أسود متوسط يلتهم نجما 5)

(الشكل 17 يمثل رسما لثقب أسود يلتهم نجما كبيرا) 4

(1) المرجع نفسه . وانظر أيضا (What Are Black Holes?) <https://www.nasa.gov> و (The

[http://amazingspace.org/truth_about Black Holes](http://amazingspace.org/truth_about_Black_Holes) تاريخ التصفح: 2018/02/09

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) الموقع الإلكتروني لناسا <https://www.nasa.gov> تاريخ التصفح 2018/08/13 على

الساعة 06:35

(5) المصدر نفسه

إذا أهم سِمةٌ لهذه الثقوب أنها سوداء مختفية لا تُرى أبداً وهي أهم عائق في معرفة الكثير عنها، لكن في هذه الحال كيف يتم الكشّف عنها؟ ببساطة عن طريق « الآثار التي تنبئ عن وجود الثقوب السوداء، فهي قدرتها الغريبة على التهام كل ما يقترب منها من أشياء، وأيضاً إمكانها جعل النجوم الهائلة التي تكبرها بملايين المرات تتخذ لها مداراً حولها»¹. كما أنها « تعتلّ الزمن أيضاً، فلا يصبح بمعناه الذي عرفناه وألفناه»².

ويمكن معرفة مكان الثقب الأسود عن طريق الأشعة السينية، فبفضل خاصية المدّ والجزر» التي يميّز بها الثقب الأسود، والذي عن طريقها يمكن مراقبتها ودراسته، فبينما تتجذب إليه الغازات تقوم قوى الجاذبية والمدّ والجزر بضغطها، وكنتيجة لهذا ترتفع درجة حرارتها، فيتولّد عنها إشعاع ذو طاقة عالية مثل الأشعة السينية(أشعة اكس) التي يمكن عن طريق التقاطها معرفة مكان الثقب الأسود، ولكن يجب أن نأخذ في حسابنا، أنّه ليست كلّ مصادر الأشعة السينية ثقوباً سوداء»³ الذي نخرج به من هذه الإطلالة العلمية هو أبرز سمات الثقوب السوداء وهي الاختفاء وعدم رؤيتها، وهذا ما دلّت عليه مفردة الخنّس، فالتعالق إذاً بين هذه المفردة والمفهوم العلمي الذي أوردناه حقّقته الدلالة المعجمية. لكنّ الخطاب القرآني لا يكتفي بذكر هذه الصّفة فقط بل يضيف صفتين أخريين أيضاً هما (الجوار)

(1) وصفي(رؤوف) ، الكون والثقوب السوداء، مر: زهير الكرمي، مجلة عالم المعرفة، مايو 1979، العدد 17، ص 201.

(2) المرجع نفسه، ص 176. (بتصرّف يسير جدّاً)

(3) المرجع السابق، ص 194. وانظر أيضاً:

Novikov(Igor), **Black Holes and the universe**, Cambridge university press, Cambridge. Great Britain, 1995, p23.

و(الكئس). أما الجوار فتدلّ على حركة هذه الثقوب، فقد توصل العلماء إلى أنها تتحرّك في مداراتها وأفلاكها بسرعات كبيرة ملتهمّة كلّ ما تجده في طريقها، وهو ما تدلّ عليه (الكئس)، وسنبحث هذا في هذه المادة اللغوية في المباحث التالية.

وجدنا في مقال بعنوان (الثقوب السوداء القوة المميّزة في الكون) وصفا لما أشرنا إليه، نصّه «إنّها تُنشئ [أي الثقوب السوداء] جاذبية هائلة تسحب - بشكل لا يختلف - عن مكنسة كونية خفية، حين تتحرّك تبتلع أيّ مادة تجدها في طريقها، حتى الضوء لا يستطيع الانفلات منها»¹. هذه هي صفات الثقوب السوداء في ثلاث مفردات فقط، وهي تعبير دقيق مكثّف جدًّا يكتنز دلالات كثيرة.

3- السّراج

وردت هذه المفردة أربع مرات في النص القرآني، في مواضع مختلفة، من سورة الفرقان والأحزاب ونوح والنبأ، فانظر مواضعها:

✓ قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾²

✓ وقال: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ - وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾³

✓ وقال أيضا: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾⁴

✓ وقال أيضا: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾¹

(1) ABC News, **Black Holes: The Deadliest Force in the Universe.**

<http://abcnews.go.com>

والنص الأصلي هو «And in death, stars occasionally give birth to black holes; when a massive celestial body's core collapses, it creates an immense gravitational pull not unlike an **invisible cosmic vacuum cleaner**. As it **moves**, it sucks in all matter in its way -- not even light can escape» تاريخ التصفح: 2018/06/05

(2) سورة الفرقان، الآية 61.

(3) سورة الأحزاب، الآية 46.

(4) سورة نوح، الآية 16.

هذه السور مكيّة باستثناء الأحزاب، فهي سورة مدنيّة، وفي هذا الاختلاف سرّ مهمّ، فلو تأملت الآيات بإمعانٍ لأفويت أنّها في سورة الفرقان ونوح والنبأ كان المقصود بالسراج الشمس أو النجم عموماً، كان ذلك في سياق ذكر نِعَمِ الله تعالى، لأنّ بنية سورة الفرقان مؤسّسة على ثلاث دعامات « أولها: إثبات أنّ القرآن مُنزلٌ من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه -صلى الله عليه وسلم- ودلائل صدقه... وثانيها: إثبات البعث والجزاء. وثالثها: الاستدلال على وحدانية الله وتفردّه بالخلق»². في خضمّ الدعامة الثالثة ورد ذكر تسخير الشمس في الأرض، لكونها نعمةً من النعم الكبرى التي تستحيل الحياة بدونها. والشيء نفسه في سورة نوح إنّ الله يُخاطب فيها المشركين ليضرب لهم المثل في أقوام عصت وطغت فكانت نهايتهم العذاب الوبيل، ومن هؤلاء قوم نوح « وهم أول المشركين الذين سلّط عليهم عقاب في الدنيا»³، الذين كفروا بالنعم، فكان تذكيرهم بها ومن هذه النعم تسخير الشمس والقمر. وقد اختلف المفسرون في كون الكلام « من حكاية كلام نوح عليه السلام لقومه... وكان تخلصاً من التوبيخ والتعريض إلى الاستدلال عليهم بآثار وجود الله ووحدانيته وقدرته... [أم] من خطاب الله تعالى للأمة وهو ما يسمح به سياق السورة من الاعتبار بأحوال الأمم الماضية المساوية لأحوال المشركين»⁴

وكذلك النبأ أقامت الحجّة على أنّ «يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في خلاف فيه مع المؤمنين ثابت ثباتاً لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجهه، لأنّ خالق الخلق مع أنّه حكيم قادر على ما يريد

(1) سورة النبأ، الآية 13.

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 18، ص 314.

(3) المرجع السابق، ج 29، ص 185-186.

(4) المرجع نفسه، ج 29، ص 202.

دبّرهم أحسن تدبير، بنى لهم مسكنا وأتقنه وجعلهم على وجه يبقى به نوعهم... وجعل سقّهم وفراشهم كافلين لمنافعهم...»¹ ومن ذلك أيضا خلق هذا النجم العظيم إنّه الشمس الذي لا يقدر على خلقه إلا الله هو والقمر وغيره مما عظم شأنه أو قلّ. لعلّك تُدرك الآن سرّ وجود هذه المفردة في هذه السياقات وضمن الخطاب المكي.

أما (سراجا) في سورة الأحزاب المدنيّة كما أشرنا سابقا، فكانت وصفا للرسول صلى الله عليه وسلّم، وأريد بذلك أنّه «مثل السراج الذي يُستضاء به، أو مثل الشمس في النور والظهور»²، وإن كنا نستدرك على قول "الزيدي" بأنّه -أي الرسول- كالشمس في الضياء وليس النور، لأنّ الله لم يصف الشمس بالنور أبدا لأسباب سنقف عليها لاحقا. وأكثر آيات هذه السورة «نزل للردّ على المنافقين أقوالا قصدوا بها أذى النبي صلى الله عليه وسلّم لما تزوّج "زينب بنت جحش" بعد أن طلقها "زيد بن حارثة"... وتحريض المؤمنين على التمسك بما شرع الله وذكر الله وتزيهه شكرا على هديه وتعظيم قدر النبي -صلى الله عليه وسلّم- عند الله وفي الملاء الأعلى»³. تردّ إذا هذه المفردة في سياق نداء للنبيّ -عليه الصلاة والسلام- أودع فيه سبحانه وتعالى صفاته مُشيدا به رافعا من قدره، فهو الشاهد والمبشّر والنذير والداعي إلى الله والسراج المنير. لكنّ لم يُوصف الرسول بالسراج المنير؟ إنّ هذا له علاقة بحقيقة الشّمس والمفاهيم العلمية المرتبطة بها كالتوهج والضياء، فما سرّ وصف الشمس بالسراج ودلالة وصف الرسول صلى الله عليه وسلّم بذلك؟

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج21، ص189.

(2) الزيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج6، ص35.

(3) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج21، ص247-248. (بتصرّف يسير جدا)

التحليل المعجمي لمفردة (السراج):

عَدَّ "ابن فارس" مادة (سرج) «أصلاً واحداً صحيحاً يدل على الحُسن والزينة والجمال»¹، فانظر: السراج أي «المصباح»²، سُمِّي كذلك لـ «ضياؤه وحُسنه»³، والسرج للدابة «هو زينته»⁴، و«سرج وجهه أي حسنه»⁵. والسراج: «الزاهر الذي يزهر بالليل، والفعلُ منه: أسرجتُ السراج إسرَاجاً. والمسرج: الموضع الذي تُوضع عليه المسرجة. (والمسرجة: التي تُوضع فيها الفتيلة). والشمسُ سراج النهار، والهُدى سراج المؤمنين. وسرج الله وجهه وبهجه أي حسنه»⁶ و«جبين سارج: واضح كالسراج»⁷ و«سرجه الله وسرجه: وقفه. وسرج الشيء: زينته... وسرج الكذب: عمله»⁸ لكن هناك دلالة مهمة جداً لهذه المادة اللغوية يجب ألا نغفلها، إنها الاتقاد، تشير إلى ذلك المعاجم العربية، فانظر: «أسرج السراج: أوقده»⁹. و«عن بعض أهل اللغة: السراج: الفتيلة الموقدة، وإطلاقها على محلّها مجازٌ مشهور»¹⁰ إذاً تحمل هذه المادة المعجمية معنى الزينة والجمال والضياء والاتقاد، ولو تأملت مواضعها القرآنية ببصيرة ثاقبة لوجدت ذلك واضحاً وضوح العيان. وهذا الذي بنى عليه المفسرون تفسيرهم لهذه المفردة، فتأمل معنا.

(1) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج3، ص156. (مادة سرج)

(2) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج7، ص269. (مادة سرج)

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج2، ص233. (مادة سرج)

(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج7، ص269. (مادة سرج)

(8) المصدر نفسه، ج7، ص270. (مادة سرج)

(9) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(10) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج6، ص35. (مادة سرج)

التحليل الدلالي لمفردة (السراج) عند المفسرين:

أجمع العلماء المفسرون على أنّ المقصود من (السراج) في آية الفرقان ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ هو الشمس، وللاشارة لقد «قرأ "حمزة" و"الكسائي" (سُرْجًا) بضم السين والراء وإسقاط الألف. قال "الزجاج": أراد: الشمس والكواكب العظام، ويجوز (سُرْجًا) بتسكين الراء»¹ لكننا نرى أنّ الصواب إذا كانت المفردة بالجمع هو أنّها الشمس والنجوم لا الكواكب، لأنّ هذه الأخيرة ليست مضيئة كما تتميز الشمس والنجوم، يقول "البغوي": «(سُرْجًا) بالجمع، يعني النجوم»²، ويضيف "القرطبي" «النجوم العظام الواقعة»³ هكذا فسرها "الطبري"⁴ و"الثعلبي"⁵ و"بن عاشور"⁶ وغيرهم كثير. بينما في سورة نوح ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ فكان الوصف تشبيها بليغا «لأنّ حقيقة السراج: المصباح الزاهر الضياء. والمقصود: أنّه جعل الشمس مزيلة للظلمة كالسراج، أو خلق النجوم كالسرج في التلاؤ وحسن المنظر»⁷. والسراج كما هو معلوم «المصباح الزاهر نوره الذي يُوقَد بفتيلة في الزيت يُضيء التهابها المعدل بمقدار بقاء مادة الزيت تغمرها»⁸. وسرّ التشبيه إدراك فضل الله على العباد وتسخير

(1) البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ص1020.

(2) البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود)، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تح: عثمان عبد الله النمر وعثمان جمعة خميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض-السعودية، 1409هـ، (دط)، مج6، ج19، ص92.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج15، ص460.

(4) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج5، ص482.

(5) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج7، ص144.

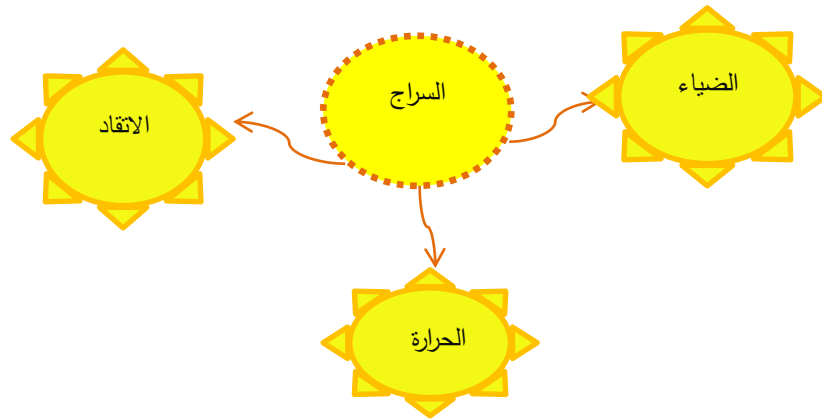
(6) بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج19، ص64.

(7) المصدر السابق، الصفحة نفسها

(8) المصدر نفسه، ج29، ص203.

نعمة ضياء الشمس « للتوصل إلى التصرف لمعايشهم»¹، لكنّ الضياء هو منفعة من بين منافع أخرى كثيرة، منها الحرارة التي لا تقل أهميةً، لأنّ الشمس نجم متقدّ، وهو المعنى الذي أفادته مفردة (السراج) لأنّها تحمل دلالة الضياء والاتقاد وذلك مصدر من مصادر الحرارة، يقول " الزحيلي": « وجعل القمر في السماوات منورا لوجه الأرض، من غير حرارة، وجعل الشمس مصدر الضوء كالسراج؛ وهو المصباح المضيء الذي يزيل ظلمة الليل، وينشر الحرارة والدفء»².

في سورة النبأ يضيف الله سبحانه وتعالى صفة (وهّاجا) للسراج، والوهج أصل واحد يدلّ على « حرّ النار وتوقدها. ويستعار ذلك فيقال: توهّج الجو: تالأ. وتوهّجت رائحة الطيب ووهّج الطيب: أرجه ورائحته. وسراج وهّاج: وقاد. وكذلك نجم وهّاج»³ وهي صيغة مبالغة فيها زيادة في معنى الاتقاد والحرارة وقوتها، يقول "القرطبي": « سراجا أي نجما منيرا جدا، وهّاجا أي هو مع تألوه وشدة ضيائه حار مضطرم الاتقاد وهو الشمس، من قولهم: وهج الجوهر: تالأ، والجمر: اتقد»⁴



(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج21، ص258.

(2) الزحيلي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج3، ص2745.

(3) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج6، ص147. (مادة وهج)

(4) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج21، ص198. وانظر أيضا: بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع

سابق، ج30، ص24.

لكي ندرك سرّ اختيار مفردة (سراجا) لا بدّ أن نتأمّل الصفات التي وُصِفَتْ بها الشمس في القرآن الكريم؛ فباستثناء وصف انضباط حركتها ومنازلها والقمر وسائر الأجرام الأخرى وكونها وسيلة دقيقة لحساب الزمن والتأريخ للأحداث تُوصَف بالسراج والضياء فقط دون النور مثلا أو غيره من الصفات، فبالإضافة إلى الآيات الآتية نجد قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾¹ وكذلك قوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾² فقد منّ الله على الإنسان واستدلّ على ألوهيته بأنّ زواج بين الليل والنهار وأشار إلى علامتهما؛ الضياء والظلمة، واختيار الضياء دون النور، إشارة إلى الشمس وضوئها لأنّ منافعهما تتجاوز الضوء إلى الدفء والحرارة وغيرهما، وهي إشارة إلى نعمة خلق النهار، ولم يقل نورا لأنّ هذا الأخير مقترن بالقمر وهو من علامات الليل، و« عبّر بالضياء دون النهار لأنّ ظلمة الليل قد تخفّ قليلا بنور القمر فكان ذكر الضياء إيماً إلى ذلك»³

ولكي نفهم دلالة ذلك لا بدّ أن نستقرئ المواضع التي وُظِّفَتْ فيها هذه المفردة - أي الضياء - حين وصف الماديات في النصّ القرآني إذ لم تكن إلا لوصف البرق ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾⁴ كَلَمَّا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ⁴ أو النار ﴿مَثَلُهَا كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾⁵ أو زيت المصباح ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾⁶

(1) سورة يونس، الآية 05.

(2) سورة القصص، الآية 71.

(3) بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 20، ص 170.

(4) سورة البقرة، الآية 20.

(5) سورة البقرة، الآية 17.

(6) سورة النور، الآية 35.

لعلك تلاحظ أنّ البرق هو شحنة كهربائية يمكنها توليد شرارة (Spark) إذا اقتربت من الأرض، وله توهج، والنار هي اشتعال وانقاد، وزيت المصباح مادة قابلة لذلك، نقصد من ذلك أنّ الضياء إذا كان وصفاً لشيء مادي فإنّه غالباً ما يكون مشتعلاً أو متقدماً. إذاً كان المقصود بالسراج الشمس، فما الذي يميّز به السراج بصفته آلة تُستعمل للإضاءة والشمس كونه نجماً من النجوم حتى يرتبطا دلالياً بهذا الشكل؟

التحليل العلمي لمفهوم (السراج) و(الشمس)

وسيلة تقليدية لتوليد الضوء عن طريق استخدام مُركّب زيتي بصفته وقوداً. تُعدّ هذه الأنواع من المصابيح شكلاً من أشكال الإضاءة، وبديلاً عن الشموع قبل استخدام المصابيح الكهربائية، تعمل « باحتراق فتيل السراج بإشعاعه بواسطة احتراق الزيت من مثل زيت الزيتون أو النفط(الكيروسين) أو الكحول فيُشع بواسطة الترددات التي يمتصّها، وكلما ارتفعت درجة حرارته زادت قدرته على إشعاع الضوء، وذلك بزيادة كمية الضوء الصادر منه، وارتفاع معدلات تردده. وعلى ذلك فإنّ الجسم المادي عندما يُسخن فإنّه يشعّ بمقدار الطاقة التي يمتصّها برفع درجة حرارته بأيّة واسطة متاحة»¹. وفي الآيات السابقة أطلق الخطاب القرآني السراج دلالةً على الشمس، فما هي أسرار هذا النجم، وما هي طبيعته حتى يُوصفَ بذلك؟

الشمس نجم من النجوم ذات الحجم المتوسط، وعندما نقول ' نجم ' فنحن نتحدّث عن « أجرام سماوية كروية متوهّجة شديدة الحرارة، ومن ثمّ فهي مُشعّة للضوء أو بالأحرى لجميع إشعاعات الطيف الكهرومغناطيسي. وتتكوّن غالباً من غازي الإيدروجين والهيليوم، وعندما يصدر منها الضوء يصل إلينا فنراها لامعة في أثناء

(1) النجار، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص503.

ليل الأرض المظلم»¹. يبعد عنّا هذا النجم- أي الشمس- مسافة ثمانى دقائق ضوئية (أي حوالي مائة وخمسين مليون كيلومتر)، ويبلغ عمره بتقدير العلماء خمسة آلاف مليون سنة. ويتكوّن من الايدروجين بنسبة تقارب 90% و 9% من الهيليوم بينما تشكّل عناصر أخرى كالكاربون والنيتروجين والاكسجين ما يقارب 1% ويُجمّع العلماء على أنّ درجة حرارة سطح الشمس تبلغ ستة آلاف درجة مئوية، بينما تصل في مركزها إلى خمسة عشر مليون درجة مئوية»².

وهي كرة من الغازات الملتهبة التي تنتج «طاقةً من عملية الاندماج النووي والتي يتمّ فيها اتحاد أربعة من نوى ذرات الايدروجين لنتج نواة واحدة من نوى ذرات الهيليوم، وينطلق الفرق بين مجموع كتلة الأربع نوى لذرات الايدروجين وكتلة نواة الهيليوم على هيئة طاقة (تساوي 0.0282 وحدة ذرية لكل تفاعل) وهذه الطاقة الناتجة عن تلك العملية يكون أغلبها على هيئة أشعة جاما (حوالي 96%) وجزء قليل على هيئة النيوتريونات (Neutrinos) (في حدود 4%)، وسرعان ما تتحوّل أشعة جاما إلى حرارة، بينما تُفقد النيوتريونات في الحال»³.

ينتج عن هذا الاندماج النووي الذي يحدث في داخلها ارتفاع في نسبة الهيليوم وإصدار الطيف الكهرومغناطيسي ومن ثمّ إنتاج الضوء أي «الطيف المرئي والذي

(1) وصفي، الكون والثقوب السوداء، مرجع سابق، ص 111-112. وانظر أيضا:

Patrick Moore, **Philip's astronomy encyclopedia comprehensive and authoritative A-Z guide to the universe**, foreword by Leif J. Robinson, Octopus publishing group, London, 2002, 1st ed, P386.

(2) انظر:

Patrick Moore, **Philip's astronomy encyclopedia comprehensive and authoritative A-Z guide to the universe**, PR, P393-394 .

(3) النجار، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 502.

يتكوّن من مجموعة أطياف الطاقة الكهرومغناطيسية وهو عبارة عن تيار من الفوتونات المنطلقة من جسم مشتعل ملتهب متوقّد بذاته سواء أكان ذلك بفعل عملية الاندماج النووي كما يحدث في الشمس وفي داخل غيرها من نجوم السماء أم صادرا من جسم مادي تُستثار فيه الإلكترونات بعملية التسخين الكهربائي أو الحراري»¹

المُلاحظ هنا أنّ مبدأ عمل المصابيح الكهربائية والسُّرج يشبه ما قلناه سابقا، فالأولى تضيئ بسبب «تسخين سلك من معادن الإشعاع، وكلما ارتفعت درجة الحرارة زادت كمية الضوء المُشع وارتفعت معدلات تردّد موجاته»²، والثانية يحترق فيها الفتيل بواسطة مادة زيتية أو كحولية، وكلما ازدادت درجة حرارته بفعل الاحتراق ازداد إشعاع ضوئه.

إنّ سرّ اختيار مفردة السّراج دلالةً على الشّمس هو كونها جسمين مشتعلين وملتهبين انطلاقا من وقود فيصدران بذاتهما ضوءاً مضيئاً ومن ثمّ حرارةً، لهذا رأى بعض الباحثين أنّ توظيف السّراج ينشئ «تشبيها علميا دقيقا، فالشمس هي سراج والسّراج يحرق الزيت ويصدر الضوء والحرارة، والشمس تقوم بالعمل ذاته فهي تحرق الايدروجين وتُدْمجه (بشكل نووي) لتصدر الضوء والحرارة»³

وفي واقع الأمر يجزّنا هذا إلى الحديث عن نقطة مهمّة ألا وهي سر اختيار الضياء دون النور في وصف السّراج والشمس، وفي الخطاب القرآني إلحاح شديد في التفريق بين المفردتين وتوزيعهما في السياقات القرآنية، فالضياء كما رأينا يكون

(1) المرجع نفسه، ص503.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) فرج مدرس(صبيحي رمضان)، أسرار الشمس بين الوصف القرآني وحقائق علم الفلك الحديث، مقال

إلكتروني. منشور يوم 2010/09/07. <http://quran-m.com/quran/article.2010/09/07>. تاريخ التصفح: 2018/08/05

على الساعة: 09:00 صباحا

من جسم مشتعل احترق، فيه وَقُودٌ، يُصَدِرُ ضَوْءَهُ بذاته كالشمس، وكما أسلفنا الذكر وُصِفَتْ به الشمس والنار والبرق والمصباح أو السراج وزيته فقط، ولم يُوصَفَ شيء آخر بالضياء في القرآن ماديا كان أو معنويا إلا في موضع فقط وهو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾¹ وهو الموضع الوحيد الذي ورد فيه ذلك، ولا ندري ما سر ذلك، فلا يحيط بهذه اللغة إلا نبي، مع العلم أنّ العلماء والمفسرين اختلفوا في تفسير ذلك بدءاً برواية "ابن عباس" و"عكرمة" اللذين يقرآن «الفرقان ضياءً بغير واو الحال»²، وفسر العلماء الضياء هنا «مثل ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾»³ ويقول "البقاعي": «﴿وضياء﴾ لا ظلام معه، فلا ظلم للمستبصر به، لأنّ من شأن مَنْ كان في الضياء أن لا يضع شيئاً إلا في موضعه»⁴ بناءً على أنّ الفرقان هو التوراة، لأنّهم - ونقصد المفسرين - اختلفوا في كون هذا الأخير التوراة أو فرق البحر أو الحق أو أشياء أخرى، فمن رأى أنّه التوراة فسره بكونه «ميزان العدل لِمَا نَشَرَ من الضياء المورث للنصرة الماحقة للظلام، فلا يقع متبّعُه في ظلم»⁵. أما النور فلم يُوصَفَ به في الماديات سوى القمر كما ورد في الآيات الثلاثة السابقة، وسبب ذلك أنّ القمر كوكبٌ معتم ليس نجماً مُصدِراً للضوء بل يعكس «من أشعة الشمس ما يسقط على سطحه المكسو بالعديد من الطبقات الزجاجية الرقيقة والنااتجة عن ارتطام النيازك بهذا السطح، والنااتجة أيضاً عن الانصهار الجزئي للصخور على سطح القمر بفعل ذلك الارتطام، فالقمر

(1) سورة الأنبياء، الآية 48.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج14، ص214.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج12، ص431.

(5) المصدر نفسه، ج12، ص430-431.

وغيره من أجرام مجموعتنا الشمسية هي أجسام معتمة باردة لا ضوء لها، ولكنها يمكن أن تُرى لقدرتها على عكس أشعة الشمس فتبدو منيرة بالليل»¹

كما أنّ النور في مواضع قرآنية أخرى يدلّ على المعنى الحسي كما في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾² فكثير من العلماء رأى أنّ المقصود بالظلمات والنور في الآية «الأمران المحسوسان بحسّ البصر، والذي يقوي ذلك أنّ اللفظ حقيقة فيهما... وجُعلا مقرونين بذكر السموات والأرض»³، وهذه ليست الآية الوحيدة الدالة على هذه الدلالة الحسيّة، أما في باقي المواضع القرآنية، فالنور يقابل الظلمات؛ ظلمات الجهل والكفر والشرك، فيرادف الهداية والإيمان، فتأمّل قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁴ إذ فسّر العلماء «الظلمات بالضلالة، والنور بالهدى»⁵، والنور كذلك هو صفة من صفات الكتب السماوية؛ التوراة والإنجيل والقرآن منها، ورد ذلك في كثير من الآيات منها ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾⁶ و﴿وَأَتَيْنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾⁷ و﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾⁸، كما وُصِفَ الرسول - صلى الله عليه وسلّم - بالنور، يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

(1) النجار، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 504-505.

(2) سورة الأنعام، الآية 01.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج 12، ص 159.

(4) سورة البقرة، الآية 257.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج 4، ص 285.

(6) سورة المائدة، الآية 44.

(7) سورة المائدة، الآية 46.

(8) سورة النساء، الآية 174.

مُبينٌ¹ ﴿ فقد أجمع العلماء على أنّ المقصود بالنور في الآية هو الرسول صلى الله عليه وسلّم. والنور أيضا هو نور الله والله المثل الأعلى، ونوره ليس كنور الأشياء المخلوقة، يقول عزّ وجلّ ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ² ٢.

وسرّ هذا التباين الدلالي هو أنّ الضياء كما رأينا يكون مع اتّقاد واشتعال وحرارة، والنور لا يستدعي ذلك، يقول " السمرقندي " (ت/375هـ): « جعل الشمس ضياءً مع الحرّ والقمر نوراً بلا حرّ³ وهو ما عبّر عنه " ابن تيمية"(ت/728هـ) قائلا: «وسمّي سبحانه الشمس سراجا وضياء؛ لأنّ فيها مع الإنارة والإشراق تسخيننا وإحراقا، فهي بالنار أشبه، بخلاف القمر، فإنّه ليس فيه مع الإنارة تسخين⁴». فالنور إذاً أحقّ بأن يُوصف به الله تعالى.

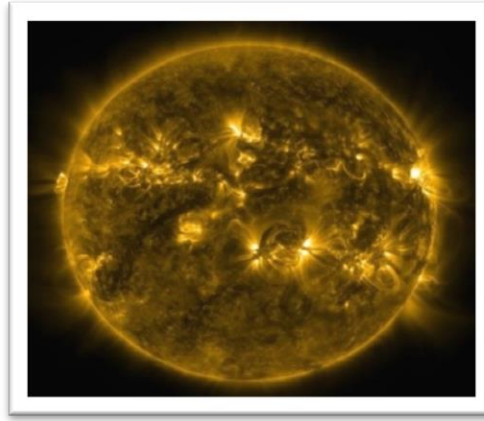
هذه هي دلالة السراج وهذا هو سرّ وصف الشمس به والكناية به عنها، والذي أحدث التعالق بين دلالة هذه المفردة وما توصلّ إليه العلماء من مفاهيم علمية فلكية هو الدلالة المعجمية.

(1) سورة المائدة، الآية 15.

(2) سورة النور، الآية 35.

(3) السمرقندي(أبو الليث نصر)، بحر العلوم، تح وتعلّق: الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوّتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1993، ط1، ج2، ص88.

(4) ابن تيمية(أبو العباس تقي الدين)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح وتعلّق: علي بن حسن بن ناصر، عبد العزيز بن ابراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض-السعودية، 1999، ط2، ج4، ص368.



(الشكل 19 صورة ملتقطة للشمس عبر المرصد Solar Dynamics Observatory's Atmospheric

Imaging Assembly AIA الخاص بوكالة ناسا بتاريخ: 2010/02/11)¹

4- الطارق

هذه المفردة لم ترد إلا في موضع قرآني واحد، ألا وهو سورة الطارق؛ في الآيتين الأولى والثانية ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ وقد تحدثنا عن أجواء سورة الطارق المفعمة بالحركة ومقصودها في الفصل الثاني². في هاتين الآيتين يُقسم الله عزَّ وجلَّ بالسماء والطارق، وهذا أسلوب قرآني يؤكد عظمة المقسم به، فسبحانه عزَّ وجلَّ لا يقسم إلا بعظيم يُريد لفت الانتباه إليه لندرك إعجاز الله في خلقه وعظمة مخلوقات الله، يقول "البقاعي": « ولَمَّا أُقسِمَ بالسماءِ لِمَا لَهَا مِنَ الشَّرْفِ والمجدِ تنبيهاً على ما فيها ولَمَّا أُقسِمَ بأعجب ما فيها

(1) المصدر: <https://cor.gsfc.nasa.gov>. تاريخ التصفح: 2018/07/06 على الساعة 07:00 صباحاً

وانظر أيضاً: <https://sdo.gsfc.nasa.gov/mission/science.php>

(2) انظر الفصل الثاني من هذا البحث، ص 115.

وهو جنس النجوم ثم بأغربه وهو المعدّ للحراسة تنبيها على ما في ذلك من غرائب القدرة»¹.

والذي زاد القسَمَ عظمةً وتوكيداً هو إتباعه باستفهام تعظيم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ وهو الآخر أسلوب قرآني فريد ومتميز وَرَدَ في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن في مواقف مهولة وعظيمة، فمن التهويل والتعظيم معاً قوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ﴾² وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ³، وَجُلَّ مواضع هذا التركيب البلاغي دلالاته التعظيم والتهويل معاً. بهذه الدلالة إذا وَرَدَ تركيب القسَمَ بالطارق. فما دلالة هذه المفردة؟ وبمَ فسرها العلماء؟

التحليل المعجمي لمفردة الطارق:

الطاء والراء والقاف ممّا تعدّدت أصوله الدلالية، فهو جذر له أربعة أصول كما أورد "ابن فارس" «أحدها الإتيان مساءً، والثاني الضرب، والثالث جنسٌ من استرخاء الشيء، والرابع خَصَفُ شيءٍ على شيءٍ»⁴. يقول "الفراهيدي": «طرقتُ منزلاً أي جنته ليلاً» ومنه سُمِّيَ كلُّ نجمٍ عند العرب طارقاً «لأنَّ طلوعه بالليل، وكلّ ما أتى ليلاً فهو طارق»⁵ ومن الدلالة الأخيرة رُوي عن النبي - صلى الله عليه وسلّم - ما يُنَعِّوْدُ وَيُرْقِي به للآرق وهو قوله «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شرِّ ما ينزل من السَّماء وما يعرج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ وما يخرج

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج21، ص371.

(2) سورة الحاقة، الآية 1-2.

(3) سورة القدر، الآية 02.

(4) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج3، ص449. (مادة طرق)

(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج6، ص270. (مادة طرق)

منها، ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ طوارق الليل والنهار¹ إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن»².

وفي السياق ذاته يُورد " البخاري " حديثا ينهى فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يطرق الرجل أهله ليلا، يقول: « حدّثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا عاصم بن سليمان عن الشعبي أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا أطل أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا))»³، فهذا تقول العرب «أتانا فلان طرّوقا، إذا جاء بليل فهو طارق، ورجل طرّوقا إذا كان يسري حتى يطرق أهله ليلا، والطارق: النجم الذي يُقال له كوكب الصبح، ومنه قول هند: نحن بنات طارق *** نمشي على النمارق»⁴ دلالة على الرّفعة والشرف. ومجيء الطروق للنهار قليل جدًا لأنّ الأصل فيه لليل، و«الدليل على أنّ الأصل الليل تسميتهم النجم طارقا؛ لأنّه يطلع ليلا»⁵، إلى هذا ذهب "الفراء" و"الزجاج" و"أبو الفرج

(1) وفي رواية أخرى أوردها "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الدمشقي" لم يُورد كلمة النهار، انظر: ، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (دت)، (دط)، ص593.

(2) الطبراني(أبو القاسم سليمان بن أحمد)، كتاب الدعاء، تح وتخ: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار النشر الإسلامية، بيروت- لبنان، 1987، ط1، مج3، ج5، ص1307. وأورد الدعاء تحت باب(الدعاء للأرق من الليل).

(3) البخاري(أبو عبد الله بن اسماعيل)، صحيح البخاري(الجامع الصحيح)، دار ابن الجوزي، القاهرة- مصر، 2011، ط1، مج2، ص513.

(4) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج4، ص1515.(مادة طرق)

(5) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج3، ص449.(مادة طرق)

البغدادي¹، والرازي ينفي الطروق نهارة، يقول: «وأما الطارق فهو كل ما أتاك ليلا سواءً أكان كوكبا أم غيره، فلا يكون الطارق نهارة»².

وفي الأصل الثاني نجد دلالة الضرب «ومنه سُميت مطرقة الصائغ والحدّاد، لأنّه يطرق بها أي يضرب بها، وكذلك عصا النجّاد التي يضرب بها الصوف... وطرقت النجّاد الصوف بالعود طرّقا: ضربه، واسم ذلك العود المطرقة»³ ومنه «الضرب بالحصى تكهّنا»⁴. ومنه الطرّق «أي الصكّ، فقد طرّقه بكفه إذا صكّه به»⁵. ومنه أيضا «طرق الفحل الناقة: قعا عليها وضربها»⁶. و«الطرّق ضرب من أصوات العود»⁷. وقيل أنّ أصل الطرّوق أي المجيء ليلا هو «الطرّوق وهو الدقّ وسُمّي الآتي بالليل طارقا لحاجته إلى دقّ الباب»⁸، وبهذا يؤول الأصل الأول أي الخروج ليلا إلى الأصل الثاني وهو الضرب ومن هذه الدلالة الأخيرة يُطلق على السبيل (الطريق) لأنّها تُمدّ في الأرض وتُضرب، ويُنظر "الراغب الأصفهاني" إلى ذلك من زاوية أخرى، إذ يقول: «الطريق السبيل الذي يُطرّق بالأرجل، أي يُضرب»⁹، ومنه «الطريق: ما بين السكّتين من النّخل»¹. وأسْتَعِير ذلك على كلّ

(1) انظر: الجوزية، بدائع التفسير، مصدر سابق، ج3، ص285. والبغدادي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق، ص1534.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص127.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص2662. (مادة طرّق)

(4) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج3، ص449. (مادة طرّق)

(5) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص2662. (مادة طرّق)

(6) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج26، ص65. (مادة طرّق)

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص2663. (مادة طرّق)

(9) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص518. (مادة طرّق). وانظر: الزين (سميح عاطف)،

تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، 1994،

ط3، ص535. (مادة طرّق)

« مَسَّكَ يَسْلُكُهُ الْإِنْسَانُ فِي فِعْلٍ مَحْمُودًا كَانَ أَوْ مَذْمُومًا »²، لهذا تقول العرب طريقة الرجل « مذهبه. والطريقة: السيرة. والطريقة: الحال... ومنه قوله تعالى ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾³... ومنها بنات الطريق: التي تفترق وتختلف فتأخذ في كل ناحية... وطرائق الدهر: ما هو عليه من تقلبه، قال الراعي:

يا عجبا للدهر شتى طرائقه * * وللمرء يبليه بما شاء خالقه!⁴»⁵

ومن هذا الأصل قول العرب تطرق فلان إلى الأمر أي « ابتغى إليه طريقا، وطريقة القوم أمثالهم وخيارهم، وإنما تأويله هذا الذي يبتغي أن يجعله قومه قُدوةً ويسلكوا طريقته، وطرائق القوم أشرافهم »⁶.

ويحمل الأصل الثالث معنى الاسترخاء، « فأطرق الرجل، إذا سكت فلم يتكلم. وأطرق: أي أرخى عينيه ينظر إلى الأرض »⁷، يقول "الفيروزآبادي": « وَرَجُلٌ مَطْرُوقٌ: فيه لين واسترخاء، كأنه أصابته حادثة لِينَتِهِ »⁸ ومن ذلك « الطَّرَقَ وهو لين في ريش الطائر... ومنه الطَّرِيقَةُ أي اللين والانقياد. والطَّرَقَ: ضَعْفٌ في الركبتين »⁹

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص2665. (مادة طرق)

(2) الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة- مصر، 1996، ط3، ج3، ص504.

(3) سورة الجن، الآية 16.

(4) النُميري (الراعي)، ديوان الراعي النُميري، شر: واضح الصمد، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1995، ط1، ص179.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص2665. (مادة طرق)

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. (مادة طرق)

(7) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج4، ص1515. (مادة طرق)

(8) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص505. (مادة طرق)

(9) ابن فارس، معجم المقاييس، مصدر سابق، ج3، ص451. (مادة طرق)

ودلالة خصف شيء على آخر نجدها في قول العرب « طارق الرَّجُل بين نعلين وثوبين: لبس أحدهما على الآخر، وطارق نعلين: خصف إحداهما فوق الأخرى... وكل ما وُضِعَ بعضه على بعض فقد طُورِقَ وأُطْرِقَ»¹

هذه أبرز دلالات الوحدة اللغوية (طرق)، والمتأمل لهذه المعاني يلاحظ أن كثيرا منها مُنَبَّنٍ على التوسّع في كلام العرب، لأنّ أكثر هذه الجزئيات الدلالية تؤول كما ذكرنا آنفا إلى الضرب، فالمجيء ليلا سُمِّيَ طُرُوقًا لأنّ الآتي بالليل يدقّ الباب، والطرق سبيل مُدَّتْ وضُرِبَتْ في الأرض، ولأنّها أيضا تُضْرَبُ بالأرجل، وطَرَقُ الشيء دَقُّه بالمطرقة. تُرى إلى أيّ دلالة يستند المفسّرون في تفسير الطارق؟ هذا ما تجيب عنه الجزئية التالية.

التحليل الدلالي لمفردة (الطارق) عند المفسّرين

اتّفق العلماء على أنّ الله عزّ وجلّ أقسم في الآيتين بالسّماء والنّجم لأنّهما « آية من آياته الدالة على وحدانيته، وسُمِّيَ النجم طارقا لأنّه يظهر بالليل بعد اختفائه بضوء الشمس»². لكنّهم اختلفوا في ماهية النّجم، فمنهم من رأى أنّه نجم بعينه، ومنهم من مال إلى أنّه جنس النجوم، وفئة رأت أنّه كوكب من الكواكب - هذا إذا لم يكن إطلاق لفظ كوكب إطلاقا عاما يقصد من خلاله النجوم - ، وفئة أخرى ذهب إلى أنّه نوع الشّهْب، مع أنّ النجم والكواكب والشّهْب أشياء مختلفة متباينة وكلّها واردة في القرآن. وهذا بيان ذلك.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج4، ص2664. (مادة طرق)

(2) الجوزية، بدائع التفسير، مصدر سابق، ج3، ص285.

ذهب "الثعلبي" إلى أن المقصود من الطارق هو « النجم يظهر ليلاً ويخفى نهاراً»¹ ثم نقل عن « أبي الحوراء عن ابن عباس أنه قال: الطارق نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد»². وبالنجم أيضاً فسره "القرطبي"³ و"الفراء" و"الزجاج" و"المبرد"⁴ و"القشيري"⁵، وأورد هذا الأخير اختلافات المفسرين في ذلك، « فابن زيد قال: الثريا، وعنه أيضاً أنه زحل. وقاله الفراء. وابن عباس قال الجدّي»⁶، وبعضهم رأى أن الطارق دال على عموم الشهب التي يَرجم بها الله الشياطين، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ^ط وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ^ط﴾⁷ و يقول: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا^ط﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ^ط فَمَنْ يَسْتَمِعِ^ط الْآنَ يَحْدَ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا^ط﴾⁸، بهذا المعطى القرآني فسّر هؤلاء الطارق بالشهب. لكن كما ذكرنا أنفاً نرجح أن الطارق ليس كوكباً ولا شهاباً، فلو كانا مقصودين لذكرهما الله بإسميهما، لأن كليهما موجود في النص القرآني، فبالإضافة إلى الآيات السابقة انظر قوله تعالى ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ^ط﴾⁹ وقوله ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى

(1) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج10، ص178.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج22، ص201.

(4) انظر: الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ص1608.

(5) انظر: القشيري، لطائف الإشارات، ج3، ص412.

(6) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(7) سورة الملك، الآية 05.

(8) سورة الجن، الآية 08-09.

(9) سورة الملك، الآية 35.

كَوْكَبًا¹ وقوله أيضا ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا² وَأَيْضًا³ إِنَّا زَيْنًا أَلَسْمَاءَ أَلدُّنْيَا بَزِينَةَ الْكَوَاكِبِ³ وَوَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ⁴ .

وكثير من العلماء رأوا أنّ (الطارق) دال على جنس النجوم كلها لكنّ الإفراد والجواب فيما يليه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَلطَّارِقُ ﴿۱﴾ أَلنَّجْمُ أَلثَّاقِبُ﴾⁵ يرجح نوعا خاصا من النجوم، يعين على تعريفه قوله تعالى ﴿أَلنَّجْمُ أَلثَّاقِبُ﴾ ذلك أنّ النجوم ذُكرت في مواضع كثيرة جدا في النص القرآني لكنّها لم تُوصف بالطارق والثاقب إلا في هذا الموضع. وقد اختلف العلماء في تفسير ﴿أَلثَّاقِبُ﴾ فبعضهم فسّره بـ « يتوقّد ضياؤه ويتوهج»⁶ وآخرون بأنّه «يرمي به الله الشياطين فيثقبهم»⁷ منهم "مجاهد"، و"ابن زيد"، وآخرون - ومنهم "الفراء" - فسّروا ذلك « بالارتفاع، إذ العرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعا قد ثقب»⁸، يحيط "الرازي" بهذه الدلالات قائلا: « إنّما وُصِفَ النجم بالثاقب لوجوه؛ أحدها أنّه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه... وثانيها أنّه يطلع من المشرق نافذا في الهواء كالشيء الذي يثقب الشيء. وثالثها أنّه الذي يرى به الشيطان فيثقبه أي ينفذ فيه ويحرقه. ورابعها قاله "الفراء" وهو المرتفع على النجوم»⁹. هذه هي أبرز الدلالات التي توزّع المفسّرون في أنحاءها لتفسير الطارق،

(1) سورة الأنعام، الآية 76.

(2) سورة يوسف، الآية 04.

(3) سورة الصافات، الآية 06.

(4) سورة الانفطار، الآية 02.

(5) سورة الطارق، الآية 02-03.

(6) الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق، ج7، ص499.

(7) الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج10، ص178.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج31، ص127.

فما الذي ترجّحه الاكتشافات العلمية الحديثة في هذا المجال، وهل استطاعت هذه الأخيرة أن تعلّل اختيار الخطاب القرآني لصيغة اسم الفاعل؟ وهل أحدثت توظيف هذه المفردة تعالقا بينها وبين المفهوم العلمي؟ هذا ما سنجيب عنه في الجزئية التالية.

التحليل العلمي لمفهوم (الطارق)

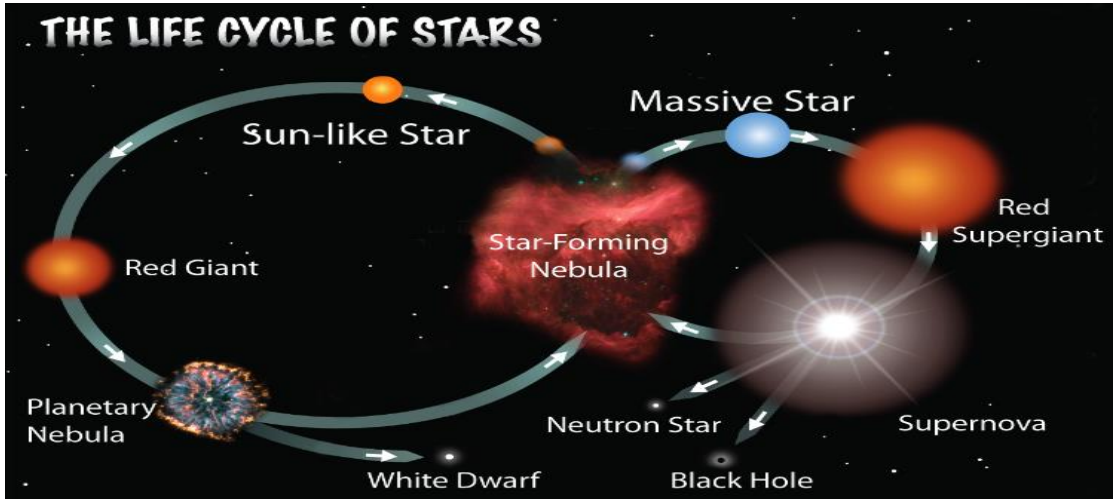
ذكرنا سابقا أنّ النجوم أجرام سماوية كروية متوهّجة شديدة الحرارة، تُصدر إشعاعات الطيف الكهرومغناطيسي والضوء الذي يصل إلينا فيضيء ليلَ أرضنا. والنجوم أنواع مختلفة تتباين فيما بينها في الشكل، والحجم والكتلة ومتوسط كثافة مادتها واللون ودرجة اللعان. وهي مخلوقات كثيرة جدّا في الكون الفسيح تولد وتَمُرّ بمراحل مختلفة. يبدأ الأمر بولادة النجم وتكوّنه من الغاز والغبار الكونيّ التي تجمعها الجاذبيّة في جسم غازيّ كبير في إحدى السُدُم (Nebula)، ثم يصبح أكثر كثافة وحرارة فتبدأ عملية الاندماج النووي (Nuclear Fusion) التي يتحوّل فيها الهيدروجين إلى الهيليوم وينتج عن ذلك طاقةً هائلة. ويُدعى في هذه المرحلة نجمًا أوليًا (Protostar)، ثمّ ينتقل إلى مرحلة أخرى وهي مرحلة النضج والتي تُدعى "نجوم النسق الرئيسي" (The Main sequence stars)، يتوهّج فيها هذا النجم ويصدر طاقةً، ثمّ ينتقل إلى مرحلة أخرى «تتوقّف فيها عملية الاندماج النووي، ويدخل النجم في مرحلة الاحتضار عبر مراحل متتالية»¹، فهو في كلّ الأحوال «يُولد ويكبر ثمّ يشيخ ويهرم ثم يموت وينفجر ويتهاوى على نفسه»²، فالنجوم التي لها مثل كتلة الشّمس أو أصغر تصبح أقزامًا بيضاء (White Dwarfs)، أما إذا كانت كتلتها أكبر فيمكن لها

(1) النجّار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 259.

(2) الكحيل (عبد الدائم)، المطارق الكونية آية من آيات الله، مجلة الإعجاز، علمية دينية فصلية تصدر عن

منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لبنان، ع9، 2009، ص34.

أن تنفجر بشدة لتصبح مستعراً أعظم (Supernova) أو نجماً نيوترونياً (Neutron Star) أو نجماً نابضاً راديويًا (Pulsar) أو حتى ثقباً سوداء (Black Holes). ويستغرق النجم في كل مرحلة ملايين السنين. (انظر الشكل 20)



(الشكل 20 يمثل دورة حياة النجوم)¹

ومن النجوم ما تبلغ كتلته من أربعة إلى ثمانية أضعاف كتلة الشمس، وقد تصل أحيانا إلى خمس عشرة مرة ضعف هذه الكتلة، في هذه الحال ينفجر هذا النجم على شكل المستعر الأعظم من النمط الثاني (The type II Supernova explosion)²، بفضل وزنه وهو ما يسحق نواة هذا النجم فينتج عنه كرة فائقة الكثافة لا يزيد قطرها عن عشرين كيلومترا ولكنها تحوي ضعف كتلة الشمس في داخلها، يسميها العلماء " النجم النيوتروني " هو نجم تتقلص فيه المادة وتتكدس إلى درجة عالية جدا « مما يقرب ما بين الذرات وتندفع الكتلة الهائلة إلى قلب النجم بسرعة جنونية لتسحق

(1) المصدر: <https://www.nasa.gov> تاريخ التصفح: 2018/06/02. على الساعة 01:00

(2) للتوسع انظر: النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 260.

مادتها، فيؤدي هذا إلى أنّ الإلكترونات تقترب من نواتها لتدور ملاصقة لها، ثمّ تتولّد لها طاقة إضافية عالية نتيجة اقترابها من النواة، تتيح لها التفاعل مع البروتونات المكونة للنواة. ويؤدي الالتحام مع هذه الأخيرة (التي تسكن النواة) إلى تعادل شحنة الإلكترونات السالبة مع الشحنة الموجبة للبروتونات، وبهذا تتحوّل إلى نيوترونات متعادلة الشحنة، أي أنّ هذا التفاعل أدّى إلى إنشاء النيوترون واختفاء الإلكترون، مما يؤدي إلى نقص مفاجئ في التركيب الذري، وبهذا الانخفاض تحمل الجاذبية على تقليص المادة أكثر، وهكذا ينشأ النجم النيوتروني مكوّنًا كله تقريبًا من نيوترونات، ونتيجة لهذه الانكماشات واختفاء الفراغات الذرية يتقلّص حجم النجم الهائل إلى أن يبلغ قطره حوالي عشرة كيلومترات فقط ومع هذا يحتوي على مادة هائلة، وهكذا يزن السنتمتر المكعب من مادة النجم النيوتروني حوالي مائة مليون طن¹. هذا النجم يدور بسرعة خارقة، إذ يتجاوز ثلاثين دورة في الثانية، و« قد يصل بعضها إلى مئات الدورات في كل ثانية². هذا الدوران الشديد والسريع يولّد « حقلًا مغناطيسيًا قويًا جدًا يعادل ألف مليون ضعف الحقل المغناطيسي للأرض³، و« تستمرّ حتى وقت موته النهائي (Death time) بعد 10 إلى 100 مليون سنة... إنّ هذا الإشعاع له قابلية إذابة أيّ جسم كوني يقع في مساره⁴ ويولّد عادةً أشعةً راديوية⁵، ممّا جعل العلماء يُسمّونه "النجم النابض الراديوي" (The radio

(1) وصفي، الكون والثقوب السوداء، مرجع سابق، ص 165.

(2) الكحيل، المطارق الكونية آية من آيات الله، مرجع سابق، ص 36.

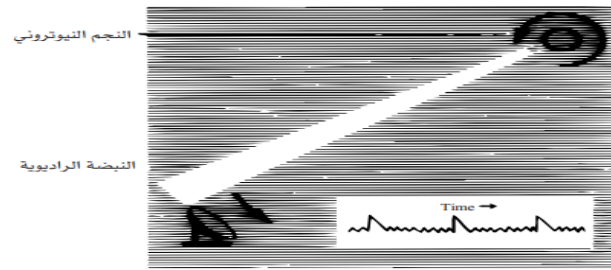
(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) العلي (منير)، التفسير العلمي للقرآن الكريم وحوار العلم والإيمان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت -

لبنان، 2013، ط 1، ص 76-77.

(5) النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 267.

(pulsar)، سموها بالنابضة لأنها « ترسل نبضات راديوية بانتظام دقيق»¹ في كل ثانية وشبهوها بنبضات القلب، لأنهم « تخيلوا بأن هذا النجم ينبض مثل قلب الإنسان، فأسموا هذه النجوم بالنوابض (Pulsar)، ولكن تبين فيما بعد أنها تُصدر أصواتا أشبه بالطرق، فأسموها المطارق العملاقة (Gigantic hammers) التي تدقّ مثل الجرس...ويمكن الاستماع إلى صوت هذه المطرقة الكونية العملاقة وهي تدور 30 دورة كل ثانية، ويستغرق زمن الطرقة الواحدة 0.715 ثانية»² (انظر الشكل 21)



(الشكل 21 يمثل الطرقات الراديوية التي تتولد عن دوران النجم النيوتروني يتم التقاطها بالتلسكوب الراديوي)³

(1) وصفي، الكون والثقوب السوداء، مرجع سابق، ص 167.

(2) الكحيل، المطارق الكونية آية من آيات الله، مرجع سابق، ص 35-36. وانظر أيضا:

Duncan R.Lorimer, Binary and millisecond pulsars, www.ncbi.nlm.nih.gov

The sound of Pulsars, تاريخ التصفح: 2018/09/16 على الساعة 16:09. وانظر أيضا:

<http://www.jb.man.ac.uk>. تاريخ الزيارة: 2018/09/16 على الساعة 16:09. وورد ذلك أيضا في

مقال بعنوان: "X-Ray Oscillations From Biggest Star Quake In Universe Provide Clues"

to Mysterious Interior of Neutron Stars " Kim McDonald " يقول فيه: (An international team of astrophysicists, combing through data from a NASA X-ray satellite, the Rossi X-ray Timing Explorer, reports in the July 20th issue of *Astrophysical Journal Letters* that the explosion produced vibrations within the star, like a Provide Clues To ringing bell

ثم يقول ("This explosion was akin to hitting the neutron star with a gigantic hammer, causing it to ring like a bell," said Richard Rothschild, an astrophysicist at the University of California's Center for Astrophysics and Space Sciences and one of the authors of the journal report). تجد ذلك على الموقع الإلكتروني: <https://ucsdnews.ucsd.edu>.

تاريخ الزيارة: 2018/08/10 على الساعة 09:38 صباحا.

(3) وصفي، الكون والثقوب السوداء، مرجع سابق، ص 172.

والمُعجِز في الخطاب القرآني أنه يصف هذا النوع من النجوم بالإضافة إلى الطارق بالثاقب، وقد قدّمنا تفسير العلماء المفسّرين لذلك، ثمّ توصلّ العلم إلى معرفة خصائص هذه النجوم، إذ « يؤكد العلماء أنّ هذه النجوم تبتّ أشعة عظيمة ولامعة، ففي عام 1979 سجّل العلماء الشعاع الأكثر لمعانا في السماء، وقد كان ناتجا عن نجم نيوتروني ثاقب، فقد بتّ هذا النجم كميّة هائلة من أشعة جاما (Gamma rays) وهي أقوى أنواع الأشعة الثاقبة، لقد بتّ خلال 0.2 ثانية كمية من الإشعاعات تعادل ما تبتّه الشمس في ألف سنة! ويقول العلماء الذين رأوا هذا الإشعاع إنهم لم يشاهدوا شعاعا بهذه القوة واللمعان من قبل»¹، يصف العلماء أشعة غاما التي ينتجها هذا النوع من النجوم بأنّها « شكل إشعاعي أكثر فعالية من الأشعة السينية...وأحد النجوم النيوترونية أنتج أشعة أكثر إشراقا من أيّ شيء تمّ اكتشافه خارج النظام الشمسي، كانت شديدة السطوع لدرجة أنها أعمت جميع الأقمار الصناعية، وأضاءت الغلاف الجوي العلوي للأرض»²

كما وجد العلماء أنّ هذا النجم - أي النجم النيوتروني - « من أثقل أجزاء الذرة وهو حيادي أي لا شحنة له، فهو ليس موجبا وليس سالبا، ولذلك فهو يخترق الذرة وينفذ منها بسهولة وبالتالي يستخدمه العلماء لتحطيم نواة الذرة بسبب ثقله وحياديته.

(1) الكحيل، المطارق الكونية آية من آيات الله، مرجع سابق، ص35. وانظر أيضا المواقع الالكترونية التي ذكرناها في الإحالة السابقة.

(2) انظر:

Kim McDonald, X-Ray Oscillations From Biggest Star Quake In Universe Provide Clues To Mysterious Interior of Neutron Stars.
<https://phys.org/news/2005-07-x-ray-oscillations-biggest-star-quake.html>

= تاريخ التصفح: 2018/08/10

ولذلك فإنَّ أفضل وصف للنيوترون هو أنَّه يثقب الأشياء ويخترقها بسهولة دون أن يعيقه شيء»¹

هذا التحليل العلمي يوكِّد دلالة هذه المفردة في هذا الموضع القرآني، ألا وهي نفاذ الشيء واختراقه للأجسام الأخرى، سواءً أكانت ضوءاً أم أشعة. والعامل الذي أحدث التعالق هو الدلالة المعجمية من جهة والدلالة الصرفية من جهة ثانية وهي الفاعلية فهذا النجم هو الذي يُصدر الضوء والأشعة والطَّرَقَات التي تحدثنا عنها.

5- الكُنْس

لم ترد هذه المفردة في النص القرآني إلا مرة واحدة فقط، في موضع واحد وهو قوله تعالى ﴿أَجْوَارِ الْكُنْسِ﴾². وقد تعرَّفنا في بداية هذا الفصل على أجواء هذه السورة*. لقد وصفت هذه الآية النجوم بالخنس والجوار والكنس. تُرى ما المقصود بالكنس هنا وبِمَ فسره العلماء المفسرون وعلماء الفلك؟

التحليل المعجمي لمفردة الكنس:

هذه المادة اللغوية - كما يرى "ابن فارس" - أصلان؛ «أحدهما يدلّ على سفَر شيءٍ عن وجهٍ شيء، وهو كَشْفُهُ. والأصل الآخر يدلّ على استخفاء»³. فمن الأول «كَسَحُ الثَّمَامِ عن وجه الأرض. والكناسة: مُلقاها»⁴ والمكنسة «ما كُنِسَ به»⁵,

(1) المرجع نفسه، ص 37.

(2) سورة التكوير، الآية 16.

(*) عد إلى صفحة 244 من هذا البحث.

(3) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج 5، ص 636. (مادة كنس)

(4) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج 4، ص 50. (مادة كنس)

(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج 6، ص 717. (مادة كنس)

كما يورد "ابن سيده" قول "اللحياني" «كُنَاسَةُ الْبَيْتِ: مَا كُسِحَ مِنْهُ مِنَ التَّرَابِ فَأُقِيَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ»¹، وتقول العرب «فَرَسٌ مَكْنُوسَةٌ: أَي مَلْسَاءٌ جَرْدَاءٌ مِنَ الشَّعْرِ»². ومن الأصل الثاني يرد في كلام العرب «الْكِنَاسُ: وَهُوَ مَوْلِجٌ لِلْوَحْشِ مِنَ الْبَقْرِ يَسْتَكِنُّ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالصَّرِّ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِذَا أَمْسَى، فَإِذَا صَارَ مَأْلَفًا فَهُوَ تَوَلَّجُهُ، وَكَنَسَتْ، وَتَكَنَسَتْ: دَخَلَتْهُ، وَقَوْلُهُ:

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا فَتَكَنَسُوا قُطْنَا تَصِرُّ خِيَامَهَا³

أي دخلوا في هودج جُلَّتْ بَثْيَابُ الْقَطَنِ»⁴، وَلَا تُقْصِرُ الْعَرَبُ ذَلِكَ عَلَى الْبَقْرِ، بَلْ تَقُولُ أَيْضًا «كَنْسُ الطَّبِيِّ فَهُوَ كَانِسٌ يَدْخُلُ فِي كِنَاسِهِ، وَهُوَ مَوْضِعُهُ فِي الشَّجَرِ يَكْتَنُّ فِيهِ وَيَسْتَتِرُ»⁵. ومنه «تَكَنَسَ: دَخَلَ الْخِيْمَةَ، وَالْمَرَأَةُ: دَخَلَتْ الْهُودَجَ»⁶. ومن مُنْطَلَقِ دَلَالَةِ الْإِخْتِفَاءِ وَالتَّسْتُرِ قِيلَ «الْكَنْسُ: الْكَوَاكِبُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لِأَنَّهَا تَكْنَسُ فِي الْمَغِيبِ، أَي تَسْتَتِرُ»⁷، وَتُوسَّعُ فِي ذَلِكَ فَقِيلَ «هِيَ كُلُّ النُّجُومِ، لِأَنَّهَا تَبْدُو لَيْلًا وَتَخْفَى نَهَارًا، أَوْ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ بَقَرُ الْوَحْشِ وَظَبَاؤُهُ»⁸

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج4، ص51. (مادة كنس)

(3) البيت للبيد بن ربيعة. انظر: لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت-لبنان، (دت)، (دط)، ص166.

(4) الفراهيدي، كتاب العين، مصدر سابق، ج4، ص50-51. (مادة كنس)

(5) انظر: الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج3، ص971. (مادة كنس). وابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، ج5، ص636. (مادة كنس). والفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص571. (مادة كنس)

(6) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص571. (مادة كنس)

(7) الجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج3، ص972. (مادة كنس)

(8) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص571. (مادة كنس)

والذي نراه أنّ الأصلين يؤولان إلى دلالة واحدة في حقيقة الأمر، ألا تلاحظ أنّ كَنَسَ الشيء أي سفره عن وجه الأرض هو إخفاؤه عن سَطْحِه. ومن لطائف اجتماع الكاف والنون دلالاته على الاستتار، فانظر معنا: **كند**: « كفر النعمة»¹ وكُفِرَها إخفاؤها وجُحُودها، وكنز المال « أحرزه في وعاء أو دفنه»² ، وكذلك **كنف** و**اكتنف** « صار حواليه...وناقة كنوف: وهي التي إذا أصابها البردُ اكتتفت في أكناف الإبل تستتر بها من البرد»³، و**كنن** « الكِنُّ: وقاء كلّ شيء وسنّره»⁴، و**كنى** « وتكنّى: تستر من كنى عنه إذا ورى»⁵. وهذا عين ما رآه "محمد حسن جبل" إذ يجعل المعنى المحوري لكنس هو « تتحي ما كان ظاهرا إلى جوف كِنّ يستره؛ كما تستكنّ الطباء في الكُنُس، فهي تنتشر على وجه الأرض ثمّ تأوي ناحية إلى مكانسها، ومنه كنست النجوم: غابت في مغاريها بعد انتشار على وجه السماء، ومن ذلك الأصل: كُنُسَ الموضوع: كَسَحَ القُمامة عن وجهه. فالكُنُس تحية ما انتشر على وجه المكان وإبعاده وتغييبه»⁶. وعلى هذه الدلالة ارتكز تفسير العلماء المفسرين لمفردة كنس، فتأمل معنا.

التحليل الدلالي لمفردة (الكنس) عند المفسرين

سبق أن أشرنا إلى هذه المفردة ودلالاتها وموضعها أيضا في المبحث الثاني من هذا الفصل، ومما ذكرناه أنّها وردت صفة ثانية للنجوم الخُنُس ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ﴾

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص3936. (مادة كند)

(2) المصدر نفسه، ج5، ص3937. (مادة كنز)

(3) المصدر نفسه، ج5، ص3941. (مادة كنف)

(4) المصدر نفسه، ج5، ص3943. (مادة كنف)

(5) المصدر نفسه، ج5، ص3944. (مادة كنى)

(6) المعجم الاشتقاقي المؤصل، مرجع سابق، ص1931. (مادة كنس)

أَلْجَوَارِ الْكُنَّسِ¹. إذا حديثنا عن تفسير العلماء لمفردة (الكنس) لا ينفصل البتة عما أوردناه سابقا في دلالة (الخنس)، فبهما معا وبالإضافة إلى (الجوار) يُرسم المشهد وتتحدّد الدلالة الكلية للآية. فإذا كانت هذه النجوم خنس أي تتراجع وتستتر، وهي جوارٍ أي سريعة الحركة وغير ثابتة، فبمفسّر المفسّرون (كنس) إذا كانت هي الأخرى تحمل معنى الاستتار كما رأينا في التحليل المعجمي؟

لقد أجمع أغلب هؤلاء أنّ (كنس) في هذا الموضع تدلّ على الاستتار تأكيدا للخنس، وإن اختلفوا كما رأينا سابقا في ماهية الشيء المستتر².

وإذا كان "الرازي" يرجّح كون الكُنس الكواكب الخمس السيّارة لـ«اختفائها تحت ضوء الشمس»³، ف«علي - عليه السلام وعطاء - ومقاتل وقتادة [يرون] أنها هي جميع الكواكب... وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها»⁴. لسنا الآن في معرض الحديث عن المقصود بالخنس والكنس؛ فهي كواكب محدّدة أم كل الكواكب والنجوم أم البقر الوحشي أم الطباء، لأننا ذكرنا ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل، لكننا نقدّم تفسير العلماء لدلالة (كنس) فيما رجّحناه.

لقد انطلق المفسّرون المُحدّثون من هذه الدلالات لكنّهم رأوا أنّ توظيفها مجازي، فها هو "ابن عاشور" يميل إلى أنّ صفة الخنس والجواري والكنس أريد بها المجاز «لأنّ الجمهور على أنّ المراد بموصوفاتها الكواكب، وُصِفن بذلك لأنّها تكون في النهار مخنّفة عن الأنظار فشُبّهت بالوحشية المخنّفة في شجر ونحوه، فقيل:

(1) سورة التكوير، الآية 15-16.

(2) انظر الصفحة 276 من هذا الفصل.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج 31، ص 72.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الخُنس وهو من بديع التشبيه، لأنّ الخنوس اختفاء الوحش عن أنظار الصيادين ونحوهم دون سكون في كناس. وكذلك الكواكب لأنها لا تُرى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها وهي مع ذلك موجودة في مطالعها. وشبه ما يبدو للأنظار من تتقلها في سمّت الناظرين للأفق باعتبار اختلاف ما يُسامتها من جزء الكرة الأرضية بخروج الوحش، فشُبّهت حالة بُدُوها بعد احتجابها مع كونها كالمتحركة بحالة الوحش تجري بعد خنوسها تشبيه التمثيل. وهو يقتضي أنّها صارت مرئية فلذلك عقب بعد ذلك بوصفها بالكنس، أي عند غروبها تشبيهها لغروبها بدخول الظبي أو البقرة الوحشية كناسها بعد الانتشار والجري»¹

وعلى علاقة المُشابهة بنى "سيد قطب تفسيره" لهذه المفردات والآيتين كلّهما في تصوير أدبي فني، إذ رأى أنّ «الخُنس الجوار الكنس هي الكواكب التي تخنس أي ترجع في دورتها الفلكية وتجري وتختفي، والتعبير يخلع عليها حياةً رشيقةً كحياة الظباء، وهي تجري وتختبئ في كناسها وترجع من ناحية أخرى، فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيقة الأنيق عن هذه الكواكب، وهناك إحياء شعوري بالجمال في حركتها، في اختفائها وفي ظهورها، في تواريها وفي سفورها، في جريها وفي عودتها، يقابله إحياء بالجمال في شكل اللفظ وجرسه»²

إذاً هذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين واللغويين في دلالة (كنس النجوم) لكن ما ذهب إليه المتخصصون في الفلك أعظم من هذا، وهو تتمّة لما قلناه في المبحث الثاني.

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص152-153.

(2) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج30، ص3841.

التحليل العلمي لمفردة (الْحُنْس)

إنّ التفسير الذي توصل إليه العلماء والمفسرون القدامى كان وليد الحركة العلمية والفكرية السائدة في عصرهم، وهذا شيء منطقي لا مشاحة فيه، لكنّ التطور العلمي والتكنولوجي الذي رافق علم الفلك كشف معطيات جديدة تعيد توجيه دلالة المفردة وتفسير الآية كلّها.

يرى "زغلول النجار" أنّ هذه الصفة تنطبق تماما على الثقوب السوداء التي تطرّقنا إليها في المباحث السابقة، انطلاقا من دلالة هذه المفردة على سفر شيء عن وجه شيء، ومن ثمّ إخفاؤه، يقول: «أرى الوصف في هاتين الآيتين ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنْسِ﴾ ﴿أَجْوَارِ الْكُنْسِ﴾ ينطبق انطباقا كاملا مع حقيقة كونية مبهرة تمثل مرحلة خطيرة

من مراحل النجوم، يسميها علماء الفلك اليوم باسم الثقوب السوداء (Black Holes)»¹. ولا نقصد اختفاء واستتار الثقوب السوداء فذاك ما دلّت عليه مفردة (حُنْس) ولكن من طبيعة هذه الثقوب المتحركة السريعة أن تبتلع كل ما هو في طريقها أو اقترب من نطاق جاذبيتها، ف«عندما رصد العلماء هذه المخلوقات بواسطة كاميراتهم الموجودة في المراصد المُنبّئة على مداراتٍ حول الأرض وفي الفضاء مثل مرصد "هابل" الذي يلتقط صورا دقيقة جدًا للمجرات والأجسام البعيدة وجدوا أنّ هنالك سحابة من الغبار الكوني تدور حول نفسها بحركة عنيفة جدًا، وبعد إجراء الحسابات وجدوا أنّ سبب دوران هذا الدخان والغبار الكوني هو وجود ثقب أسود يبتلع هذه الغيمة من الدخان، وعندما يبتلعها تماما يتشكّل إعصار ودوامة ويدور هذا الغاز والغبار الكوني بسرعة

(1) النجار، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 215.

هائلة حول هذا الثقب وفي النتيجة يمتصّ هذا الثقب كاملَ هذا الغبار الكوني، ولذلك قالوا أنّ هذه الأجسام تعمل مثل المكنسة الكهربائية»¹.

يقول علماء الفلك الغربيون: « بموت النجوم تتولّد الثقوب السوداء... هذه الثقوب التي تنشئ قوة جاذبية هائلة تعمل مثل مكنسة كونية غير مرئية، حين تتحرك تبتلع كل ما تصادفه في طريقها حتى الضوء لا يستطيع الانفلات منها»². ألا ترى أنّ هذا المقتطف يشير إلى دلالة المفردات الثلاث، فهذه الثقوب غير مرئية، متحركة بسرعة خارقة، تكنس كل ما تجده في طريقها بسبب جاذبيتها حتى أسماها بعض العلماء (المصيدة الفضائية)³، أليست هذه هي دلالات (الخنس) و(الجوار) و(الكنس).

المُدْهَش في الأمر أنّ ما فصلّ فيه العلماء فيما يخصّ أهمّ صفات هذه الثقوب؛ اختزلته هذه المفردات، التي رأى المختصون أنّها « وَصَفٌ يَفُوقُ التَّسْمِيَةَ الْعِلْمِيَةَ لَهَا بِاسْمِ (الثَّقُوبِ السُّودِ) دَقَّةً وَشُمُولًا وَإِحَاطَةً»⁴. بل راح بعضهم ينقد هذه المصطلحات العلمية الحديثة، ووصفها بـ«الخاطئة تماما»⁵، كما فعل "عبد الدائم الكحيل" فانظر ماذا يقول « اسم الثقوب السود لا تعبّر عن حقيقة هذه النجوم، فكلمة (ثُقب) تعني (خرق) وهذا يعني فراغا في السماء، وهذا خطأ لأنّ هذه النجوم ثقيلة جدًا تزن

(1) الكحيل، المطارق الكونية آية من آيات الله، مرجع سابق، ص 31.

(2) ABC NEWS, Black Holes: The Deadliest Force in the Universe.

<https://abcnews.go.com/2020/Science/story?id=2365372&page=1>

وهو مقال بعنوان (الثقوب السوداء، القوة الأكثر إماتة في الكون) تاريخ النشر: 2006/08/28. تاريخ الزيارة: 2018/06/05. وهذا نص مما ورد في هذا المقال:

«And in death, stars occasionally give birth to **black holes**; when a massive celestial body's core collapses, it creates an immense gravitational pull not unlike **an invisible cosmic vacuum cleaner**. As it **moves**, it sucks in all matter in its way -- not even light can escape »

(3) انظر: وصفي، الكون والثقوب السوداء، مرجع سابق، ص 219.

(4) النجار، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 231.

(5) الكحيل، المطارق الكونية آية من آيات الله، مرجع سابق، ص 32.

ملايين المرات وزن الشمس فكيف نسميها ثقوباً. وكلمة سود دلالة على لون، والواقع أنّ هذه النجوم لا تُرى أي لا أحد يعرف لونها وحقيقة ما تبدو عليه»¹

ألا ترى إذا دقة المفردة القرآنية ومدى إحاطتها بمدلولها بل أكثر من ذلك مدى تعالقها بالمفاهيم العلمية التي يتوصّل إليه العلماء المعاصرون. وفي ظل هذه الظاهرة، يجوز لنا أن ندعو إلى ضرورة استثمار اللغة القرآنية والمفردة بشكل خاص في فك المعضلة الاصطلاحية العلمية التي تعصف بنا.

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الخاتمة

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة الموسومة بـ"التعالق بين لغة القرآن والمفهوم الاصطلاحي العلمي في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة دراسة دلالية" أن تقرّ المفردة القرآنية قراءة علمية تستجلي فيها المفاهيم العلمية وتُظهر التماسك الشديد بينهما، فلا هي تطلب غير ذلك المفهوم، ولا المفهوم يطلب غيرها في سياق الإشارة العلمية في النص القرآني. وقد أسفر هذا البحث عن النتائج التالية:

- المفردة هي اللبنة الأساسية في نسيج النص القرآني وإذا كان هذا الأخير بنيةً منضبطةً معادلةً للكون، فهذه المفردة لا تقلّ انضباطاً، إذ تتأسّس على مبدأ الإحكام المطلق، وتحمل في طبيّاتها عائداً معرفياً، بل تعطينا باستمرار معرفة متجدّدة، وفهمها أولى وأسبق من فهم التراكيب، يقول "أبو حيّان الأندلسي": «من أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التّركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللّغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركّب من تلك الألفاظ إلى مُفهم وإلى مُعلّم، وإنما تفاوتت النَّاس في إدراك هذا الذي ذكرناه فلذلك اختلفت أفهامهم، وتباينت أقوالهم».

- وإذا كانت هذه المفردة كيّانا خاصّاً دقيقاً إلى أبعد الحدود، تتبّع البلاغيون عبر قرون فآلّفوه متفرّداً بجماله، مُعجّزا ببيانه، فهي تتكشّف الآن عن سمة أخرى هي انفتاحها على زمن غير زمانها الذي أنزلت فيه وتمدّدها الدلالي، فما تقدّمه من دلالة للقارئ في غير هذا العصر تتجاوزه لدلالات أخرى جديدة لم نتوقعها، منها الدلالات العلمية، حتى صارت متعاقبة بالمفاهيم العلمية، ممّا ولّد ظاهرة التعالق.

- **التعالق (Corrélation)** أو تعالق المفردة القرآنية بالمفهوم الاصطلاحي العلمي هو الارتباط الوثيق جدّاً الذي نجده بين دلالة المفردة القرآنية والمفهوم الاصطلاحي العلمي في الموضوع المُشار إليه والذي كشف عنه العلم، فكان امتداداً لدلالاتها

وملمحا لانفتاحها باعتبارها مفتاحا لنص كوني. هو تلازم وتماسك شديد بينهما حتى يستحيل أن تُستبدل المفردة بغيرها، ولا يمكن للمفهوم العلمي وسياق الإشارة العلمية الذي وردت فيه المفردة أن يَطْلَبَ غيرها. ولأنّ الارتباط والتلازم من الطرفين؛ المفردة والمفهوم، كان بناء هذا المصطلح - أي التعالق - بالصيغة الصرفية (تفاعل) لأنها تدل على المشاركة إذ كلّ طرفٍ منهما يستدعي الآخر وينشَبُ فيه.

• هناك عوامل بنوية ودلالية تُسهم في إحداث هذه الظاهرة وتجسيد المفهوم العلمي كطبيعة أصوات المفردة وقيمتها التعبيرية، فانظر لما كانت مفردة (يصعد) تدلّ على الضيق والمشقة والإجهاد بسبب الارتفاع في الجوّ عبّرت عن ذلك أصواتها الشديدة والمفخّمة وما فيها من استعلاء. ولما كان المعنى يدلّ على الحوين المنوي الذي يقوم بإخصاب البويضة وهو كائن دقيق مهين لا يُشعر به أختير له صوت السين بصفة الهمس والرخاوة والاستفالة يدل على الانسيابية والرفق والليونة، فمعروف أنّ صوته يوحي بإحساس بين النعومة والملاسة، وإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وإحساس سمعي هو أقرب للصفير، وليس في صوته ما يوحي بأيّ إحساس ذوقي أو شمي أو مشاعر كسأل وسار وسرى وساح... واللام صوت متوسط مائع من صفاته الاستفالة والذلفية، خفيف على اللسان، وهو صوت «يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق».

• كما تُسهم البنية الصرفية في تجسيد التعالق فالوزن الصرفي للمفردة لكلمة (يصعد) وهو (يتفعل) الدالة على «التكلف» ساهمت بما فيها من إدغام بشكل كبير للدلالة على صعوبة التنفس والضيق والإجهاد، ولما كانت السلسلة تدل على الحوين المنوي والبيوضة كانت على وزن (فُعالة) الدال على القلّة، كقلامة وقمامة ونُحاتة، وعندما كانت الأمشاج هي خليط من ماء الرجل والمرأة والحوامل الوراثية لكل منهما مع قلّة هذا الماء كانت المفردة على وزن (أفعال) الدال على الجمع والقلّة.

• وكذلك الدلالة المعجمية إذ تتأسس على المعنى النووي الذي يلزم الوحدة اللغوية ويلاحقها في كلّ الصيغ، ويشكّل أرضية للمفهوم العلمي كما رأينا في كلّ المفردات

- أثناء هذه الدراسة. والمفردة القرآنية قد تكون ذات أصل واحد بتعبير "ابن فارس" يدلّ على معنى نووي واحد فتجد انسجاما ووثاقا غليظا بين بنيتها ودلالاتها من جهة ومفهومها العلمي من جهة أخرى، وقد تجدها ذات أصول متعدّدة فتجد النصّ القرآني ينتقي منها ما يتماشى وسياق الإشارة العلمية، مع أنّ هذه الأصول وإن تعدّدت يربطها خيط دلالي رفيع هو المعنى النووي نفسه، فتغدو بذلك مصطلحا قرآنيا. مثلما عبّر القرآن عن عملية اختراق الجنين لغشاء الرحم والانغراز فيه بـ(الحرث) وفضّل ذلك على الزرع لأنّ هذه الأخيرة دلالتها أعمّ وتدلّ على النبت والأشجار فقط في القرآن. والغرس - كما رأينا - كان لِمَا هو أكبر كالأشجار والفسيلة
- واختار الخطاب القرآني الوند بدل الجذر في وصف الجبال لما تتميز به المفردة الأولى من دقّة دلالية. لأنّ الأولى إشارة لبنية الجبال وشكلها المورفولوجي الداخلي أي ما هو تحت القشرة الأرضية والخارجي ما فوقها، والأبلغ من ذلك أنّ الوند يكون جزؤه الغائر في الأرض أكبر من أعلاه ليكون متينا ثابتا ومثبّتا، وهكذا هي الجبال. بينما كلمة(الجذر) لا تؤدي ذلك لأنّ دلالتها تقتصر على الأصل من كل شيء فقط، وبهذا فهي لا تدلّ إلا على الجزء الغائر من الجبل. إذا هذا يدعونا إلى اقتراح كلمة(الأوتاد) بدلا من (الجذور Roots) في علوم الجيولوجيا، فالأولى أدقّ وأشمل.
 - عندما نتحدّث عن إسهام الدلالة النحوية في الجانب الإفرادي فنحن نتحدّث عن دلالة حروف المعاني كحروف العطف والجرّ، ولعلّك لاحظت الدقّة والصرامة في توظيفها أثناء وصف الخطاب القرآني لمراحل خلق الإنسان.
 - تتضافر هذه الدلالات وتُسهم كلّ واحدة منها في تكوين المعنى العام للمفردة ومن ثمّ تعالقتها مع المفهوم العلمي الذي تدلّ عليه ضمن الرؤية القرآنية وسياق الإشارة العلمية.
 - أثبتت هذه الظاهرة وجودها في المفردة القرآنية وعلى مستويين:

✓ كلمات قد نراها عامة يتهياً لبعض منا أنها ذات دلالة عامة بينما يثبت العلم أن توظيفها كان دقيقاً جداً كمفردة (أنزل) و (البأس) لكن لا يمكن اعتبارها مصطلحاً علمياً يمكن توظيفه دلالةً على مُسمّى في علم من العلوم.

✓ وكلمات نقترحها مصطلحات في علومها ومجالاتها كالمضغة والعلاقة والنطفة والطارق والحُبك والوتد والصدع... الخ، تلك التي تُعدُّ مصطلحات دقيقة يمكن إطلاقها على مفاهيمها في العلوم المرتبطة بها، فلماذا نلجأ إذاً لترجمة مصطلحات تحمل المفهوم نفسه ونتخلى عن مصطلحات الذات. وهي مصطلحات لا تتوفر على شروط المصطلح فحسب بل تتعدّاهما إلى التعالق بين بنيته الصوتية والصرفية ودلالته بمفهومه العلمي وتجاوزت المصطلح البشري في جاهزية اصطلاحيته وشروط وضعه.

● تواتر أغلب المفردات المدروسة ونقصد تلك التي اقترحناها لتكون مصطلحات كان تواتراً قليلاً، وهذا دليل على أنّ توظيفها كان توظيفاً خاصاً اصطلاحياً في سياق علمي.

● ما رآه كثير من العلماء عدولاً أو تضميناً في دلالة (أنزل) ضمن سياق خلق الحديد لم يكن كذلك بل هو إنزال حقيقي أثبتته العلم.

● تباين مفهوم الأمشاج لدى كثير من المفسرين إذ رأى بعضهم أنّه اختلاط ماء الرجل بماء المرأة والدم والعلاقة، أو مني ودم أو أخلاط الكيموسات الأربع وهي المرار الأحمر والأسود والدم والمنى، بينما يُوجّه العلم ذلك بكونه اختلاط ماء الرجل بماء المرأة واتّحاد الحوين المنوي بالبويضة ومن ثمّ اختلاط الحوامل الوراثية للأب بمثيلاتها للأم.

● فسّر كثير من العلماء (كُنْس) في سورة التكوير بكونها البقر الوحشي، لكننا نميل إلى كونها ما يسميه العلماء الفلكيون الآن (الثقوب السوداء) والوصف القرآني كان أدق بكثير (الخنس - الجوار - الكُنْس) لأنّه أبرز أهمّ صفات هذه المخلوقات؛

الاختفاء والحركة السريعة جدا والخارقة، وكونها تلتهم كل ما تجده في طريقها حتى الضوء.

● اللغة العربية لغة علمية لا مُمَاحَكَة في ذلك وما تُعَاب عليه من ركود أو تخَلْف لا يكمن فيها بل في أهلها الذين تخَلَّفوا عن الركب الحضاري.

● تميّز "الفخر الرازي" بشكل كبير جدا في تفسيره الذي كانت ملامحه علمية، فهو بهذا أقرب إلى التفسير العلمي من غيره، على الأقل بالمقارنة مع تفاسير القُدَامِي التي اعتمدها في هذه الدراسة.

● إنّ ما قدّمه المفسّرون القدامى للمفردة القرآنية ولتفسير القرآن كلّهُ كان متميّزا جدا يعكس نبوغهم إلا أنّه كان نابعا من معطيات عصرهم وما بلّغته العلوم آنذاك، ومن خلال ما قدّمناه من مفاهيم علمية نقترح أن يُعاد النظر في تفسير المفردات القرآنية التي وردت في سياق الإشارة العلمية، فما فسّر على أنّه عدول كـ(دافق) التي فسّرت بمعنى «مدفوق مصبوب في الرحم وهو المنى، فاعل بمعنى مفعول كقولهم سرّ كاتم و ليل نائم» أو أنّه بمعنى (ذو اندفاق) أو أنّه اسم فاعل بمعنى مفعول أو أنّه وُظّف مجازا، كلّ ذلك نراه ليا لعنق المفردة وسياقها فمعناها حقيقي علمي لطبيعة الحوين المنوي ووسطه وعملية تدفقه الذاتية.

● نذهب بعد هذه الدراسة وباطمئنان إلى ضرورة المضي بعيدا في التفسير العلمي للقرآن ارتكازا على الحقائق العلمية الثابتة القطعية التي تجاوزت مرحلة الفرضيات والنظريات العلمية، وعلى أيدي علماء التفسير والمتخصصين في العلوم المادية والتجريبية.

● وإذا كان من أبرز شروط المصطلح التي أجمع عليها العلماء واللسانيون هو أن يكون واضحا دقيقا موجزا سهل النطق، ويجب أن تكون هناك مناسبة بين المدلول اللغوي للمصطلح ومفهومه العلمي، وأن يعبر المصطلح عن بعض صفات المفهوم وإن كانت واحدة على الأقل، فالمفردة القرآنية حققت كل ذلك بل تجاوزته إلى ترابط أدق كما رأينا سابقا.

التوصيات:

ومن ثم نرى أنه لا بدّ من:

- الرجوع إلى النص القرآني هذا البنك أو المكنز اللغوي لاستلهم كثير من المصطلحات المختلفة في إطار صناعة المصطلحات العلمية لكسر حدّة المأزق الاصطلاحي الذي نعيشه، ولكونها جاهزة الاصطلاحية كما يقول "الشاهد البوشيخي" وقد سار معهد المصطلحية في ذلك شوطا كبيرا يُفتخر به. حتى اقترح باحثوه تأسيس (علم مصطلح القرآن)
- تأليف معجم الألفاظ القرآنية - وقد سبق وأن اقترح "حاج حمد" تأليف معجم ألفاظ/مفاهيم القرآن- لكن يُفسّر اللفظ من الزاوية العلمية. أو إعداد معجم اصطلاحي ومفاهيمي قرآني ولن يتأتى ذلك إلا بجهود مؤسساتية جماعية، يُسهم فيها اللسانيون والعلماء المتخصّصون.
- ومن ثمّ لا بدّ من فهم المصطلح القرآني وضبطه في ضوء لغة القرآن والمنظومة القرآنية وفي ضوء فهم علماء الأمة من المفسرين والمختصين في العلوم الكونية. وبالتالي لا بدّ من إعادة النظر في تفسير كثير من المفردات القرآنية التي وردت في سياق الإشارات العلمية، والتي نُظر إليها بعين العدول والمجاز والمشابهة. فإن كانت الحقائق العلمية اليقينية تؤكّدها فالحقيقة أقرب وأولى.
- في نهاية هذا البحث لن ننسف جهود العلماء القدامى ولا المحدثين في فهمهم للمفردة القرآنية من الزاوية الفنية والجمالية، بل سنزواج تلك القراءة بهذه، وهنا مكمن الإعجاز لأنّ هذه المفردة كالموشور الذي يمتلك أوجها متعددة يراها الأديب فيجدها تتربع على عرش الجمال والرقّة والفنية ويراهم العالم فيجد فيها قمة الدقة الاصطلاحية والتطابق التام بينها وبين المفاهيم الاصطلاحية الدقيقة، إلى درجة تفوق المصطلحات التي وضعها أهل ذاك الاختصاص. برتّبك كيف تجتمع الأدبية والعلمية الاصطلاحية

في آن واحد! هذا ترجمة لقوله تعالى ﴿قُلْ لِّبَنِ آجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ

هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ (الإسراء/88).

ختاماً نسال الله التوفيق والسداد وأن يغفر لنا ما وقع من زلل أو نسيان أو تقصير

فله وحده الكمال، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وسلام على المرسلين.

فهرس المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

(مرتبة ترتيبا ألفبائيا)

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا. مصادر البحث ومراجعته العربية والمترجمة

ف

آل ناصر الدين (أمين)

1. دقائق العربية، جامع أسرار اللغة وخصائصها، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، 1986، ط3.
إبراهيم (محمد رضا)
2. في الجيولوجيا (علم الأرض)، دار ابن سينا، العراق، (د ت)، (د ط).
ابن الأثير (ضياء الدين)
3. المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تقديم: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار النهضة، مصر - القاهرة، (د.ت)، (د.ط).
الأخفش (سعيد بن مسعدة)
4. معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1985، ط1
الاستراباذي (محمد الرضي)
5. شرح الرضي على الكافية، تص و تع: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، 1998، ط2.
6. شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفراف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1982، (د.ط)
الإسكافي (عبد الله محمد)
7. درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، 2001، ط1.
الإشبيلي (ابن عصفور)
8. المتع في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1987، ط1
أكزيل (أمير)

9. التعلق أكبر لغز في الفيزياء، تر: عنان علي الشهاوي، مر: مصطفى إبراهيم فهمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008. ط1.
أمين (بكري شيخ)
10. التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة- مصر، 1973، ط1.
الأنباري (محمد بن القاسم)
11. كتاب الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987، (د.ط.)
أنيس (إبراهيم)
12. دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984، ط5.
أولمان (ستيفن)
13. دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، (د.ت.)، (د.ط.).
ب
- البار (محمد علي)
14. خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، 1983، ط4.
الباقلاني (أبو بكر)
15. إعجاز القرآن، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2008، (د.ط.).
بالم (أف- آر)
16. علم الدلالة، تر: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية- بغداد، 1985، (د.ط.).
بحيري (صلاح الدين)
17. مبادئ الجغرافيا الطبيعية، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان ودار الفكر، دمشق- سوريا، 1996، (د.ط.).
البخاري (أبو عبد الله محمد)
18. الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، 1989، ط3.
19. صحيح البخاري، الجامع الصحيح، دار ابن الجوزي، القاهرة- مصر، 2011، ط1.
بدوي (أحمد أحمد)
20. من بلاغة القرآن، شركة نهضة مصر، 2005، (د.ط.).

بقاق (النذير)

21. اختر جنس مولودك من النطفة، دار الروائع للطباعة والنشر، سطيف- الجزائر، 2013، (د.ط).

بوجادي (خليفة)

22. في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ط1.

البوطي (محمد سعيد رمضان)

23. من روائع القرآن الكريم، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1996، (د.ط).

24. يغالطونك إذ يقولون، الصديق للعلوم، دمشق-سوريا، (د.ت)، (د.ط)

بوكاي (موريس)

25. التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، تر: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990، ط3.

ت

ابن تيمية (أحمد)

26. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح وتغ: علي بن حسن بن ناصر، عبد العزيز بن ابراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض-السعودية، 1999، ط2.

27. زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت)، (د.ط)،

28. الفتاوى الكبرى، تح: حسين مخلوفي، دار المعرفة، جدة 1414هـ، ط1.

توشيهيكو (إيزوتسو)

29. الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، تر: هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 2007، ط1.

ج

الجابري (محمد عابد)

30. مدخل إلى القرآن الكريم، في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ط1.

الجاحظ(أبو عثمان عمرو)

31. البیان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998،

ط1.

الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر)

32. أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدني، القاهرة،

1991، ط1.

33. دلائل الإعجاز، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ط5.

ابن جماعة(بدر الدين)

34. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تح: عبد الجواد خلف، دار

الوفاء، 1990، ط1.

الجميل(السيد)

35. الإعجاز الطبي في القرآن، دار الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، (د.ط)

ابن جني(أبو الفتح عثمان)

36. الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ت)، (د.ط).

جوهر (أحمد المرسي حسين)

37. الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية، مكتبة جزيرة

الورد، المنصورة-مصر، 2000، ط1.

ح

حاج حمد(محمد أبو القاسم)

38. إستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، دار الهادي، بيروت-

لبنان، 2004، ط1

39. جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية، دار الهادي، بيروت-

لبنان، 2004، ط1.

40. الحاكمية، مراجعة وتحقيق: محمد العاني، دار الساقى، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

41. منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي،

بيروت - لبنان، 2003، ط1.

أبو حجر (أحمد)،

42. التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار قتيبة للطباعة والنشر، 1991، ط1.

- حسام الدين (كريم)
43. أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1985، ط؟
 حسان (تمام)
44. اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، 2007، ط1.
45. البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، 1993، ط1.
46. اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، 2001، ط4.
47. اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1994، (د.ط).
48. مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1986، (د.ط).
 حسن (سليم)
49. موسوعة مصر القديمة، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية، وزارة الثقافة والإعلام، 2001، (د.ط).
 حيدر (فريد عوض)
50. علم الدلالة، دراسة نظرية و تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005، ط1.
 خ
 الخالدي (صلاح)
51. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق - سوريا، 2008، ط3.
 الخطابي (أبو سليمان حمد)
52. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ط3.
 الخطيب (محمود يحي)
53. إعجاز علم الحياة (البيولوجيا) في القرآن الكريم، 1422، ط1.
 ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
54. المقدمة، تح: علي عبد الوافي واحد، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1958، ط4.
 خليفات (سحبان)
55. منهج التحليل اللغوي المنطقي في الفكر الإسلامي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان - الأردن، 2004، (د.ط).
 خليل (حمي)

56. الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية للكتاب، فرع الاسكندرية، 1980، (د.ط).

الخولي (أمين)

57. التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم، مكتبة الأسرة، 2003، ط1.

د

ابن دقيق العيد (تقي الدين)

58. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تح: أحمد شاكر، عالم الكتب، 1407هـ، ط2.

دياب (عبد الحميد) وقرقوز (أحمد)

59. مع الطب في القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - سوريا، 1982. ط2

ر

أبو راضي (فتحي عبد العزيز)

60. مورفولوجية سطح الأرض، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ط1.

الرافعي (مصطفى صادق)

61. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1999، ط2.

الرومي (فهد)

62. دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، 2005،

ط14.

ز

ابن الزبير (أبو جعفر أحمد)

63. ملاك التأويل، القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظي من أي

التنزيل، تح: محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، (د.ت)، (د.ط).

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري)

64. معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت - لبنان،

1988، ط1.

الزرقاني (محمد عبد العظيم)

65. مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1995، ط1
الزركشي (بدر الدين محمد)
66. البحر المحيط، تح: لجنة من علماء الأزهر، دار الكتبي، القاهرة مصر، 2005، ط3.
67. البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1980، ط3.
الزمخشري (جار الله أبي القاسم)
68. أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1998، ط1.
الزنداني (عبد المجيد) ويلدروم (سعاد) وولد الشيخ (محمد الأمين)
69. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، (دت)، (دط).
زيتون (عايش محمود)
70. النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن 2007، ط1، ص481.
أبو زيد (نصر حامد)
71. مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1996، ط3.
الزين (سميح عاطف)
- * س *
- الساقي (فاضل مصطفى)
72. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1977، (د.ط.).
السامرائي (فاضل صالح)
73. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار الفجر، العراق - بغداد، 2008، ط1 .
74. التعبير القرآني، دار عمار، عمان - الأردن، 2006، ط4.
75. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار الفجر، بغداد - العراق، 2008، ط1.
السجلماسي (أبو محمد القاسم)
76. المنزع البدعي في تجنيس أساليب البدعي، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، 1401هـ، ط1.

السحبياني(عبد العزيز)

77. جوامع كلم القرآن وشواهد الإعجاز، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة الإمام

محمد بن سعود الملكية، الرياض- السعودية، 2008، (د.ط).

السد (نور الدين)

78. الأسلوبية وتحليل الخطاب؛ دراسة في النقد العربي الحديث، (الأسلوبية و

الأسلوب)، دار هومة، الجزائر، (د.ت)، (د.ط).

السعران (محمود)

79. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت،

(د.ت)، (د.ط).

سقا(مرهف عبد الجبار)

80. التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، تق: نور الدين

عتر، بديع السيد اللحام، حمزة حمزة، دار محمد الأمين للطباعة والنشر

والتوزيع، دمشق-سوريا، 2010، ط1.

السهيلي(أبو القاسم عبد الرحمن)

81. نتائج الأفكار، تح: محمد بن إبراهيم البناء، دار الرياض، (د.ت)، (د.ط)

سيبويه (أبو بشر عمرو)

82. الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ط3.

السيوطي(جلال الدين)

83. الإتيقان في علوم القرآن، بعناية: خالد العطار، دار الفكر، بيروت-

لبنان، 2008، (د.ط)،

84. قطف الأزهار في كشف الأسرار، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية، قطر، 1994، ط1.

85. همع الهوامع، تح: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، عالم

الكتب، 2001، (د.ط).

* ش *

شاهين (عبد الصبور)

86. عربية القرآن، مكتبة الشباب، مصر، (د.ت)، (د.ط).

شريف(عمرو)

87. كيف بدأ الخلق، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة- مصر، 2011، ط1.

شعبان (عبد الحميد مصطفى)

88. المناسبة في القرآن؛ دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق القرآني، المكتب

الجامعي الحديث، الإسكندرية 2007، ط1.

شكري (حنان)

89. قراءة نصية أسلوبية لآيات الكونية في القرآن الكريم، الأرض ومفرداتها نموذجاً،

مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، 2010، ط1.

* ض *

الضامن (حاتم صالح)

90. علم اللغة، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د.ت)، (د.ط).

ضيف (شوقي)

91. البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ط2.

92. معجزات القرآن، دار المعارف، القاهرة- مصر، 2004، ط2.

* ط *

الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)

93. كتاب الدعاء، تح وتخ: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار النشر الإسلامية،

بيروت- لبنان، 1987، ط1.

* ع *

عباس (حسن)

94. خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، 1998، (د.ط).

عباس (فضل حسن) و (سناء فضل)

95. إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، 2009، ط7.

عبد الرحمن (عائشة)

96. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1971،

(د.ط).

97. القرآن وقضايا الانسان، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ت)، (د.ط).

عبد الكريم (جمعان)

98. إشكالات النص دراسة لسانية نصية؛ المداخلة أنموذجاً النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت- لبنان، 2009، ط1.
عبد الهادي(عبد الرحمن)
99. سلطة النص قراءات في توظيف النص الديني، دار سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، 1998، ط1.
العبيدي(خالد فائق)
100. تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد، منشورات علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2005، ط1.
عزام(محمد)
101. النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق- سوريا، 2001، (د.ط)
العسكري(أبو هلال)
102. الفروق في اللغة، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان 1983، ط5.
عطية(محمد عطية)
103. الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2010، ط1.
العقاد (عباس محمود)
104. أشئات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ت)، ط6.
العلي(منير)
105. التفسير العلمي للقرآن الكريم وحوار العلم والإيمان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، 2013، ط1.
عمر (أحمد مختار)
106. علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة 1988، ط5.
عمر (أحمد مختار) ومصطفى النحاس زهران ومحمد حماسة عبد اللطيف
107. النحو الأساسي، ذات السلاسل الكويت 1994، ط4.
العمرى(محمد)

108. البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، (د.ط.).
العياشي (منذر)
109. الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، 2002، ط1.
عيد (محمد عبد الباسط)
110. النص و الخطاب؛ قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009، ط1.
* غ *
- الغذامي (عبد الله محمد)
111. الخطبة والتكفير من البنية إلى التشريحية، دار سعاد الصباح، الكويت،
1993، (د.ط.).
- * ف *
- ابن فارس (أبو الحسن أحمد)
112. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر
فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، 1993، ط1.
الفاخري(صالح سليم عبد القادر)
113. الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، (د.ت)، (د.ط.).
فتوح(لؤي) والدركزلي(شذى)
114. التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم تاريخ بني إسرائيل المبكر، دار الحكمة،
لندن- بريطانيا، 2002، ط1.
الفراء(أبو زكريا يحيى بن زياد)
115. معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1983، ط3.
فرج (حسام أحمد)
116. نظرية علم النص؛ رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب،
القاهرة، 2009، ط2.
الفهري(عبد القادر الفاسي)
117. اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، 1986، ط1.
قطب(سيد)
118. التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2002، ط16.

* ق *

القاسمي(علي)

119. علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، 2008، ط1.
- ابن قتيبة(أبو عبد الله محمد)
120. أدب الكاتب، شرح: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003، ط3.
- القرطاجني (أبو الحسن حازم)
121. منهاج البلغاء و سراج الأدياء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، 1964، (د.ط)، ص90.
- ابن القيم الجوزية (أبو عبد الله محمد)
122. بدائع الفوائد، جم وتخ: يُسري السيد محمد، مر وتق: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، الدمام-السعودية، 1427هـ، ط1.
123. بدائع الفوائد، ضبط: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1994، ط1.
124. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تص: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، 1327هـ، ط1.
- * ك *
- كابري(ماريا تيريزا)
125. المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، تر: محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، إريد-الأردن، 2012، ط1.
- الكحيل(عبد الدائم)
126. أسرار الكون بين العلم والقرآن، تمّ إصدار الطبعة بإشراف موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مدير التوزيع محمد لجين الزين، دمشق - سوريا، 2006، ط1
- الكلبي(أبو القاسم محمد)
127. التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995، ط1.
- الكواز (محمد كريم)

128. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية العالية،
بنغازي- ليبيا، 1426هـ، ط1.

* ل *

لاشين (عبدالفتاح)

129. صفاء الكلمة في التعبير القرآني، دار المريخ، الرياض، 1983، (د.ط.).

اللوحي (عبد السلام حمدان)

130. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع،
غزة- فلسطين، 2002، ط2.

* م *

ابن مالك (جمال الدين محمد)

131. شرح التسهيل، تح: عبد الرحمان السيد ومحمد بدوي مختون، هجر للطباعة
والنشر، مصر، 1990. ط1.

المبارك (محمد)

132. فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض
لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2005، (د.ط.).

المجدوب (عبد العزيز)

133. الإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980،
ط2.

محمود (مصطفى)

134. القرآن محاولة لفهم عصري للقرآن، دار المعارف، مصر، 1999، (د.ط.).

ابن المدبر (ابراهيم)

135. الرسالة العذراء، تق: زكي مبارك، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة-
مصر، 1931، ط2.

المصري (ابن أبي الأصبع)

136. بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة
والنشر، (د.ت.)، (د.ط.).

المصري (رفيق يونس)

137. الإعجاز الإقتصادي للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق - سوريا، 2005، ط1.
المصلح (عبد الله)
138. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تاريخه ووضاوبطه، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار جياا للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، 2011، ط3.
مصلوح (سعد)
139. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة - مصر، 1992، ط3.
140. في النص الأدبي، دراسة لغوية إحصائية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1996، ط1.
مطلوب (أحمد) والبصير (حسن)
141. البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، 1982، ط1.
موريه (ليون)
142. الوجيز في الجبولوجيا، تر: يوسف خوري وعبد الرحمن حميدة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق - سوريا، 1987، ط1.
أبو موسى (محمد حسنين)
143. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، (د.ط.)، (د.ت.).
الميساوي (ال خليفة)
144. المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ط1.
- * ن *
- النجار (زغلول راغب)
145. مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2009، ط1

146. من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت-
لبنان، 2005، ط1
147. من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت-
لبنان، 2007، ط4.
النجار (نادية رمضان)
148. اللغة العربية وأنظمتها بين القديما
والمحدثين، دارالوفاء، الإسكندرية، مصر، (د.ت)، (د.ط).
ابن النديم (أبو الفرج محمد إسحاق بن أبي يعقوب)
149. كتاب الفهرست، قابله على أصوله وعلق عليه وقدم: أيمن فؤاد سيّد،
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن-بريطانيا، 2009، (د.ط).
* ه *
- ابن هشام
150. السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ
شلبي، (د.ت)، (د.ط).
ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله)
151. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،
مطبعة السعادة، القاهرة-مصر، 1960، ط8.
152. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة
العصرية، بيروت-لبنان، 1995، (د.ط).
* و *
- الواحدي (أبو الحسن علي)
153. أسباب النزول، بعناية: وليد الزكري، المكتبة العصرية، بيروت-
لبنان، 2008، (د.ط).
* ي *
- ياسوف (أحمد)
154. جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق- سوريا، 1999، ط2.
يحي (هارون)

155. معجزة خلق الإنسان، تر: أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، (د.ط).
ابن يعيش (موفق الدين بن علي)
156. شرح المفصل، تص وتعل: جماعة من العلماء بعد مراجعة على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنبرية، (د.ت)، (د.ط)
157. المفصل في علم العربية، دار الحيل، بيروت، (د.ت)، ط2.
يقطين (سعيد)
158. انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، 2001، ط2.

ثانيا. المعاجم والقواميس والموسوعات

أ

- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد)
159. تهذيب اللغة، تل: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 2001، ط1.
الأصفهاني (الراغب)
160. مفردات ألفاظ القرآن، تل: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دار القلم، دمشق، 2002، ط3.
أنيس (إبراهيم) وآخرون
161. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، 2004، ط4.

ج

- جبل (محمد حسن)
162. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مكتبة الآداب، 2010، ط1.
الجرجاني (علي بن محمد الشريف)
163. كتاب التعريفات، تل: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1998، ط4
164. التعريفات، مكتبة لبنان - بيروت، 1985، (د.ط).
الجمال (حسن عز الدين)

165. مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003، (دط).

الجوهري (اسماعيل بن حماد)

166. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1979، ط2.

ز

الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)

167. تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزايوي، مر: مصطفى حجازي، مطبعة الحكومة، الكويت، 1990، (د.ط).

س

ابن سيده (أبو الحسن علي)

168. المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندواوي، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2000، ط1.

ص

الصوفي (ماهر أحمد)

169. الموسوعة الكونية الكبرى، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية وفي خلق الأرض وتأمين معاشها، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، 2007، ط1.

170. الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان، تق: محمد سعيد رمضان البوطي وآخرون، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2007، ط1.

ط

الطناحي (محمود محمد)

171. من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، معجم لغوي ثقافي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، 2008، ط1.

ع

عبد الباقي (محمد فؤاد)

172. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

الطار (محمد صدقي)

173. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، 2010، ط1.

ف

ابن فارس (أبو الحسين أحمد)

174. معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت-

لبنان، (د.ت)، (د.ط).

175. معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان،

1979، (د.ط).

الفراهي (عبد الحميد)

176. مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تح وشر: محمد أجمل أيوب

الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، 2002، ط1.

الفراهيدي (الخليل بن أحمد)

177. العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرئي، (د.ت)، (د.ط).

178. كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح وتر: عبد الحميد الهنداوي،

منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003، ط1

الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)

179. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي

النجار، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت)، (د.ط).

180. القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، (د.ت)، (د.ط).

ك

الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى)

181. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة

خطية وأعدّه للطبع: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت-

لبنان، 1998، ط2.

م

ابن منظور (محمد بن مكرم)

182. لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد

الشاذلي، دار المعارف، (د.ت) (د.ط).

و

وهبة (مجدي) وكامل المهندس

183. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان- بيروت،
1984، ط2.

ثالثا. كتب التفسير

ف

الألوسي (محمود)

184. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: إدارة الطباعة المنيرية، دار
إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د.ت)، ط2.

الأندلسي (أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي)

185. البحر المحيط في التفسير، بعناية: محمد صدقي جميل، دار الفكر، بيروت- لبنان،
2005، (د.ط).

ب

البغدادي (أبو الفرج جمال الدين)

186. زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 2002،
ط1.

البغوي (أبو محمد الحسين)

187. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة خميرية
وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض- السعودية، 1412هـ، (د.ط).

البقاعي (برهان الدين)

188. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، مطبعة
مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند، 1971، ط1.

البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير)

189. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، إع وتق: محمد
عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي،
بيروت- لبنان، (د.ت)، (د.ط)

ث

الثعلبي (أبو اسحاق)

190. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، تح: أبو محمد بن عاشور، مر: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2002، ط1.
- *ج*
- ابن الجوزي(أبو الفرج جمال الدين)
191. زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 2002، ط1.
- *ح*
- ابن أبي حاتم(الحافظ عبد الرحمن بن محمد)
192. تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة-الرياض، 1997، ط1.
- الحنبلي(أبو الفرج عبد الرحمن بن الفرج)
193. روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، جم وتع: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الرياض- السعودية، 2001، ط1.
- *د*
- دروزة(محمد عزّة)
194. التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2000، ط2.
- *ر*
- الرازي (محمد فخر الدين)
195. تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1981، ط1.
- رضا(محمد رشيد)
196. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المنار، 1367هـ، ط3.
- *ز*
- الزحيلي (وهبة)
197. التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق- سوريا، 1422هـ، ط1.
- الزمخشري (جار الله أبي القاسم)

198. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح:

عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض و فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ط1.

199. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل

مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2009، ط3

س

السمرقندي (أبو الليث نصر)

200. بحر العلوم، تح و تع: الشيخ علي محمد معوض و الشيخ عادل أحمد

عبد الموجود و زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1993، ط1.

ش

الشعراوي (محمد متولي)

201. المنتخب من تفسير القرآن الكريم، دار العودة، بيروت- لبنان، (د.ت)، (د.ط).

الشنقيطي (محمد الأمين)

202. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،

1425هـ، (د.ط).

الشوكاني (محمد بن علي)

203. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، اعتنى به و راجع

أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2007، ط4.

ص

الصابوني (محمد علي)

204. التيبان في علوم القرآن، مكتبة البشرية، كراتشي- باكستان، (د.ت)، ط11.

ط

الطبري (محمد بن جرير)

205. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف

و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1994، ط1.

ع

بن عاشور (محمد الطاهر)

206. تفسیر التحرير و التئوير، الدار التونسية للنشر، (د.ت)، (د.ط).

ق

قطب (سید)

207. فی ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - مصر، 2003، ط32.

القرطبي (أبو عبد الله محمد)

208. الجامع لأحكام القرآن و المبیّن لما تضمنه من السنة و آي القرآن، تح: عبد

الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، 2006، ط1.

القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان)

209. تفسیر القشيري المسمى لطائف الإشارات، تح: عبد الطيف حسن عبد الرحمن،

دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007، ط2.

ك

ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء)

210. تفسیر القرآن العظيم، متضمنا تحقيقات: محمد ناصر الدين الألباني،

مكتبة الصفا، القاهرة- مصر، 2004، ط1.

ل

لجنة من علماء الأزهر

211. التفسیر الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة المصحف الشريف، القاهرة-

مصر، 1992، ط3.

م

مغنية (محمد جواد)

212. التفسیر الكاشف، دار الأنوار، بيروت- لبنان، 2009، ط4.

رابعاً. الدواوين الشعرية

بن ربيعة (البید)

213. ديوان لبید بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت-

لبنان، (د.ت)، (د.ط).

الرومي (أبو الحسن علي)

214. ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون،

دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2002، ط3.

الطائي(حاتم)

215. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت-لبنان، 1981، (د.ط).

العجاج(عبد الله بن ربيعة)

216. ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريش الأصمعي وشرحه، تح: عبد الحفيظ السطلي،

مكتبة الدكتور مروان عطية، دمشق- سوريا، 1971، (د.ط)

القيس(امرؤ)

217. ديوان امرئ القيس، ضبط: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت-

لبنان، 2004، ط5.

ابن هرمة(ابراهيم)

218. شعر ابراهيم بن هرمة القرشي، تح: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات

مجمع اللغة العربية دمشق، (د.ت)، (د.ط).

خامسا. الرسائل الجامعية والأطاريح

العامودي(عبهرة سميح)

219. الأرض في ضوء القرآن "دراسة موضوعية"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية،

غزة- فلسطين، 2006.

سادسا. مداخلات علمية

جونسون(مارشال)، والزنداني(عبد المجيد)، ومصطفى(أحمد)

220. وصف التخلق البشري مرحلة النطفة، ورقة مقدّمة إلى المؤتمر العالمي الثاني

للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد- باكستان، 1408هـ/1987.

سابعا. المقالات والدوريات

البوشياخي(الشاهد)

221. أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، جريدة المحجة، المغرب، ع:226،

2010.

قاضي(عبد العزيز طارق)

222. ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا، مقال منشور بمجلة الإعجاز العلمي،

مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد:35،

نو الحجة، 1430هـ

الكحيل(عبد الدائم)

223. المطارق الكونية آية من آيات الله، مجلة الإعجاز، علمية دينية فصلية تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لبنان، ع9، 2009
ناصف(مصطفى)
224. اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير-كانون الثاني، 1995، رقم193.
وصفي(رؤوف)
225. الكون والثقوب السوداء، مر: زهير الكرمي، مجلة عالم المعرفة، مايو1979، العدد17.
ساجر(ج)
226. نظرية المفاهيم(في علم المصطلحات)، تر: جواد حسني سماعة، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع47، 1999.
وعزيز(الطاهر)
227. المفاهيم طبيعتها ووظيفتها، مجلة المناظرة، مجلة فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج الفلسفية، المعاهد-الرباط، ع1، السنة الأولى، شوال 1409هـ/يونيه1989م.
سابعا. المقالات الإلكترونية
البوشيخي(الشاهد)
228. نظرات في مفهوم الحوار في القرآن الكريم، مقال منشور على الرابط:
<https://vb.tafsir.net>. تاريخ التصفح: 2016/04/05
العبادي(منصور أبو شريعة)
229. ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين، بحث علمي منشور في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. تاريخ التصفح: 2017/05/01
عطية(زاهدة)
230. التفسير الغائب، مقال إلكتروني منشور في الموقع الإلكتروني:
<http://vb.tafsir.net>. تاريخ التصفح: 2014/12/04
فرج مدرس(صبيح رمضان)

239. **The Developing Human Clinically Oriented Emryology.**
Im: Saunders.2011.(ED:9)
 Inderbir Singh
Human Embryology, Jaypee Brothers Medical Publishers LTD.
 New Delhi.India.2014.(ED:10)
 Moore (Patrick)
240. **Philip's astronomy encyclopedia comprehensive and authritative A-Z guide to the universe,** foreword by Leif J.Robinson, Octopus publishing group, London,2002,(ED:1)
 Novikov(Igor)
241. **Black Holes and the universe** Cambridge university press
 .Cambridge. Great Britain,1995.(WD)
تاسعا.المقالات الإلكترونية الأجنبية
242. ABC NEWS, **Black Holes: The Deadliest Force in the Universe,**
<https://abcnews.go.com/2020/Science/story?id=2365372&page=1>
 تاريخ التصفح:2018/06/05
243. DuncanR.Lorimer,**Binary and millisecond pulsars,**www.ncbi.nih.gov
 تاريخ التصفح:2018/09/16
244. Environmental and Evolutionary Biology II, **The Life System.** <https://eesc.columbia.edu/courses/ees/life/lectures/>
 تاريخ التصفح:2017/05/04
245. Kim McDonald, **X-Ray Oscillations From Biggest Star Quake In Universe Provide Clues To Mysterious Interior of Neutron Stars.** <https://phys.org/news/2005-07-x-ray-oscillations-biggest-star-quake.html>
 تاريخ التصفح:2018/08/10
246. Ted Nield, **Mountain roots,** [https://www.geolsoc.org.uk / society](https://www.geolsoc.org.uk/society) the geological
 تاريخ التصفح:2018/06/25
247. **The sound of Pulsars,** <http://www.jb.man.ac.uk>
 تاريخ التصفح:2018/09/16
248. **The truth about Black Holes,** <http://amazingspace.org>

تاریخ التصفح: 2018/02/09

249. **What are Black Holes**, <https://www.nasa.gov>

تاریخ التصفح: 2018/08/13

فهرس الأشكال والصور والجداول

الصفحة	عنوان الشكل أو الصورة	رقم الشكل
114	يمثل الأسبوع الأول من الإخصاب والنطفة الأمشاج	الشكل 1
116	يمثل النطفة الأمشاج	الشكل 2
124	يمثل انغراس النطفة في جدار الرحم "مرحلة الحرث "	الشكل 3
134	يمثل بنية الحوين المنوي	الشكل 4
148	يمثل الحوين المنوي	الشكل 5
153	يمثل النطفة وقد أحاط بها الدم بعد ثمانية أيام	الشكل 6
154	يمثل تغيير شكل العلقة في اليوم	الشكل 7
167	يمثل المضغعة	الشكل 8
197	يبين خواص معدن الحديد	الشكل 9
198	يوضح معامل المرونة والقص للحديد مقارنة مع مواد ومعادن أخرى	الشكل 10
198	يبين تخصر الحديد أثناء الشد	الشكل 11
199	يوضح معاملات المرونة لدى الحديد والتيتانيوم والألمنيوم	الشكل 12
200	يبين خصائص الحديد ومقارنة إجهاد انفعال الحديد بمواد أخرى	الشكل 13
200	يوضح قوة الحديد النووية الرابطة	الشكل 14
242	يبين تغلغل جذور الجبال تحت القشرة الأضية وطول الجذور بالمقارنة بارتفاع الجبال	الشكل 15
264	يمثل النسيج الكوني(الحبك)	الشكل 16
264	يمثل النسيج الكوني(الحبك)	الشكل 17
273	رسم يمثل رسما لتقرب أسود يلتهم نجما كبيرا	الشكل 18
273	صورة لتقرب أسود متوسط يلتهم نجما	الشكل 19
288	صورة ملتقطة للشمس عبر المرصد Solar Dynamics Observatory's Atmospheric Imaging Assembly AIA الخاص بوكالة ناسا بتاريخ: 2010/02/11	الشكل 20
297	يمثل دورة حياة النجوم	الشكل 21
299	يمثل الطرقات الراديوية التي تتولد عن دوران النجم النيوتروني يتم التقاطها بالتلسكوب الراديوي	الشكل 22

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
الجدول 1	يوضح التحول السريع للجنين في طور المضغة	83
الجدول 2	يمثل العناصر الترابية في جسم الإنسان	134
جدول 3	يوضح التحول السريع للجنين في طور المضغة	153-152

الملخصات

الكلمات المفتاح

التعالق، المفردة، القرآن، المفهوم الاصطلاحي، الاكتشافات العلمية...

الملخص

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ "التعالق بين لغة القرآن والمفاهيم العلمية الاصطلاحية في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة دراسة دلالية" إلى تحليل ظاهرة لسانية اصطلاحية عليها (التعالق).

نقصد بالتعالق الارتباط الوثيق جدًا الذي نجده بين دلالة المفردة القرآنية والمفهوم الاصطلاحى العلمى فى الموضوع المشار إليه والذي كشف عنه العلم، فكان امتدادا لدلالاتها وملحها لانفتاحها باعتبارها مفتاحا لنص كوني. هو تلازم وتماسك شديد بينهما حتى يستحيل أن تُستبدل المفردة بغيرها، ولا يمكن للمفهوم العلمى وسياق الإشارة العلمية الذي وردت فيه المفردة أن يطلّب غيرها. ولأنّ الارتباط والتلازم من الطرفين؛ المفردة والمفهوم، كان بناء هذا المصطلح - أي التعالق - بالصيغة الصرفية (تفاعل) لأنها تدل على المشاركة.

هناك عوامل بنوية ودلالية تُسهم في إحداث هذه الظاهرة، منها:

- البنية الصوتية، فانظر لما كانت المفردة تدلّ على الضيق والمشقة والإجهاد بسبب الارتفاع في الجو عبّرت عن ذلك مفردة (يصعد) بما فيها من حروف شديدة وتفخيم واستعلاء، ولما كان المعنى يدلّ على الحوين المنوي الذي يقوم بإخصاب البيضة وهو كائن دقيق جدا يُستخلص من بين الملايين من النطاف، ذو شكل رقيق يتكوّن من رأس وجذع وذيل يسبح كالسمكة في المني بشكل انسيابي ودقيق لا يُشعر به أختير لها صوت السين بصفة الخمس والرخاوة والاستفالة يدل على الانسيابية والرفق والليونة، فمعروف أنّ صوته يوحى بإحساس بين النعومة والملاسة، وإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير، وليس في صوته ما يوحى بأيّ إحساس ذوقي أو شمّي أو مشاعر كسال وسار

وسرى وساح... واللام صوت متوسط مائع من صفاته الاستفالة والدلعية، خفيف على اللسان، وهو صوت « يوحى بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق»

- كما تُسهم البنية الصرفية في تجسيد التعالق فالوزن الصرفي المفردة (يصعد) وهو (يتفعل) الدالة على « التكلف» وجسد الإدغام بشكل كبير صعوبة التنفس والضيق والإجهاد، ولما كانت السُّلالة تدل على الحوين المنوي والبيضة كانت على وزن (فُعالة) الدال على القلة، كقلامة وقمامة ونُحاة، وعندما كانت الأمشاج هي خليط من ماء الرجل والمرأة والحوامل الوراثية لكل منهما مع قلة هذا الماء كانت المفردة على وزن (أفعال) الدال على الجمع والقلة .

- والدلالة المعجمية التي تتأسس على المعنى النووي الذي يلزم الوحدة اللغوية ويلاحقها في كل الصيغ، ويشكل أرضية للمفهوم العلمي كما رأينا في كل المفردات أثناء هذه الدراسة. والمفردة القرآنية قد تكون ذات أصل واحد فتجد انسجاما ووثاقا غليظا بين بنيتها ودلالاتها من جهة ومفهومها العلمي من جهة أخرى، وقد تجدها ذات أصول متعددة فتجد النص القرآني ينتقي منها ما يتماشى وسياق الإشارة العلمية، مع أنّ هذه الأصول وإن تعددت يربطها خيط دلالي رفيع هو المعنى النووي، فتغدو بذلك مصطلحا قرآنيا.

- عندما نتحدث عن إسهام الدلالة النحوية في الجانب الإفرادى فنحن نتحدث عن دلالة حروف المعاني كحروف العطف والجرّ، ولعلك لاحظت الدقة والصرامة في توظيفها أثناء وصف الخطاب القرآني لمراحل خلق الإنسان.

- تتضافر هذه الدلالات وتسهم كل واحدة منها في تكوين المعنى العام للمفردة ومن ثمّ تعالقتها مع المفهوم العلمي الذي تدلّ عليه ضمن الرؤية القرآنية.

- تتضافر هذه الدلالات وتسهم كل واحدة منها في تكوين المعنى العام للمفردة ومن ثمّ تعالقتها مع المفهوم العلمي الذي تدلّ عليه ضمن الرؤية القرآنية.

- أثبتت هذه الظاهرة وجودها على كل كلمة قرآنية وعلى مستويين:

✓ كلمات قد نراها عامة يتهياً لبعض منا أنها ذات دلالة عامة بينما يثبت العلم أن توظيفها كان دقيقاً جداً كمفردة (أنزل) و(البأس) لكن لا يمكن اعتبارها مصطلحاً علمياً يمكن توظيفه دلالة على مُسمّى.

✓ وكلمات نقترحها مصطلحات في علومها ومجالاتها كالمضغّة والعلة والنطفة والطارق والحُبك... الخ، تلك التي تُعدُّ مصطلحات دقيقة يمكن إطلاقها على مفاهيمها في العلوم المرتبطة بها، فلماذا نلجأ إذاً لترجمة مصطلحات تحمل المفهوم نفسه وتتخلى عن مصطلحات الذات. وهي مصطلحات لا تتوفّر على شروط المصطلح فحسب بل تتعدّاهما إلى التعالق بين بنيته الصوتية والصرفية ودلالته بمفهومه العلمي وتجاوزت المصطلح البشري في جاهزية اصطلاحيته وشروط وضعه.

- اللغة العربية لغة علمية لا مُماحكة في ذلك وما تُعاب عليه من ركود أو تخلف لا يكمن فيها بل في أهلها الذين تخلفوا عن الركب الحضاري.
- يجب استثمار اللغة القرآنية أثناء إيجاد الحلول للمعضلة الاصطلاحية، فكثير منها مصطلحات دقيقة تفوق المصطلح البشري في دقتها وشموليتها.
- تميّز "الفخر الرازي" بشكل كبير جداً في تفسيره الذي كانت ملامحه علمية، فهو بهذا أقرب إلى التفسير العلمي من غيره، على الأقل بالمقارنة مع تفاسير القدامى التي اعتمدها في هذه الدراسة.

● إنّ ما قدّمه المفسّرون القدامى للمفردة القرآنية ولتفسير القرآن كلّه كان متميّزاً جداً يعكس نبوغهم إلا أنّه كان نابعا من معطيات عصرهم وما بلغته العلوم آنذاك، ومن خلال ما قدّمناه من مفاهيم علمية نقترح أن يُعاد النظر في تفسير المفردات/المصطلحات القرآنية التي وردت في سياق الإشارة العلمية، فما فُسّر على أنّه عدول (دافق) التي فُسّرت بمعنى «مدفوق مصبوب في الرحم وهو المني، فاعل بمعنى مفعول كقولهم سرّ كاتم و ليل نائم» أو أنّه بمعنى (ذو اندفاق) أو أنّه اسم فاعل بمعنى مفعول و «أهل الحجاز أفعال لهذا من غيرهم، يجعلون المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب النعت» أو أنّه وُظّف مجازاً، يقول: «لقوة دفع الطبيعة له كأنه يندفق بنفسه

فهو إسناد مجازي»، كل ذلك نراه لياً لعنق المفردة وسياقها فمعناها حقيقي علمي. وفسروا العلقة بالدم الجامد الذي يشبه دودة العلقة لكن تبين أن الجنين في هذه المرحلة يعلق بجدار الرحم.

● نذهب بعد هذه الدراسة وباطمئنان إلى ضرورة المضي بعيدا في التفسير العلمي للقرآن ارتكازا على الحقائق العلمية الثابتة القطعية التي تجاوزت مرحلة الفرضيات والنظريات العلمية، وعلى أيدي علماء التفسير والمتخصصين في العلوم المادية والتجريبية.

● لا بد من فهم المصطلح القرآني وضبطه في ضوء لغة القرآن والمنظومة القرآنية وفي ضوء فهم علماء الأمة من المفسرين والمختصين في العلوم الكونية.

● إذا كان من أبرز شروط المصطلح التي أجمع عليها العلماء واللسانيون هو أن يكون واضحا دقيقا موجزا سهل النطق، ويجب أن تكون هناك مناسبة بين المدلول اللغوي للمصطلح ومفهومه العلمي، وأن يعبر المصطلح عن بعض صفات المفهوم وإن كانت واحدة على الأقل، فالمفردة القرآنية حققت كل ذلك بل تجاوزته إلى ترابط أدق كما رأينا سابقا. ومن ثم نرى أنه لا بد من:

● من الرجوع إلى النص القرآني هذا البنك أو المكنز اللغوي لاستلهم كثير من المصطلحات المختلفة في إطار تعريب المصطلحات العلمية لكسر حدة المأزق الاصطلاحي الذي نعيشه، ولكونها جاهزة الاصطلاحية كما يقول "الشاهد البوشيخي" وقد سار معهد المصطلحية في ذلك شوطا كبيرا يُفتخر به. حتى أنهم اقترحوا تأسيس (علم مصطلح القرآن)

● تأليف معجم الألفاظ القرآنية، وقد اقترح "حاج حمد" تأليف معجم ألفاظ/مفاهيم القرآن، لكن يُفسر الزاوية اللفظ من الزاوية العلمية.

ABSTRACT

CORRELATION; WORD; QURAN; CONCEPT; SCIENTIFIC DISCOVERIES

- The purpose of this study is to study the relationship between the language of the Qur'an and scientific concepts in the light of modern scientific discoveries.

-We mean by the **correlation** the very close relationship between the significance of the Quranic singularity and the conventional scientific concept in the subject which revealed by science, which was an extension of its significance and an indication of its openness as a key to a cosmic text. Since they are too close and cohesive to each so that it is impossible to replace a word by another one, and the scientific concept and the context of scientific reference in which the individual cannot ask others. Because the correlation and interdependence of the two parties, the individual and the concept, was the construction of this term - ie, dependence - in the morphological form (reaction) because it indicates participation.

-There are structural and semantic factors contributing to the creation of this phenomenon, including:

- The structure of the sound, see the individual is indicative of distress and hardship and stress because of the rise in the atmosphere expressed by the word (ascends) including the letters of severe and amplification and ascendancy, and the meaning which indicates the sperm that fertilizes the egg is a very accurate object extracted from Millions of sperm, a thin form consisting of head ,trunk and tail swim like fish in semen , the voice of the tongue as whisper is chosen because it expresses the softness and satisfaction that indicates the smoothness .It is known that his voice suggests a sense of smooth, and an optical sense of slipping and extension , And with an auditory feeling that is closer to the whistling, and not in his voice suggestive of any sense of taste or aroma or feelings of laziness, delight, secret and joy ... The pain is a mild, fluid voice of the qualities of care and delivery, light on the tongue, a voice «suggests a mixture of flexibility ; cohesion and adhesion»

-The morphological structure contributes to the embodiment of dependence, and the morphological weight of the individual (ascends), which is the effect of the function of the "cost" and the body has to face a great deal of difficulty in breathing, distress and stress. Since the strain indicates the sperm and egg were on the weight of (effective) Such as calamity, trash and sculptor. When the gametes were a mixture of water of men and women and their genetic pregnancies, with the lack of this water, the term comes on the rhythm of(actions) which expresses the plural and minority at the same time.

- The lexical significance, which is based on the nuclear meaning that binds and pursues linguistic unity in all formulas, and constitutes a basis for the scientific concept as we have seen in all the vocabulary during this study. The Qur'anic singularity may be of one origin and find a strong harmony and consistency between its structure and its significance on the one hand and its scientific concept on the other. It may be found with multiple origins. The Qur'anic text is chosen according to the scientific reference context. Nuclear, thus becoming a Qur'anic term.

- When we talk about the contribution of grammatical significance on the individual side, we are talking about the meaning of the letters of meanings, such as letters of kindness and traction, and you may notice the accuracy and rigor in their employment during the description of the Qur'anic discourse which explains the stages of human creation.

- These connotations combine and contribute each of them in the formation of the general meaning of the individual and then reconcile them with the scientific concept that is indicated within the Quranic vision.

- These connotations combine and contribute each of them in the formation of the general meaning of the individual and then reconcile them with the scientific concept that is indicated within the Quranic vision.

- This phenomenon proved its existence on every Quranic word and on two levels:

*Words that we may see in general are prepared for some of us that they are of general significance, while science proves that their use was very accurate as a singles like the word (dropped) and (bass), but cannot be considered as a scientific term.

Other words that we suggest as scientific terms with its fields, such as dictionaries, leeches, semen, tariq, hibiscus, etc., those that are accurate terms that can be applied to their concepts in the related sciences. Why do we resort to translating terms that carry the same concept and abandon the terms of the self? These terms are not just terms, but they have other extension that explain the link between the structure of sound ,morphological and scientific meaning and exceeded the human term in the readiness of terminology and conditions of its development.

- The Arabic language is a scientific language, and it suffers from stagnation or backwardness. Thus It does not lie in it, but because f the Arab World who does not follow the developed civilisation.
- The Qur'anic language must be invested while finding solutions to the conventional dilemma, many of which are more accurate than the human term in its accuracy and comprehensiveness.
- "ELRazi" Has a very specific and distinguished explanation, which was scientific. It is closer to scientific interpretation than others, at least compared to the interpretations of the old ones that we adopted in this study.
- The ancient interpreters of the Qur'anic singularity and the interpretation of the Qur'an as a whole were very distinctive, reflecting their prophethood, but it stemmed from the facts of their time and the sciences. At the time, we suggested that the interpretation of the Quranic terms mentioned in the reference Which is explained by the meaning of "a man who is molded in the womb, a semen, an actor, in the sense of an effect, like the words of a catam and a sleepless night." For this of others, make the effect effective if in the doctrine of the denomination »a And that he was employed metaphorically, saying: «The strength of the flow of nature to him as if he is flowing himself is a metaphorical attribution», all of this we see to the neck of the individual and context, meaning real scientific.

They explained the relationship with the solid blood, which is similar to the worm, but it turned out that the embryo at this stage is attached to the uterine wall.

- After this study, we can go further in the scientific interpretation of the Coran Which based on the scientific facts that exceeded the stage of hypotheses and scientific theories leaded by the students interpreters who specialized physical and experimental sciences.
- The Quranic term must be understood and controlled in light of the language of the Qur'an and the Qur'anic system
- one of the most important condition that linguists acquired that the term must be clear ,short clear, very precised and easy to pronounce, there must be a link between the linguistic meaning of the term and its scientific concept, and that the term expresses some characteristics of the concept, at least one, It has even moved it to a more precise coherence as we have seen before. Hence we see that it is necessary to:
- To go back to the Qur'anic text ,this linguistic Treasure to inspire many different terms to arabilise lot of scientific terms to break the conventional predicament that we live, and it is ready for conventional as the "ElChahid Boshkihi"said"The Institute of terminology paved the way that we are proud of it" .Even they suggested to establish the scientific terminology of the Qur'an)
- The author"Haj Hamad," has proposed the Dictionary of the concepts to interpret the word or the Qur'anic term scientifically.

Résumée

CORRELATION; MOT; QURAN; CONCEPT; DECOUVERTES SCIENTIFIQUES

Le but de cette thèse est d'étudier la relation entre la langue du Coran et les concepts scientifiques à la lumière des découvertes scientifiques modernes.

Nous entendons par (**correlation**) la relation très étroite entre la signification du mot coranique et le concept scientifique dans des sujets scientifiques, donc il - le mot- a une extension de sa signification, il est clé d'un texte cosmique. . Comme ils sont trop proches et cohésifs entre eux, il est impossible de remplacer un mot par un autre, et le concept scientifique et le contexte de référence scientifique dans lequel le mot ne peut pas demander aux autres. Parce que la corrélation est entre deux parties, le mot et le concept, la structure de ce terme sous la forme morphologique (tafaala) car il indique la participation.

- Il y a des facteurs structurels et sémantiques ont contribué à la création de ce phénomène, notamment: la structure du son, la structure morphologique, la signification lexicale, et la signification grammaticale.
- Ces connotations combinent et contribuent chacune à la formation du sens général du mot, puis les réconcilient avec le concept scientifique indiqué dans la vision coranique.
- Ce phénomène a prouvé son existence sur chaque mot coranique et à deux niveaux :
 - Les mots que nous pouvons voir en général sont préparés pour certains d'entre nous, car ils ont une signification générale, tandis que la science prouve que leur utilisation était très précise en tant que singles comme le mot (Anzala أنزل) et (Baasse البأس), mais ne peut pas être considérée comme un terme scientifique.

- D'autres mots que nous suggérons comme termes scientifiques avec ses domaines, tels que ;, sperme, tariq, , etc., ceux qui sont des termes précis qui peuvent être appliqués à leurs concepts dans les sciences connexes. Pourquoi avons-nous recours à la traduction de termes qui portent le même concept et abandonnent les termes de soi? Ces termes ne sont pas seulement des termes, mais ils ont d'autres extensions qui expliquent le lien entre la structure du sens sonore, morphologique et scientifique.
- Lorsque nous parlons de la contribution de la signification grammaticale du côté individuel, nous parlons de la signification des lettres de sens, telles que (Horoof Alaatf wa Aldjarr), et vous remarquerez peut-être la précision et la rigueur de leur emploi lors de la description de le discours coranique qui explique les étapes de la création humaine.

•La signification lexicale, qui est basée sur la signification nucléaire qui lie et poursuit l'unité linguistique dans toutes les formules, et constitue une base pour le concept scientifique comme nous l'avons vu dans tout le vocabulaire de cette étude. La singularité coranique peut être d'une origine et trouver une forte harmonie et cohérence entre sa structure et sa signification d'une part et son concept scientifique d'autre part. Il peut être trouvé avec plusieurs origines. Le texte coranique est choisi en fonction du contexte de référence scientifique. Nucléaire, devenant ainsi un terme coranique.

فهرس الموضوعات

إهداء.....	/.....
حمد وشكر.....	/.....
رموز واختصارات واردة في البحث.....	/.....
مقدمة.....	(أ-ي).....
المدخل.....	18.....
✓ أولا النص القرآني بين الإعجاز والتفسير العلميين.....	19.....
✓ ثانيا المفهوم العلمي؛ مقارنة معجمية اصطلاحية.....	32.....
القسم النظري	
الفصل الأول: اللغة بين التوظيف القرآني والاستعمال العربي.....	41.....
المبحث الأول: اللغة القرآنية خصائصها وأسرارها.....	42.....
المبحث الثاني: التعالق في اللغة والاصطلاح.....	68.....
القسم التطبيقي	
الفصل الثاني التعالق في مفردات خلق الإنسان طور التكوين الجنيني أنموذجا.....	100.....
المبحث الأول الأمشاج.....	105.....
✓ التحليل المعجمي لمفردة الأمشاج.....	106.....
✓ التحليل الدلالي لمفردة الأمشاج عند المفسرين.....	110.....
✓ التحليل العلمي لمفهوم الأمشاج.....	112.....
المبحث الثاني الحرث.....	117.....
✓ التحليل المعجمي لمفردة الحرث.....	117.....
✓ التحليل الدلالي لمفردة الحرث عند المفسرين.....	120.....
✓ التحليل العلمي لمفهوم الحرث.....	122.....
المبحث الثالث دافق.....	125.....
✓ التحليل المعجمي لمفردة دافق.....	126.....
✓ التحليل الدلالي لمفردة دافق عند المفسرين.....	128.....
✓ التحليل العلمي لمفهوم دافق.....	131.....
المبحث الرابع السلالة.....	136.....
✓ التحليل المعجمي لمفردة السلالة.....	138.....
✓ التحليل الدلالي لمفردة السلالة عند المفسرين.....	140.....

144.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم السلالة.....
148.....	المبحث الخامس العلقة.....
150.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة العلقة.....
150.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة العلقة عند المفسرين.....
150.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم العلقة.....
154.....	المبحث السادس القرار.....
157.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة القرار.....
159.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة القرار عند المفسرين.....
160.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم القرار.....
163.....	المبحث السابع المضغة.....
163.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة المضغة.....
165.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة المضغة عند المفسرين.....
165.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم المضغة.....
168.....	المبحث الثامن المنى.....
168.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة المنى.....
169.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة المنى عند المفسرين.....
169.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم المنى.....
169.....	المبحث التاسع النطفة.....
172.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة النطفة.....
172.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة النطفة عند المفسرين.....
173.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم النطفة.....
176.....	الفصل الثالث التعالق في مفردات خلق الأرض والجبال.....
181.....	أولاً: في إنزال الحديد وبأسه.....
181.....	المبحث الأول أنزل.....
183.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة أنزل.....
185.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة أنزل عند المفسرين.....
187.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم أنزل.....
191.....	المبحث الثاني البأس.....
192.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة البأس.....
193.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة البأس عند المفسرين.....
196.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم البأس.....

200	ثانيا: في شكل الأرض وحركتها.....
200	المبحث الثالث الدحو.....
200	✓ التحليل المعجمي لمفردة الدحو.....
206	✓ التحليل الدلالي لمفردة الدحو عند المفسرين.....
209	✓ التحليل العلمي لمفهوم الدحو.....
211	المبحث الرابع الصدع.....
212	✓ التحليل المعجمي لمفردة الصدع.....
214	✓ التحليل الدلالي لمفردة الصدع عند المفسرين.....
215	✓ التحليل العلمي لمفهوم الصدع.....
218	ثالثا: في شكل الجبال ووظيفتها.....
222	المبحث الخامس الإلقاء.....
225	✓ التحليل المعجمي لمفردة الإلقاء.....
227	✓ التحليل الدلالي لمفردة الإلقاء عند المفسرين.....
228	✓ التحليل العلمي لمفهوم الإلقاء.....
231	المبحث السادس الأوتاد.....
232	✓ التحليل المعجمي لمفردة الأوتاد.....
234	✓ التحليل الدلالي لمفردة الأوتاد عند المفسرين.....
241	✓ التحليل العلمي لمفهوم الأوتاد.....
243	المبحث السابع الرواسي.....
245	✓ التحليل المعجمي لمفردة الرواسي.....
247	✓ التحليل الدلالي لمفردة الرواسي عند المفسرين.....
249	✓ التحليل العلمي لمفهوم الرواسي.....
253	الفصل الرابع التعالق في مفردات خلق الأجرام السماوية.....
255	المبحث الأول الحبك.....
256	✓ التحليل المعجمي لمفردة الحبك.....
258	✓ التحليل الدلالي لمفردة الحبك عند المفسرين.....
261	✓ التحليل العلمي لمفهوم الحبك.....
265	المبحث الثاني الخنس.....
266	✓ التحليل المعجمي لمفردة الخنس.....
267	✓ التحليل الدلالي لمفردة الخنس عند المفسرين.....
272	✓ التحليل العلمي لمفهوم الخنس.....

275.....	المبحث الثالث السّراج.....
278.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة السّراج.....
279.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة السّراج عند المفسرين.....
282.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم السّراج.....
288.....	المبحث الرابع الطارق.....
290.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة الطارق.....
293.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة الطارق ند المفسرين.....
296.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم الطارق.....
301.....	المبحث الخامس الكّس.....
301.....	✓ التحليل المعجمي لمفردة الكّس.....
303.....	✓ التحليل الدلالي لمفردة الكّس عند المفسرين.....
306.....	✓ التحليل العلمي لمفهوم الكّس.....
309.....	الخاتمة.....
317.....	فهرس المصادر والمراجع.....
345.....	فهرس الجداول والأشكال.....
349.....	ملخص الأطروحة باللغة العربية.....
353.....	ملخص الأطروحة باللغة الانجليزية.....
357.....	ملخص الأطروحة باللغة الفرنسية.....
359.....	فهرس الموضوعات.....